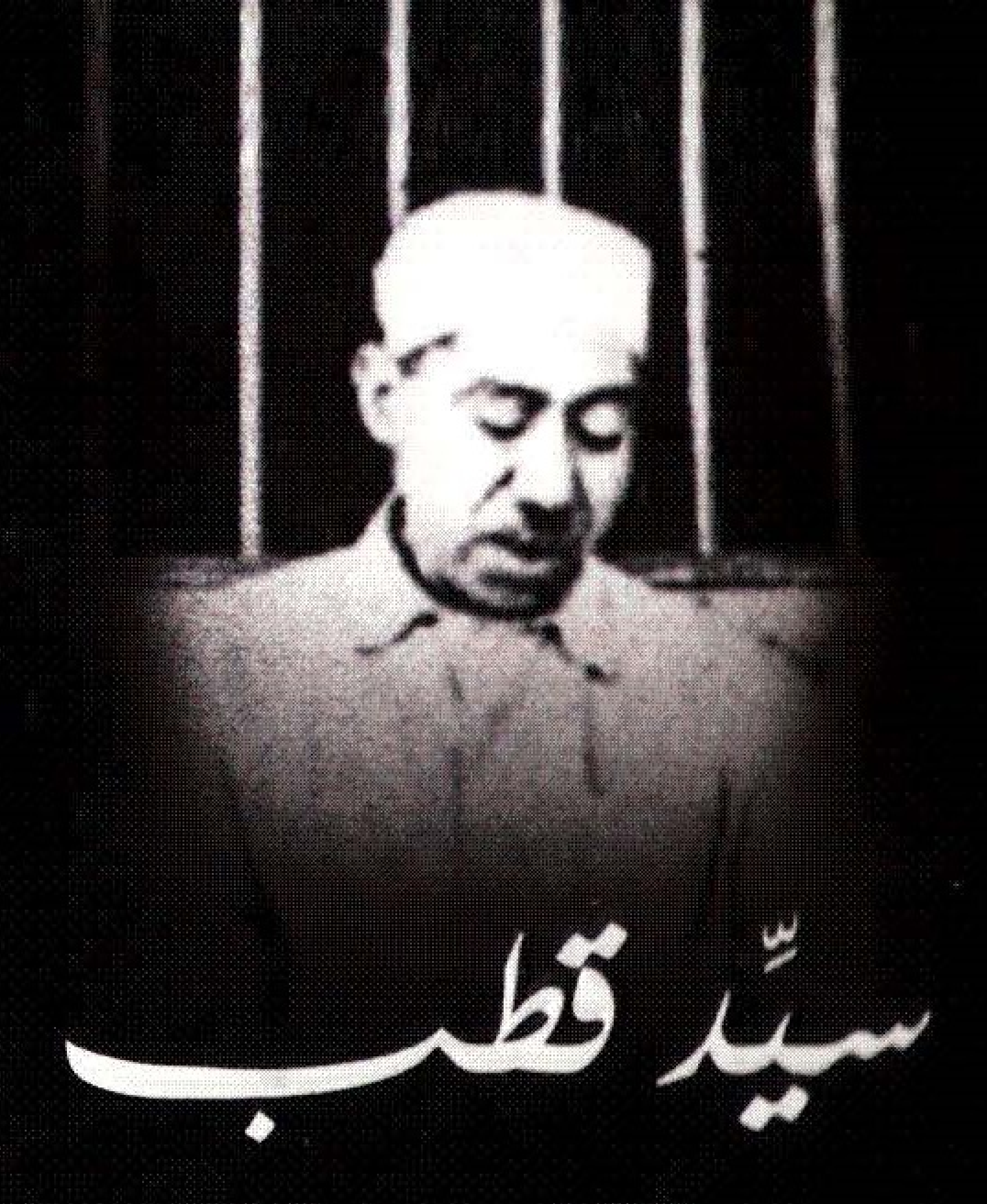


سيِّد قطب

1906 - 1966

الأعمال الكاملة الشعرية

سيد قطب

1906 - 1966

الأعمال الشعرية الكاملة

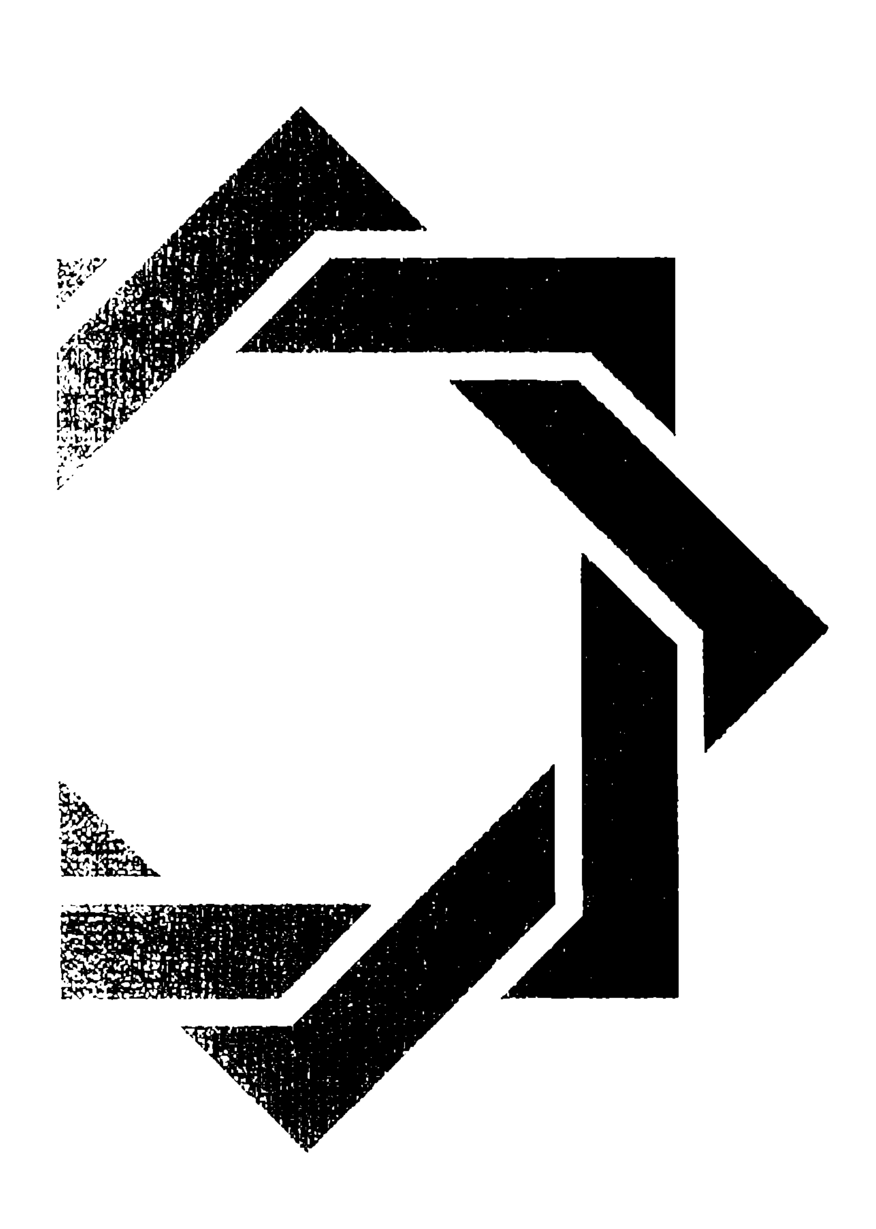
تقديم د. حسن حنفي

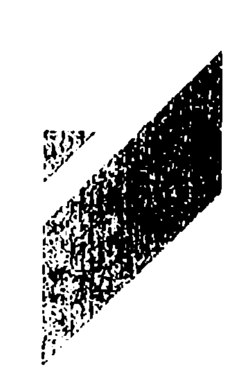
إن نفسي ليس ترضى: أيُّ نفس تقبل العيش كسكان القبور؟

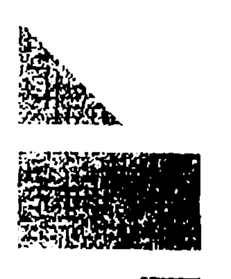
سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي







﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾

مركز الناقد الثقافي
مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق - ساحة عرنوس - بناء واحة عرنوس -بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع -

مكتب رقم ١ - ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

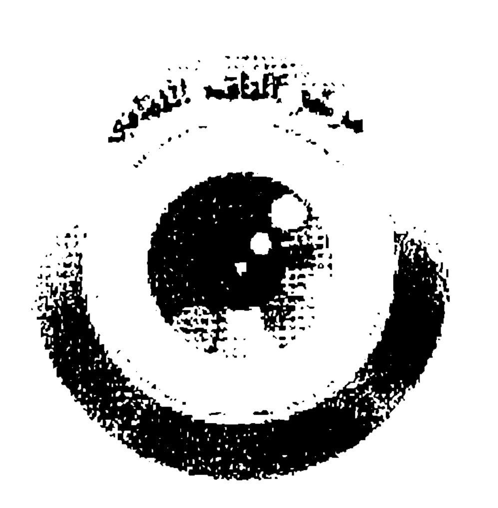
- رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

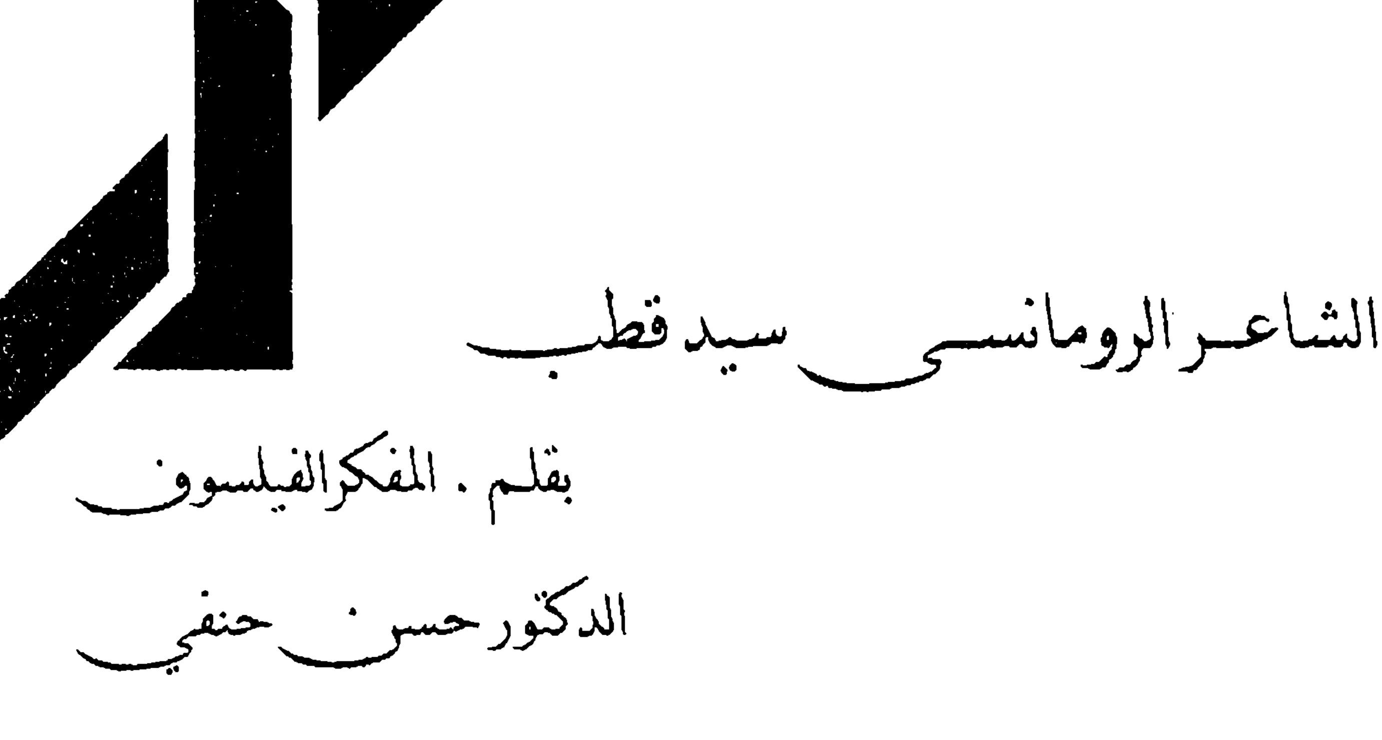
IN USD ($)
Correspondent bank : **COMMERZBANK / FRANKFUR**
SWIFT:COBADEFF
Beneficiary bank : BANQUE BEMP SAUDI FRANSI
(MARKAZ AL NAKED/BBSF)
SWIFT : BBSFSYDA
Name of the final beneficiary : **(0125719/BBSF)**
Account number of the final beneficiary :

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)
Correspondent bank : **BANQUE SAUDI FRANSI**
SWIFT : BSFRSARI
Beneficiary bank : BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF
(MARKAZ AL NAKED/BSF):
SWIFT;BBSFSYDA
Name of the final beneficiary **(0125719/BSF)**



الناقد الثقافي
الدراية لا الرواية
2008

الطبعة الأولى 2008م
ديوان الأعمال الشعرية الكاملة
مع دراسة في أشعار سيد قطب.
المؤلف سيد قطب.
تقديم د. حسن حنفي.
فُسح في الجمهورية العربية السورية
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927
بتاريخ 2008/3/4م



الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي فى العشرينيات (١٩٢٥ - ١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبي فى الأربعينيات (١٩٤٥ - ١٩٥٠) في (النقد الأدبى، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفنى فى القرآن)، (مشاهد القيامة فى القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠ - ١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠)، (السلام العالمى والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣)، و(فى ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤ - ١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذى يكفّر فيه المجتمع ويقسّمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضي الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وقُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (الإسراء ١٧/٨١)[1].

[1] - حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢ - ١٩٨١ /٥ الحركات الإسلامية المعاصرة ،القاهرة، مدبولي ١٩٨٨ ،ص١٦٧ - ٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٥٤[1] وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤

كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتى شاعر التمرد والوطنيات إلا فى النهاية.

هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال فى الشعر الجاهلى. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوى وغطاء لفظى يمنع من الإحساس الجمالى المباشر بالمضمون الشعرى. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف فى الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسى واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها فى الرواية فى عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف فى الأرياف) لتوفيق الحكيم.

وهو شعر عاطفى وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبئية نفسى). فالشاعر غريب فى العالم يدعو فى (دعاء الغريب).

يخطو الزمن به وثبا. يتوه فى الصحراء، وتغوص أقدامه فى (أقدام فى الرمال).

---

١ – له فى عام ١٩٣٤ – ٤١ – قصيدة.

يحن إلى الماضى وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحى وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبى). يمجد الإبداع فى الفن والحياة وكما كتب فى ١٩٣١م فى محاضرة قدمها مهدى علام: (مهمة الشاعر فى الحياة). وظل كذلك حتى فى مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية فى الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات فى قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

وهو شعر واقعى يصف الجوانب السلبية فى الإنسان، وفى الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق فى (اضطراب حانق). والأقدار تسخر من الإنسان فى (سخرية الأقدار). والدنيا خراب فى (خراب). والنفس ضائعة فى (النفس الضائعة). والصديق مفقود فى (الصديق المفقود). والغد مجهول فى (الغد المجهول). وهو غريب فى العالم فى (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولّى فى (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خاب فى (الشعاع الخابى). والشاطئ مجهول فى (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر فى وادى الموتى فى (السر ... أو الشاعر فى وادى الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان فى (الخطيئة). وللقصيدة مصرع فى (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة فى (خدعة الخلود). والنظرة موحشة فى (نظرة موحشة). والناس فى خصام فى (خصام). والأفواه ظامئة فى (الظامئة). واللحن حزين فى (اللحن الحزين).

والحب فى مصرع فى (مصرع حب). والحب مكروه فى (الحب المكروه)، والبكاء على أطلال الحب فى (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة فى (الكأس المسمومة). والوردة ذابلة فى (وردة ذابلة). والجمال عبث فى (عبث الجمال)، واليوم خريف فى (يوم خريف). والجبار عاجز فى (العاجز الجبار)، والجمال حزين فى (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت فى (موت سوسو). وللفاجعة صدى فى (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة فى (مأساة البدارى). والحنين يذرف الدمع فى (الحنين والدموع). والحياة نكسة فى (نكسة).

وفى الوقت نفسه هو شعر مثالى يعبر عن حضور المثل الأعلى فى الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر عن الجوانب الإيجابية فى الإنسان كما يفعل القرآن فى بر الإنسان بوالديه. يريد الصعود إلى القمة فى (على القمة). يعشق المحال فى (عاشق المحال). يحقق الحلم القديم فى (حلم قديم) و(جولة فى أعماق الماضى). الشعراء فيه سعداء فى (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح تهتف فى (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه فى (ابتسامة)، والبسمة بعد العبوس فى (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة فى (وجوه طريفة). وهناك بعث بعد الموت فى (بعث). والحب حقيقة وتعبير فى (أحبك) و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب فى (قبلة). والحب رقية فى (رقية الحب)، والحب لا يخطئ فى (عصمة الحب). والخواطر تتوارد فى (توارد خواطر).

وهو شعر إنسانى عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات المتحدة فى بعثة تربوية، والتى كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتى جُمعت بعد ذلك فى (أمريكا التى رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضى والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففى الطبيعة جمال، كما أن فى الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها فى (نداء الخريف) و(فى ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل فى الريف فى (ليلات فى الريف) و(العودة إلى الريف) فى ظلال الأشجار فى (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار فى (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس فى (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك فى قصيدتى (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

وهو شعر اجتماعى يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية فى (العودة إلى الريف) و(ليلات فى الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هى الريحانة الأولى فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان). الناس فى (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد فى (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية)و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكراه خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكراه فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى(الغد المجهول).

ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحى والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

فى رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول فى (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيبين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية فى (سخرية الأقدار)، وليست موضوعا للإيمان كما هو الحال فى عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هى الفعل البطولى فى (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادى المقدس) فى الأرض وليس فى السماء.

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، و لم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر[1].

---

[1]- ما أرى هذه المرحلة إلا نتيجة طبيعية للسقوط في وهَدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتّون الحقد. من طرفي الأمة وجناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعوّل لو تابعا مسيرتهما معاً، كما بدأاها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، نجتر عذاباتها ونتائجها المرة، والمأمول اليوم أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك ..... الذي لم يتغير . (الناشر)



المقدمة
بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلَف هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأىّ سِواى أن يعرفَها ! ولقد صَاحبتُه زُهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً، وَراقبتُ خوالجَه[١] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاتِه وميولَه، وكونتُ لي رأياً عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخَوالج والقصائد، ولكنا كُنَّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمراً واحداً،لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف.

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلا بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مُثل عُلْيَا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعَ الضعف والخطأ. وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعض الأفكارِ وبعض الأَلفاظ !

وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصداقةُ العميقة بيننا؛ في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى، تُطالع للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتِها[٢] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من صورِ الشعر، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه؛ ولها سِحْنَتُه[٣].

١- خوالجه: خواطره ونزعاته.

٢- السَّمْتُ: الطريقة

٣- السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً[(1)] حتى يَشْجُرَ بينها العداء!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُر عليه، حين يبلغُ حداً مُناسباً من النُّضُوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويَعتصرهما دماً، ويُمثّلَهما غذاءً، يُقَوّى من بنْيَته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعرِ إلمامَه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسبَ طبيعَته؛ إلا إذا قَصَرْنا طرق المعرفة على القُوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور مادية، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[(2)] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل، التي تَعرضُ للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارةً، وبالاستغراق والتجرد تارةً؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقتْ معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولَم تأت عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العُنْصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرق بعد ذلك بين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسان، وبتعبير أدق بين القوى الواعية، والقوى المُلهمَة -وليست هي الغرائز- القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دوَن شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١- النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.

٢- السيكولَوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطئ المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[1] واستغراقٍ، وتجردٍ؛ وصوفية.

لقد حَجبَ العقلُ الذي نستشيرُه حقائق جلّت عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[2] فنغنمَ فيه الخلدَ والحبَّ والســحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية – عند الشاعر – هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطئ المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ – البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ – الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفســـه ما يشبهُ الموتَ سكرةً   ومـــن حوله مـــوتٌ نَمتْـــهُ المقابر

وفي نفســـه من مثلهـــا كلُّ ذرَّةٍ   فهاتيك أشـــلاءٌ وهذى خواطر[1]

وفي قصيدة (خبيئة نفسي)[2] إذ يقول:

خبيئة نفســـي في ثناياك معرِضُ   لمـــا لَقَيتْـــهُ الأرضُ في الجَـــولَانِ

وإنك طلسَـــمُ الحيـــاة جميعها   وصورتُها الصغُّرى بـــكلِّ مكان[3].

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليته يدري بما خلف سِـــتْره   فيختِمُ سفرَ النّاسِ في الكون ظافرٌ[4]

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقّياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردها شِلْو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.
٢- خبيئة: المَخْبُوء
٣- الطلسْم (في علم السحر): الشيء الغامض.
٤- السِّفرُ: الكتابُ

ويملأ الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشْتُ كســكّانِ القبور   في ربيــعِ العمــر؛ في العهــد النَّضِرْ

آهِ لو أَســطِيعُ للماضي الحسيرِ   رجعــةً، من بعد مــا جــاءِ وَمرْ[1]

كنتُ أُحييه كما يُحْياَ الشُّبابُ   نابضــاً بالحــّب؛ جيــاشَ الأمــاني

ممسكاً أهدابَه خوفَ الذّهاب!   مُسْــتعزاً فيــه حــتَّى بالثَّــواني[2]

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً آسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل   أو تمتُّعْ

وهْوَ محسوبٌ علينا في الأجَلْ   فَهْو أَضْيَعْ

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا،اخلدي، لا تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.

واليــومَ آســفُ للدَّقائــقِ تنطوي   من عمــريَ الغالي الثّمينِ الطَّيبِ

واليــوَم أرقُبهــا وأرقــبُ خَطْوَها   فأعيشــها مثلــين بعــد ترقبي!

وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم

٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغناءٌ عن الخلودِ غرامٌ هو رمزٌ ووَصْلةٌ للبقاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثَارَةٌ تنسابُ في خَلَدِ وفي أَوْهامي[1]

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعة الخلق، فهو يتعزّى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيتُ ما أعيا المقاديرَ إنّما وجدتُكَ رمزاً للأماني الصّوادفِ

فأنت عزائي في حياةٍ قصيرةٍ وأنت امتدادي في الحياةِ وخالفي

المجهول:

يملأ الشغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيّزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلِّح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادىء؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملابستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المنتبه) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في(التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها.

فالوزن يتحقق بأيِّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقا؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقا السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقا الفكرية؛ ثم الموسيقا الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقا الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقا الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونها في نغم رتيب، فيه شجو[1]. وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست[2] هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُــك في الطُّفولــةِ غافلاً عمَّا حويْتَ من الوجود السّــامي

لكن وجدْتُــكَ إذْ كبِرْتْ بخاطري رمــزاً أُحيــطَ بغمْــرةِ الإبهــام

١- الشجو : الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلا لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:

مُنذُ مَا أُطْلِعْـــتُ في هذا الخَرابِ وأنـــا أسْـــألُ: مـــا شَـــأني هُنا؟

ولو قال: ((منذ مَا طلعتُ)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أُرْغِمَتْ على الحياة ((فَأُطْلِعَتْ)) دون إرادها؛ ولم ((تَطْلُعْ)) هي بمشيئتها.

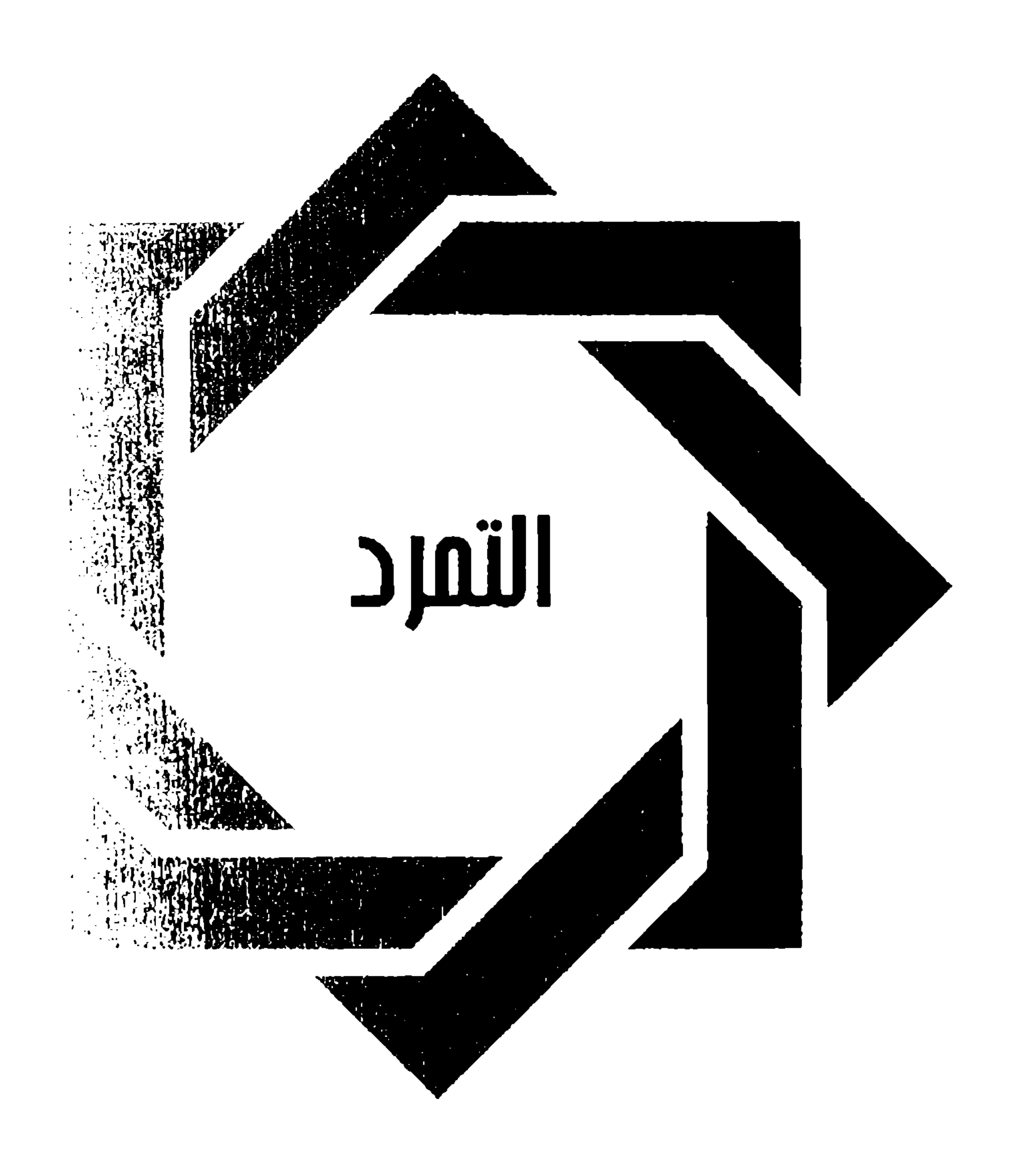
ومثل هذه الدِّقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخَطَأ في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.

والذي يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأةً في الاشتقاق، قد تُؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلُّها العاجزُون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعدُ: فهناك مَبَاحثُ طويلةٌ عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (ا لغزل) وفصلُ (الوطنيات) أتركها للقراء..[١]

١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تمامي،والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.



إنَّ نفسي ليس ترضى : أيُّ نفسٍ

تقبلُ العيش كسُكّانِ القبورْ؟

عزلة في ثورة!!!*

حَدثيــني أنْــتِ يــا نَفْسِــي فما أفهــمُ العَالَــم أو يَفْهَمُنــي
إنــي أنكرتُــه اليــومَ كمــا أنــه بالأمــسِ قَــدْ أَنْكَرَنــي
لم أجــدْ في الكــون إلا أَلَمــا إنمــا الوَحْــدَةُ أصلُ الشَّــجَنِ

* * *

وَحْــدَةُ الأرواحِ أَنْكَــى الوَحَدَاتِ وَحدةُ الأجسام تُنْسَــى وتهوُنْ[1]
أيُّ بُؤْســي تســتحثُّ الذكرياتِ كانفراد الرُّوح في وادي الشُّجُونْ
إنَّ رُوحي قد تَناسَتْ ((خُذْ وهَات)) وانزوت في عالمٍ جَمِّ السُّــكُونْ[2]

* * *

لم أجــدْ قلبــاً إذا ارتعــتُ خَفَق خفقة الحُــبّ بوحْيٍ صــادِقِ[3]
وإذا شــذّ فــؤادٌ فَصَــدَق أتبــعَ الحُــبَّ بِغَــدْرٍ مَاحِــقِ[4]
وفــؤادي يَتنُــزى[5] في حَــرَقٍ وَاجِفــاً مِنْ كلِّ حَــدسٍ طارِقِ[5]

* * *

وحبيبٍ قَــدْ سَــمَتْ رُوحِي إليه وعبــدتُ الطُّهْــرَ فيــه والجَمَالْ
ووقفــتُ النفــسَ والفكــرَ عليه والأمــانيَّ وأطيــافَ الخَيــالْ
ورأى مِــني أســيراً في يَدَيــه فتولّــى لاهِيــاً عــني ومَــالْ

* * *

لم أجـــدْ في الكـــونِ ما أنْشُـــدُه مَثَـــلاً أَعْلـــى فـــأرْوِي ظَمَئِـــي

وإذا صـــوّرتُ مـــا أقصـــدُه بُهِـــتَ النـــاسُ لهـــذا النَّبَـــأِ

وتولّـــى بعضُهـــم يَنْقُـــدُه جاهـــداً والبعضُ يَـــروِى خَطَئِي

* **

وتقاليـــدٌ وأسْـــرَى يَعُبـــدُون هـــذه الأصنـــامَ مُغْلُـــولِي الفِكَرْ

وإذا ثـــرُتُ عليهـــا يَسْـــخَطُون ويقولـــون تَمـــادَى وكَفَـــرْ!

وَيْحَهـــم مـــاذا تَراهـــم يبْتَغُونَ؟ أَتُرى نحيا شُـــخوصاً مِنْ حَجَرْ؟!

* * *

إنْ ذكـــرتُ الحُبَّ قُدْسِـــياً نَقِيا حسَـــبُوه من خَيـــالِ الشُّـــعَراءْ

إنـــني أُدْرِكـــهُ رُوحـــاً خَفِيـــا يَهْبِـــطُ الأرضَ ومَأواه السَّـــمَاءْ

وهـــم يَبْغُونَـــه إِثمـــاً فَريـــا يُرْتَـــدَى في أثْـــوابِ البغـــاءْ!

* * *

أتُـــرى أحيـــا بُـــروحٍ لا تَحِس وفؤادٍ ليـــس يَدْرِى مَا الشُّـــعورْ؟

أكتمُ الأنفـــاسَ إن جَالتْ بِحسّ ثُمَّ أبْقَـــى صخرةً بـــين الصُّخُورْ؟

إِنَّ نفسِي ليس تَرضَى: أيُّ نَفسٍ تقبـــلُ العيـــشَ كسُـــكّانِ القُبُورْ؟

حدثيـــني أنـــتِ يـــا نفـــسُ إِذَن واتركـــي العَالَمَ في الكَـــوْنِ يَمُوجْ

واعشَـــقي كلَّ جمـــالٍ يُفتَتَـــنْ   واضِـــحِ الطَّلعـــةِ بَسَّـــامٍ بَهيـــجْ
وخُـــذِي مَا شِـــئتِه مـــن كلِّ فَنٍّ   ودَعِي مَنْ هَـــاجَ في الأرض يَهيج!

* * *

حَلِّقـــي يـــا نفـــسُ في كلِّ فَضَاءْ   واهبِطي بـــينَ الأقاحـــي والزُّهُورْ
واسمَعي ما شـــئتِ مِنْ عَذْبِ الغِنَاءْ   حينمـــا تَهْتِـــفُ باللَّحْـــن الطُّيورْ
إنمـــا الكـــونُ ومَـــنْ فيـــه هَبَاءْ   بعدمَا يَرْضَى عـــن النفس الضَّميرْ

* * *

حَدِّثـــي يـــا نفـــسُ إني لَســـميعْ   إنْ لَهـــا النـــاسُ ولم يَسْـــتَمِعُوا[1]
وَصِفي إحساسَـــكِ السَّامي البديعْ   ودَعيهم حيـــثُ هُمْ قَـــدْ وَدَّعوُا
وإذا الألفـــاظُ أعيـــتْ، فالدموعْ   فـــإذا جَفَّـــتْ، فخفْـــقٌ يُسْـــمَعُ

* * *

أقفـــرَ العَـــالَمُ مـــن كلِّ سَـــميرْ   يُبْعِدُ الوَحْشَـــةَ عَنِّي غيرَ نَفْســـي
فليَفِضْ ما جَاشَ فيها من شـــعورٍ   ولتكـــنْ إلْفِي ومَنْ أرجُو لأُنْســـي
وَحْـــدَةٌ فيهـــا هُدوءٌ وســـرورْ   ومناجـــاةٌ، فيا نَفْســـي لتَأسّـــي

* * *

١- لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب حانق!*

أحيـــاةٌ أمْ نـــارُ الجحيـــم بِلظَاهَـــا الهائـــج المُسْـــتَعِرْ؟[1]
لا. ففي نفسي من الشَّجْو الأليم من حَيـــاتي فَـــوقَ مَـــا في سَـــقَرْ!

* * *

آه. لا شَـــكْوى ولا بَثَّ شَجَنْ لا أريـــدُ الضعـــفَ. كلا. لا أريـــدْ
ســـوفَ لا يظهرُ مـــني مَاكَمُنْ فليشـــدَّ الخَطْـــبُ إنّي لَشـــديدْ[2]

* * *

ولمن أشـــكوُ إِذا شئتُ الشّكَاه؟ ولمن أســـطيعُ إيضـــاحَ شُـــعوري؟
أيـــنَ مَن ينظـــرُ مِنّي مَـــا أراه في شـــعوري، غيرَ نَفسي وضَميري؟!

* * *

أُغْـــرُبي عَـــني بعيداً يـــا حَيَاتي قـــد كَرِهـــتُ العيشَ في جَـــوٍّ قَذِرْ!
أُغْربُـــي محفوفـــةً باللعنـــاتِ آبعُدي عن سَـــاخَطٍ جهمٍ ضَجِرْ![3]

* * *

لا فِـــراراً من جهـــادٍ كالجَبَانِ لا. فمـــا كنـــتُ جَبَانَـــا أَحْـــذَرْ!
إنمـــا أَنْـــتِ ســـبيلٌ للهـــوان لســـتُ أَرْضَـــاه ونَفْسِـــيَ تَشْـــعُرْ

* * *

---

*نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م

١- المستعر: المتوقد، المشتعل

٢- كَمُنَ: اختفى

٣- الجهم: عابس الوجه، ضجر ضاق وتبرم

أأنَاسِـــيًّا أرى أم حَشَـــراتْ شَـــوَّهَتْ من طَلَعَةِ الكونِ الجميلْ؟
يُشْبِهونَ الناسَ في تلك السِّماتْ بينمـــا أَنْفُسُـــهم رِجْسٌ يَســـِيلْ!

* * *

حَقَروا الكـــونَ وأغراضَ الحياةْ حَســـبُوها دَنَســـاً في دَنَـــسْ
وصَغَـــاراً ليـــس يَرْضَـــاه إلـــهْ وَهَـــبَ الأرواحَ نُـــورَ القَبَـــسْ![1]

* * *

إنَّهم لَـــم يَعرِفُـــوا معنى الجمال إنّهـــم قـــد جَهِلُـــوا سِـــرَّ الوجُودْ
وإذا طَالَعَهـــم طيـــفُ الكمال لائحـــاً يهفُـــو، تَولَّـــوا في جُمُودْ

* * *

فَهِمُـــوا العيشَ طَعاماً وشـــَرَاباً ورَواحـــاً حيـــثُ شَـــاؤوا وغُدُوّا
أنفسٌ كالكهـــفِ ما زالت خَرَاباً من شـــعورٍ يُلْهِمُ النفسَ السُّـــموّا

* * *

فـــإذا حدثتَ عـــن طُهْـــرٍ بديعْ وشـــعورٍ يَغْمُـــرُ النفسَ بَـــراءْ[2]
أَدْرَكُوه سَـــافِلَ الشـــأنِ وَضِيعْ وهو أسمى ما اســـتطَاعتْه السَّماءْ!

* * *

١- القبس: النار أو الشعلة

٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَــرُوا العِفَّـــةَ والحِـــسَّ البَراءْ حَقَـــرُوا الرُّوحَ وهَامُوا بالجُسُـــومْ

حَقرُوا الإخلاصَ مَحْضـــاً والوفَاءْ ورَأَوْا في النفـــس مَحْيَاهـــا الذَّميمْ

* * *

أئِـــذا مـــا أخلـــصَ الـــودَّ فُؤادٌ لفـــؤادٍ مُخْلِـــصٍ، فَائتلَفَـــا

لم يكـــنْ ذلـــك إلا لِفَســـاد يَثْلَمُ العِرْضَ ويُؤذِي الشَّـــرَفَا؟[٣]

* * *

لا. فمـــا أقْفَـــرَ هاتيـــك النفوسْ لا. فمـــا أجْمـــدَ ذياك الشُّـــعُورْ

إنَّ وَجْـــه الكـــونِ مُغْبَـــرٌّ عَبُوسْ بِهمُـــو. فَلْيَغْرُبُـــوا عنـــه يُنِـــيرْ!

* * *

١- يثلم: يجرح، يحدث فيه نُدبةً

زفرات جامحة مكبوحة *

اذهــبُ وخلِّفــني هنــا متألمــاً لا تلقــني سمحــاً ولا مُتجهِّمــا

اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتِي ويَبُــضُّ قلبي مــن قرارتِــه دَما[1]

اذهبْ فلن أشكو إليك عَواطِفي يومــاً ولــن ألقــاكَ إلا أبْكَمــا

أرخصتَ حُبِّــي إذْ بَثَثْتُكَ بعضَه فَلْيَبْــقَ مَكْبُوحــاً إذَنْ فَتَكَتَّمــا

إن كانَ بَــثُّ الحبِّ عندك مَأثَما فكذاك عِنْدي سَــوف يغدوُ مَأثَما

* * *

اذهبْ وفي نفسِي لِبُعدِكَ حَسْرةٌ والعيــشُ بَعْدَك صَــار صُلْباً عَلْقَما

سَــأنامُ مهموماً وأصْحُو حَائِراً وأهيــمُ في وَادِي الأسَــى مُتألِّمَــا

ويُخيم البــؤسُ المُمِضُّ فلا أرى إلا شَــقَاءً في الحيــاة مُخَيِّمَــا[2]

لكن سَــأكتمُ ما تُكِــنُّ جَوانحِي وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى مُسْتَسْلِمَا[3]

* * *

واويلتَــاه لقد أهنْــتُ عَواطِفي وحســبتُها عبثــاً يُمَــجُّ مُذَمَّمَا[4]

وأراكَ تَــأبى أن أكــونَ مُتابِعاً لــك في الغُدوِّ وفي الــرَّواحِ مُيمِّمَا

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م

١- يبض: يرشح، ينز.

٢- الممض: المؤلم من أمضّهُ الألم

٣- الجوى: حُرقة الشوق

٤- يُمَجُّ: يُلفظ

لك مَا تَشَــاء، فما أطيــقُ تَبَذُّلاً   مني ولســُت أطيــقُ منــك تَبَرُّمَا

لك ما تَشَــاءُ، فلن أرى متنائياً   عني فأرجُــو عَطْفَــه مُسْــتَرْحِمَا

وإذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتِكي   أَلَمِــي وأبْــدُو صَابِــراً مُتَبَسِّــمَا

سَأعيشُ عَيشَ الزَّاهِدين وكانَ لي   أمــلٌ حَطَمْــتُ قِوامَــه فَتَحطَّمَا

أملِي الذي قَدْ كانَ لي هو أن يعيش   شَ الحــُّب فينَــا طَاهِــراً ومُكَرَّمَا

أمَّــا وقَــد أَرْخَصْتَــهُ وأهنْتَــهُ   ورَأيتــهُ إِثمــاً لديــكَ مُحَرَّمَــا

فليذهَــبِ الأمَــلُ الــذي أمَّلْتُه   حِينــا وعِشْــتُ بظلِّــه مُتَنَعِّمَــا

سَــأصُون عهدَ الحبِّ عَفّاً طَاهِراً   حتى أمــوتَ بِــه شــهيداً مُغْرَمَا

* * *

عاشق المحال*

ضِقْتَ بالقيد فانْطَلِقْ أيُّها الآبِقُ الشَّرودْ[1]
قد تحررتَ فاستَبِقْ للصِّرَاعات مِنْ جَدِيدْ

* * *

انْطَلِقْ تَصْعَدُ الرُّبَاه ثم تَهْوى إلى السُّفُوحْ
شَارداً تَقْطَعُ الحيَاه في التَّعِلّاتِ والطُّمُوحْ[2]

* * *

انْطَلِقْ تَفجَأُ الخَطَرْ كالذي يَفْجَأُ الرَّجَاءْ
لُعْبَةٌ في يَدِ القَدَرْ تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَاءْ

* * *

جَمْرَةٌ أَنْتَ تَتَّقِدْ خَلْفَ سِترٍ مِنَ الرَّمَادْ
وهي تَذْكُو بِلا مَدَدْ ثم تَغْدُو إلى نَفَادْ

* * *

أَنْتَ مِنْ طَيْفِ القَلَقْ صَاغَكَ اللهُ والجمُوحْ
تَعْشَقُ الأيْنَ والحَرَقْ والعَقَابِيلَ والجُرُوحْ[3]

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢

١- الآبق: الهارب، الشرود: المطارِد

٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَّعلل أو ما يُتلهى به.

٣-الأينَ: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْـــتَ تَرنُــو إلى المُحَــالْ عَاشِــقاً بُعْــدَه السَّــحِيقْ
فــإذا شَــارفَ المَنَــالْ خلْتَــه مِــنْ لُقَــي الطَّريــقْ[٢]

* * *

ضِقْــتَ بالقيــدِ مِــنْ ذَهَــبْ ضِقْــتَ بالأمْــنِ والقَــرَارْ
فَانْطَلِــقْ ثم لا تَثِــبْ عِشَــتْ للخــوفِ والعِثَــارْ[٣]

* * *

١- اللُّقى: ما طُرِح وترك لهوانه على الطريق
٢- العِثار: السقوط

حلم قديم*

طَافَ بِي مُستَطلِعاً حُلْمِي القَدِيمْ

فَتَطَلَّعْتُ إليه في وُجُومْ

قلتُ: مَنْ أنْتَ؛ فأغْضَى خَجلاَ

قال لي: حُلْمُكَ في العَهْدِ الوَسِيمْ![1]

قلت! يَا حُلْمُ. متى عَهديَ ذاكْ؟

منذُ كَمْ يا حُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ

قال: لَم يَبْعُدْ بأطيافِي المَدَى

قلتُ: ما أبْعَدَ ما مَرَّتْ خُطَاكْ

شَدَّ يا حُلْمِيَ ما قَدْ حَالَ حِسّي؟

شَدَّ يا حُلْمِيَ ما أنْكَرتُ نَفْسي!

أتُرى ذاك الذي نَعْرِفُه؟

قال: ما تُبْصِرُ عَينِي غيرَ رَمْسَ[2]!

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥

١- الوسيم : الحسن الجميل

٢- الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

وَمَضَى عَنِّي في يأسٍ عَقِيمْ

سَادرَ الخَطْوةِ فِي الأرضِ يَهيمْ[1]

قلت: يَا حُلْمِيَ تمضي مُفْرَداً

ليسَ في الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَميمْ![2]

* * *

١- يهيم: لا يدري أين يتوجه

٢- الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ، تُوَلْوِلُ بِالنُّواحْ
والأفقُ مخضوبُ الأديم، وقد تَأَذَّنَ بالرَّواحْ[1]
أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمينَ، فأينَ كنتِ لدى الصبَّاحْ؟
وَجهُ الخريف، يُطلُّ فاستمعِي لإعوالِ الرِّياحْ!

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ، فويحَ أيامِ الشبابْ!
لا نستقِي إلاّ عَلَى رَنَقٍ وأنفسُنَا غِضَابْ[2]
لم تَصْفُ كَأْسُ حياتنا يوماً ولا لَذَّ الشرابْ
والآنَ تَنطلقينَ في لَهَفٍ إليَّ وفي ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالِهتَانِ لاَهِفتَانِ كلُّهما دُعَاءْ[3]
وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلَّعَ في قُنوتٍ للسَّماءْ[4]

---

* نشرت عام ١٩٤٧م
١- الأديم: بياض النهار.
٢-الرنَق: كدر (الماء المتعكر)
٣- والهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان
٤- قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامِي الظِّماءْ؟!

صَمْتُ الخريفِ يَلُفُّنِي وعليه شَاراتُ المَسَاءْ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنِّي

ما عَادَ يُوقِظُنِي نِداؤك خِلْسَة مِن بعد وَهْنِ

ماتتْ مُنَايَ جَمِيعُها، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنِّي؟

فَرَقَ الزمانُ طريقَنا، فامضِي وحَسْبُكِ ذَاك مِنِّي!

* * *

هَذِي خُطَاي على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ خُطَاكْ[1]

الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ

شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تشعُر بِهذا أو بذاكْ

تَتْلُوهُما الأشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ![2]

* * *

١- واجفة: مضطربة

٢- دَرَاكِ: متتابعة



لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ

سعادة الشعراء*

دَعْنِي ولا تَنْفُسْ عَليّ مَواهِبي ... خُذْهَا وخُذْ أَلمي بها وَمَتاعِبي[1]

دعْني فلستُ كما حَسِبْتَ مُنعّماً ... بمواهب مَلَكَتْ عَليَّ مَذَاهِبي

أنتَ الخَلِّي فخلِّني وعَواطِفي ... آلمَت وُجْدَاني فَلَسْتَ بِصَاحِبي

دَعْني أعيشُ كما يَشاء لِيَ الأسَى ... لا كنتَ مِثْلي. لادَهَتكَ نَوائبي

إني شَقِيٌّ لو علمت دَخَائلي ... فَدَعِ المظَاهِرَ لا تَرُعْكَ جَوانِبي[2]

* * *

الشِّعرُ من نِعَمِ الحياةِ عَرَفْتُه ... وعَرَفْتُ فيه البُؤسَ ضَرْبَةَ لازِبِ[3]

الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ ... ألماً وَوَجْداً في حنينٍ ذَاهِبِ[4]

مَا ضَرَّ قوماً لا تُذَابُ قلوبُهم ... شِعْراً وَدَمْعاً مثل قَلْبِي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَعُ بالحياةِ وتَرْتَضِي ... منها مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمثَالبِ

والشاعِرُون تَؤزُّهم أدْرَانُها ... يَبْغُونَها لم تمتزجْ بِشَوائبِ[1]

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لازب: ثابت، لاصق.

٤- الحُشاشة: بقية الروح في الجسد.

حِـــسٌّ أرقُّ مـــن الأثـــيرِ يُهيجُه ما قـــدْ تمرُّ عليـــه مَـــرَّ اللاعبِ[٣]

وهي الحيـــاةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُـــعورُه ألم وأن يُكَثِّـــفَ° فَلـــذةَ رَاغـــبِ[٣]

* * *

مَنْ لِـــي إذَا جَنَّ الظـــلامُ بَهْدأةٍ كالهادئـــينَ وَمَـــنْ يُطَمْئِـــنُ جَانِبي

أنـــا في الطبيعةِ مُغرمٌ بِمشـــاهدٍ تُلَهِـــي فؤادِي عـــن أعَـــزِّ رَغَائِبي

الليلُ يُشْـــجِيني بِرائِـــع صَحْوِه وكواكـــبٌ يَغْرُبْن إثْـــرَ كَواكبِ[٤]

والبـــدرُ يُوحِي لِي بســـرِّ طوافه مُسْتَوْحِشـــاً لم يأتنـــسْ بِمُصَاحِبِ

والحُسْـــنُ يَدْعُـــونِي إليـــه فأنثَني ويَصُدُّنِـــي عنـــه بِصَفْقَـــةِ خَائبِ

* * *

البائِسُـــون إِذا سَـــمِعْتُ أنينَهم أحسســـتُ أن مصابَهم هوَ صَائِبي

والبَاسِـــمُون إِذَا شهدتُ ثَغورَهم هَاجتْ حَنيـــني للصَّفـــاءِ الذَّاهبِ

والبعـــدُ يُؤذِيـــني ورُبَّ مفارقٍ لَـــمْ يُـــؤْذِه يَومـــاً تَنائـــي غَائِبِ

وكَرَامـــةٍ لو مُسَّ منهـــا جانبٌ أصْغَرْتُ عيشِـــي عندَهـــا ومَطالِبي

بَلغَ الحِفاظُ بِها القداســـةَ والتُّقَى وحَـــذَارِ وَهـــمٍ خَاطِـــئٍ أو صَائِبِ

* * *

١- تؤزهم: تزلزلهم.، أدراها: أوساخها

٢- الأثير: المراد النسيم

٣-يُكثِّف: من كثف يكثف: يغلظ

٤- الصحو: الهدوء والصفاء.

٥- سمتها: أذقتها

يَاليتَ لي نَفســـاً إذا مـــا سُمْتُها   عَكَرَ الورودِ استرشـــدتْ بتجَارِبي[٥]

لكنَّها نفـــسٌ سَـــمَتْ فَتَأَلَّمتْ   والمـــاءُ لا يصفُـــو الحياةَ لشـــارِبِ

دَعْنِـــي أعيـــشُ مُعذَّبـــاً متألماً   بمواهِبـــي يـــا شِـــقْوتي بِموَاهِـــبي

* * *

سخرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ أنّهـا ألعـابُ دَهْـرٍ سَـاخرِ
مَاهـرٍ يَهْـزَأُ بالمُسْـتَهزئينَ يبعـثُ النُّكْتَـة عفوَ الخاطـرِ![1]

* * *

وسَـواءٌ أضحكـتْ سُـمَّارَه أم دَهَتْهـمُ بالرزَايـا والمِحـن
فهـو يُلقِـي أبـداً أدوارَه وهـو لا يُسـألُ عن مـاذَا ومَن؟

* * *

يسـمعُ الأنّاتِ تشـتقُّ القلوبَ صارخاتٍ كشـجِيّاتِ النُّـواحِ[2]
ليكادُ الصَّخْرُ مِـنْ هَوْلٍ يَذُوبُ وهـو يَلْقاهـا بِهُـزءٍ ومِـزَاح!

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلّف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثُوا لي ما استطعتُم عن صديقْ فلقـــد أعيانـــي البحـــثُ الكثيرْ!
مخلِـــص الطَّبْـــعِ له قلـــبٌ رَقيقْ خالصُ الإحســـاسِ فَيَّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبداً
لصديقٍ أصْطَفيه مُفْرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدى
غـــيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ[1] نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقْ ويَـــرى الغـــدرَ بإعجـــابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ بحبِّ الأصدقاءْ[2]
وتغنيتُ بألحانِ الوفاء
ساميات كأناشيدِ السَّماءْ
ســـكرةٌ عَجْلى ومـــنْ ثَـــمَّ أفيقْ فـــإذا بي ألْمَـــسُ الغـــدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْـــلاصُ خَـــلاَّبٌ بريـــقْ مِنْ سَـــرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِيرْ[3]

---

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٣٠.
١- صفيق: قبيح.
٢- همت: تعلقت.
٣- خلاب: خدّاع ببريقه.

أيهــذا الكــونُ إنْ كنــتَ تُجيبُ!

أيُّ عيــش في حِمي الغــدرِ يَطيبُ؟

ثم مــاذا تَبتغِــي تلــكَ القلــوبْ

غيرَ إحســاسٍ من العطــفِ رقيقْ   يَغْمُــرُ الأرياحَ فَيّــاحَ العَبِيرْ[1]

فــإذَا العيــشُ رَجَــاءٌ ووُثــوقْ   وإذا الكــونُ رِضــاءٌ وَحُبــورْ

* * *

إنَّ هــذا العطــف رَمْــزٌ للخُلودِ

وغِذَاءُ الــرُّوحِ في هــذا الوجُودِ

كلُّ ما فِــي الكونِ لــولاه زهيدْ

ورَحيبُ العيشِ لولا العطفُ ضِيقْ   والنعيمُ العَزَبُ مَسْــلُوبُ النعيمْ[2]

وأرى الإنســانَ بالعطــفِ خليقْ   في جحيمِ العيــشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

١- فياح : منتشر

٢- العَزَبُ: البعيد الخفي.

ابحثُــوا لي بــينَ أطيــافِ الرجــاءِ
عن صديقي ذلــك الطُّهْــرِ البَراءِ
لــن أملَّ البحــثَ لو طَــالَ العَناءْ
ليس هذا اليــأسُ باليــأسِ الحقيقْ   فهو لن يُخْبي في نفسِــي السَّعيرْ
حِــيرةٌ تائِهــةٌ مــا إنْ تُفيــقْ   وهي الوحدةُ أو عَيــشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يــا طيفَ الأمَلْ
هَاهُنــا قلبٌ مــن الوحــدِة مَلْ
ينشدُ الإخلاصَ في قلبِ خَضَلْ[1]
وهو لا ينــوي عِتابــاً لصديقْ   حينمــا يُخطــئُ أخْطَــاءَ الغَرِيرْ[2]
فبحســبي قلبُه الســمحُ الرقيقْ   في فَيــافي العيــشِ إلْفــاً لِــي سمِيْر

* * *

١- خَضّلْ: عضٌّ طري
٢- الغرير: الساذج، عديم التجربة

خراب...!*

أقْفرتْ شَـيئاً فَشـيئاً كاليباب   غـيرَ آثارٍ مـن النَبْتِ الهَشِـيمْ[1]
باقيـاتٍ ريثمَا يَسْـفَى التراب   فـإذا الكـونُ خَلاءٌ في وُجُـومْ[2]

* * *

كان ينمُـو هاهُنا النَّـورُ صغيرْ   فـوقَ نبـتٍ لَيِّـنِ العـودِ هَزيلْ
فَـذَوي النَّوْر، ومـا كانَ نَضيرْ   إنمـا المُعْـدَمُ يَرضَـى بالقليـلْ!

* * *

زهرةٌ في إثْـرِ أُخـرى تُحتَضَره   وهْـو يرنُـو ذاهـلاً للزَّهْـرَاتْ
مُلْقَيـاتٍ حولَـه بـينَ الحُفَـرْ   والرِّيـاحُ الهُوجُ تَـدوِي مُعْوِلاتْ

* * *

وإذا الكـونُ حوالَيـهِ خَـرابْ   مُوحِشُ الأرجـاءِ مفقودُ القَطِينْ[3]
وهو يرنـو في وُجـومٍ واكتئابْ   يكتـمُ العَبْـرَةَ فيـه والأنـينْ

* * *

ويُـدوِّي حولَه صَمـتُ الفَناءْ   حيـث تُمْحَـى كلُّ آثـارِ الوجُودْ
أينَ؟ – لا أينَ! – الأماني والرّجاءْ   طَمَسَ اليـأسُ عليهـا والكُنُودْ[4]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١– الهشيم: اليابس من كلّ شيء

٢– يَسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.

٣– القطين: المقيم.

٤– الكُنُود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدها.

فريف الحياة *

بَكَــرَ الخريفُ فلا ورودَ ولا زهورْ ومَشــي الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ

صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو رُ بها، وما تشــدُو الجداوُل بالخريرْ

وسَــرَى القفارُ بكلِّ مُخصِبَةٍ فَما تجدُ الخصيبَ بهــا؛ وما تجدُ النضيرْ

والسُّــحبُ طافيةُ تُغشّي كالسُّتور وتسـيرُ وانيةَ الخُطا سـيرَ الأسيرْ

فإذا الحياةُ يغضُّ رَونَقها الأســي وإذا القلوبُ بها كَلِيمٌ أو كَســيرْ[1]

* * *

والحبُّ! ويحَ الحبِّ من هذا البكورِ غامت عليه ســحابةُ اليــأسِ المريرْ

وذوتْ بِجنتــهِ أفانــينُ المُــنى وخَبا بهيكلِ حُســنهِ القبــسُ المنيرْ

وسَها عن التقديس والتسبيحِ في محرابهِ العُبّــادُ مَسْــحُورو الدهورْ

ومَشَوا بساحتِه كما يمشي الخليُّ مــن الغرامِ فــلا حنينَ ولا شُــعورْ

هانتْ شَــعائرهُ ومَسَّ ســتورهَ في جُرْأةٍ، غــيرُ المقــدسِ والطّهورْ

* * *

الأرضُ غــيرُ الأرضِ في دورانِها لتكادُ مِــنْ فَرْط السّــآمة لا تدُورْ

والريحُ غيرُ الريــحِ في جَولانِها لتكادُ تكتــمُ في جَوانِحها الزفيرْ[1]

* نشرت عام ١٩٣٤

١ - يَغضُّ: يتراجع. الرونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غـــيرُ الطـــيرِ في ألحانِها لتكادُ تَنْعَبُ بالخـــرابِ وبالثبور[٢]

والنـــاسُ غيرُ النـــاسِ في آمالِها ليكادُ يجثُـــو اليأسُ في تلك الصدورْ

بَكَر الخريـــفُ فويلَه هذا البكورَ ودنَا المصيرُ فويلَه هـــذا المصيرْ![٣]

* * *

١- الجوانح: مفردها الجانحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢- الثبور: الهلاك.

٣- هنا نداء محذوف: (فياويلهُ)

النفس الضائعة*

أأني أنــا؟ أم ذاك رمــزٌ لغابرٍ؟ لأنْكَرْتُ من نفسي أخصَّ شعائري!

لأنْكَرْتُ إحساسي وأنكرتُ منْزَعي وأنكرتُ آمالي، وشتَّى خَواطري[1]

وأنكرتُ شِعْري وهو نفسي بريئةٌ مُمَحَّضــةٌ مــن كلِّ خِلــطٍ مُخامرٍ

وتَفْصِلُني عما مضى من مَشاعِري عهــودٌ وآبــادٌ طِــوالُ الدياجــرِ

وأحســبُها ذكرى؛ ولكنَّ بُعدَها يخيّــلُ لِــي: أنْ لم تمــرَّ بخاطِــري!

* * *

أنَقِّبُ عــن ماضيَّ بين ســرائري فألْمحُه كالوهمِ؛ أو طيفِ عابرِ[2]

أعيــشُ بــلا مــاضٍ كأنِّــيَ نَبتَةٌ على السطحِ تطفُو في مهبِّ الأعاصرِ!

ومــا غابــرُ الإنســانِ إلا جُذورُه فهل ثَمَّ نَبْتٌ دونَ جِــذْرٍ مُؤازِرِ؟

وقد يتعــزَّى المرءُ عن فقــدِ قابلٍ فكيفَ عزاءُ المــرءِ عن فَقْدِ غابرِ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفسِــي التي قد فقدتُها بنفسِــي التي أحيا بها غيرَ شاعرِ!

واطلبُها في الــروضِ إذ كان هَمُّهَا تَأَمُّلــهُ يُفْضــي بتلــك الأزاهرِ

وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غَفا تيقَّــظَ فيهــا كل غافٍ وســادرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- منزعي: المنزَع: النزوع إلى الغاية والنزوع: الحنين والشوق.

٢- أنَقِّبُ: أبحَث

وفي الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى   وتُوميءُ للأرواحِ إيماءَ ساحرِ

وفي الفجر، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذى   يفوحُ، ويُشْجي سَمْعَهُ لحنُ طائرِ[1]

وفي الحبِّ إذ كانت شَواظاً وحُرْقَةً   ومَهْبِطَ آمالٍ ومَطْمَحَ ثائرِ

وفي النَّكْبةِ النَّكْباءِ والغبطةِ التي   تجودُ بها الأقدارُ جُودَ المُحاذِرِ!

ولكنّني أيئسْتُ أن ألتقي بها   وتاهتْ بوادٍ غامرِ التيه غَائرِ

سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه   يدانِ، ولا يَجْلُوه ضوءٌ لناظرِ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجي: يطرب أو يثير إحساساته.

الغد المجهول*

ياليتَ شِعْرِي، ما يُخبِّئُه غَدِي؟ إني أروُحُ مع الظنونِ وأغْتدي[1]

وأُجِيلُ بَاصرتِي بها وبَصيرَتِي أبغي الهُدى فيها، وما أنا مُهتَدِ[2]

حتى إذا لاحَ اليقينُ خِلالَها أشفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ

وأشحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعَوْتُه وطرحتُ عني حَيْرَتِي وتردُّدِي

فكأنني الملاّحُ تاهَ سفينةٌ ويخافُ من شطّ مريبٍ أجْرَدِ!

* * *

مَاذا سَيُولَدُ يومَ تُولَدُ يا غدِي؟ إنّي أُحسُّ هولِ هذا المولدِ!

سَيصرِّخُ الشكُّ الدفينُ بمُهْجَتي فأبيتُ فاقدَ خيرَ ما ملكتْ يدي

ستروغُ مِنْ حولي عواطفُ لم تزلْ تُضفي علي بعطفِها المُتوددِ

ستَجفُّ أزهارٌ يفوحُ عبيرُها حَولي؛ وينفحني بها الأرجُ النّدي[3]

والمِشْعَلُ الهادِي سيخبُو ضؤوه ويلفُّني الليلُ البهيمُ بمفردِي

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصِّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيبُ: فاح

ماذا تُخَلّفُ يـومَ تذهبُ ياغَدِي ؟ لاشـيءَ بَعـدِ الفَقْـدِ للمتفقدِّ

«سَـتُخلّفُ الأيـامَ قاعاً صفصفاً تذرُو الرياحُ بها غبـارَ الفدفدِ[٤]

لامُرتَجى يُرْجى، ولا أسـف على مـاضٍ يضيـعُ كأنّه لَـم يُوجَدِ

أبداً ولا ذِكْرى تُجَـدّدُ ماانطوى حتى التـألم لا يعودُ بِمَشْـهَدِى!

رَبَّـاه إني قـدْ سِـئمت تـردُّدِى فـالآنِ ،فَلْتَقدْمُ بهولـكِ ياغَدِي

* * *

[١] – صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدفدُ: الارض الواسعة المستوية لا شيء فيها

غريبا..! *

غريـــبٌ . أجـــل أنـــا في غُرْبــةٍ وإن حَــفَّ بي الصَّحْبُ والأقرُبونْ
غريـــبٌ بنفسِـــي ومـــا تنطوي عليـــه حَنايـــا فـــؤادِي الحنُـــونْ
غريـــبٌ وإنْ كَانَ لمَّـــا يـــزلْ ببعـــضِ القلـــوبِ لِقلـــبي حنينْ
ولكنّهـــا داخلتْهـــا الظنـــونُ وجَـــاورَ فيهـــا الشُّـــكُوكَ اليقينْ
غريـــبٌ فَوَاحاجـــتي للمُعـــين وواهـــفَ نفســـي للمُخلصـــينْ

* * *

أكادُ أُشـــارِفُ قفـــرَ الحيـــاةِ فأُشْـــفِقُ مـــن هولـــهِ المرعـــبِ
هنالـــك حيـــثُ رُكامُ الفَنـــاءِ يَلُـــوحُ كمقـــبرة الغيهـــب[1]
هنالـــك حيـــثُ يمـــوتُ الرّجاءُ وتشـــوي الأمـــاني كالمُتْعَـــبِ
فأرْجِـــعُ كالجـــازعِ المُســـتطار أُرجّـــي أمـــانيَّ في المَهْـــرَبِ[2]
ولكنـــه مُقْفِـــرٌ أو يـــكادُ فيـــا للغريـــبِ، ولم يَغْـــرُبِ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤
١- الغَيهَبُ: الظُّلمة.
٢- المستطار: الفزِع المذعور

مر يوم *

مَرّ يومٌ منذُ ما استيقظتُ أمس مَرّ يومْ!
نبأٌ يأباه وِجْداني وحِسّي فهو وَهْمْ

* * *

مَرّ يومٌ؟ قالتْ الساعةُ مَرَّ، قولُ واثقْ!
أسألُ الشمسَ: أحقًّا؟ والقمرَ فيوافقْ!

* * *

أهو يومٌ في الرُّؤى لا في الزّمان والحقيقهْ؟
أمْ تُرى يومٌ طواه العَقْرَبانِ في دقيقهْ؟ (١)

* * *

كيف مَرّ اليومُ! ما هذا العجبُ كيف مَرْ
تَكذبُ الأفلاكُ أمْ حِسّي كَذَبَ؟ أمْ سَحَرْ؟

* * *

لم تكنْ فيه حياةٌ أو أملُ أو تَمَتُّعْ
وهو محْسُوبٌ علينا في الأجلِ فهو أضْيَعْ!

* * *

تَحْسُبُ الأقدارُ بالْكمِ فلا هي تُفَرّقْ (٢)
بينَ يومٍ مَرَّ أو يومٍ حَلا أو تُحققْ! (٣)

* * *

ونُؤديها كما تَبْغي الحسابَ وَهْوَ عُمرْ!
فيه من خِصبٍ وفيه من يَبابٍ وهْي تَذْرُو (٤)

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم
٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.
٣- مَرّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.
٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثَّلاثِين نَصِّي! الرِّكابَ حَثيثةً ياليَالِ[1]
مَضي من العُمرِ أغْلى اللُّبَابِ فلستُ آسٍ لِغَالِ
مَضى من العُمرِ ما يُستَطابُ مِنَ بَهجةٍ أو جَمالِ
مَضى كما جَاء عَهدُ الشَّبابِ عهدُ المُنى والخيالِ
وضَاعَ في غَمرةٍ واضْطرابِ ومَرَّ دُونَ احتفالِ
فأسرعي ياليَالِ

عَلامَ مِنْ بَعْدِه تُمْهِلينْ؟ وأيّ غيبٍ تهابْ؟
وما احتفالٌ بِمرّ السّنين؟ من بعدِ مَرّ الشَّبابْ؟
وما الذي ياليالِ يكونُ بعد اكْتِهَالِ الرّغَابْ
يكونُ - وَاحَسْرتَاه - السكونُ عَلى ضفافِ اليَبابْ؟[2]
يكونُ - كالقيد - عَقلُ رزينٌ! يعطُو لشطِّ الصَّوابْ![3]
فيَ السُوءِ المآبْ[4]

---

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.
١- نَصي : اظهري من نَص ينصُّ: رفع وأظهر، عَّن وحدد.
٢- الرِّكاب: ما توضع فيه الرِّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.
الحثيثة: السريعة الجادة.
٣- يَعطو: يطلّع.
٤- المآب: المصير

فذلك العقلُ رمزُ القيودِ ونحنُ شَرُّ العُنَاه[1]
يَزُودُنا عن مراقِي الخُلُودِ وخَيرِ ما في الحَياهْ
والطيشُ رمزُ الشَّبابِ المُرِيدِ يَسمُو بِنا عَن مداهْ
فنحنُ نَرْنُو لهذا الوجودِ بِفتَنْةٍ وانْتِبَاهْ
فلا نُبالي بِصَرْفِ الجُدودِ ولا نَخافُ الغَداهْ[2]
فكلُّ يومٍ حَياهْ

يُضاعَفُ اليومَ منّي المُصاب إنْ لَم أعِشْ بالخيالِ
قَضَيتُ - واحسرتَاهُ - الشّبابَ كالكهلِ في كلّ حَالِ
يجيشُ بالنفس سَيْلُ الرّغابِ فلا يُمَسّي اعتدالي
وَوُجْهَتي في الحياةِ الصَّوَابُ ونظرتي للمآل![3]
عصيتُ أمْرَ الحياةِ المُجَابُ فكان رُشْدي ضَلالي!
فأسْرِعي ياليالِ

* * *

---

١ - العُنَّاه: مفردها عان: الخاضع الذليل.
٢- بصرف: من صرَف الدهر: نَوائبه وحِدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد : فلا يبالي بالأحداث التي يخخطها الحظ لنا.
٣- المآل : المصير والنهاية.

خطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزَّمنِ الوثَّـــابِ بعضَ التَّوثُّبِ   إلى أيـــنَ؟ قد أوْغَلْت في غيرِ مَذْهبِ
تَمُرِّيـــنَ كالأوهـــام لا أسْـــتَبِينُها   وتَمضِـــين عَنِّي مَوْكِبـــاً إِثْر مَوْكبِ
وإني كالمخمُـــور قد غـــابَ وَعْيُه   وكالشَّـــبَح الهَيْمانِ في غيرِ مَطْلَبِ[1]
تشـــابهت الأبعادُ عنـــدي فما أرى   أمامـــي فَرقاً بـــين نـــاءٍ ومُكْثَبِ[2]
ويـــا رُبَّمـــا أنـــس أمُـــوراً قَريبةً   وأوغل في الماضـــي البعيد المُنَكِّبِ[3]

* * *

خُطَا الزَّمنِ الوَثَّابِ. بعضَ التوثُّبِ   طَويت حَيـــاتي بينَ صبُـــحٍ ومَغْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي   ضَمْمـــتِ ثَنَاياه علـــى كلِّ مُعْجِبِ
وأسْـــتَرْجِعُ المَاضِـــي رُويـــداً وَهينَةً   أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحِكُ الصبِّي[4]
وأسْـــمَعُ أوهـــامَ الفـــتى وخَيالَه   كما يَسْمَعُ المُشـــتاقُ ألحانَ مُطْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي   أبَحْتُ له من مُهْجَتِي كلَّ مَشْـــرَبِ
وغَذَّيتُه نَفْسِـــي، وقَـــدْ بِعْتُ دُونَه   حَواضِـــرَ أيامي ومَاضِـــي المُجَرَّبِ

---

* نشرت في تشرين (اكتوبر) عام ١٩٣٧

١- الهَيمان: من هَامَ يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.

٢- ناء : بعيد. مكثب: قريب.

٣- المنكب: من نكب عنه: عَدَلَ وتنحَّى.

٤- هينة: بطيئاً.

قِفي. أنتِ قد جَفَّلتِ مَاضِيَّ فانزوي وَنَفَّـــرتِ آمالي وعَمَّيْـــتِ مَآرَبِي[1]

* * *

تَمرَّين يـــا أيـــام قَفْـــراءَ؟ أمْ أنا خَويتُ من الإحساس؟ قُولي وأطنبي[2]

وأحْسَـــبُ أنْ لَن تُعْـــربي بِمقالةٍ إذا كان سَمْعي لا يصيخُ لمُعْربِ![3]

* * *

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

٢- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

٤- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُـــدُ السُّــلْوَانَ من حُبٍّ عَقِيم وتـــرومُ البُـــرءَ مـــن دَاءٍ قـــديم

ها هُو السُّـــلوانُ فانْظُـــرْ: أتَرى شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ؟[1]

شَـــاه في خاطِرِك الكـــونُ وماتْ وتَخَلَّتْ عنـــك أحْلَى الذِّكْرَياتْ[2]

وبَـــدَا العُمْـــرُ حَزينـــاً عَاطِـــلاً كامِدَ السَّـــحْنَةِ مَجفُوّ السِّـــمَاتْ

قَدْ مَضَـــى الحُلْمُ، فحقِّق في العَيانْ هل تَرى إلاَّ خـــواءً في الزَّمَانْ؟[3]

وتهاويلُ الـــرُّؤى... يـــا ويحَها! غالَها الصَّحْوُ فماتـــتْ مُنْذُ كَانْ![4]

نَـــمْ قَرِيرَ العـــينِ إنْ كنـــتَ تَنامْ لَفَّكَ الصمـــتُ وغَشَّـــاكَ الظَّلامْ

يَأمَـــنُ الدُّنيَـــا ويَخْلُـــو لِلكَرى مُعْـــدَم الكفينِ مَفْقُـــودَ الحُطَامْ![5]

قَدْ خَلا الهيكلُ مـــن وَحْي الصنَّمْ وغَدا معبـــودُكَ الأسْـــنَى حُطَمْ[6]

أتُطيـــقُ الآن تَحيـــا مُلْحِـــدَا أم تُـــرى تَخلُـــو لشـــيطانِ النَّدَمْ

ضِقْتَ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ أتَـــرى الأمْـــنَ هُنا بـــين اليبَابْ؟

---

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قبُح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

٦- الأسنى: الأعلى

أيهـا المنكـوبُ في أحْلـى المُنَى الحياةُ الحـبُّ والحُـبُّ العَذابْ!

ضِقْـتَ بالقيدِ! فها أنـتَ طلَيقْ! ما يُبَاليـكَ إذن حَـادِي الرِّفيقْ!

فَهُـو يُخْلِي في الفيافِـي كلَّ مَنْ لا يُسـاوي ثَمَنَ القيـدِ الوَثيقْ![1]

عُمْـرُكَ الفَـارِغُ كالثِّقْـلِ زَهيدْ ليس فيـه مِنْ طَريـفٍ أو تَليدْ[2]

وهـي الأيـامُ تَقْضِـي مِثْلَمـا تَنْقَضِـي أيـامُ مَأجُـورٍ شَـريدْ

أيـنَ أحْلامُكَ بالعُـشِّ الجميلْ؟ أيـنَ آمَالُـك في الظِّـلِّ الظَّليلْ؟

قَـدْ مَضَـى الحُلْمُ ووَلّـى مُوهِنَا فاركَـنْ الآن إلى الصّحوِ الطّويْل!

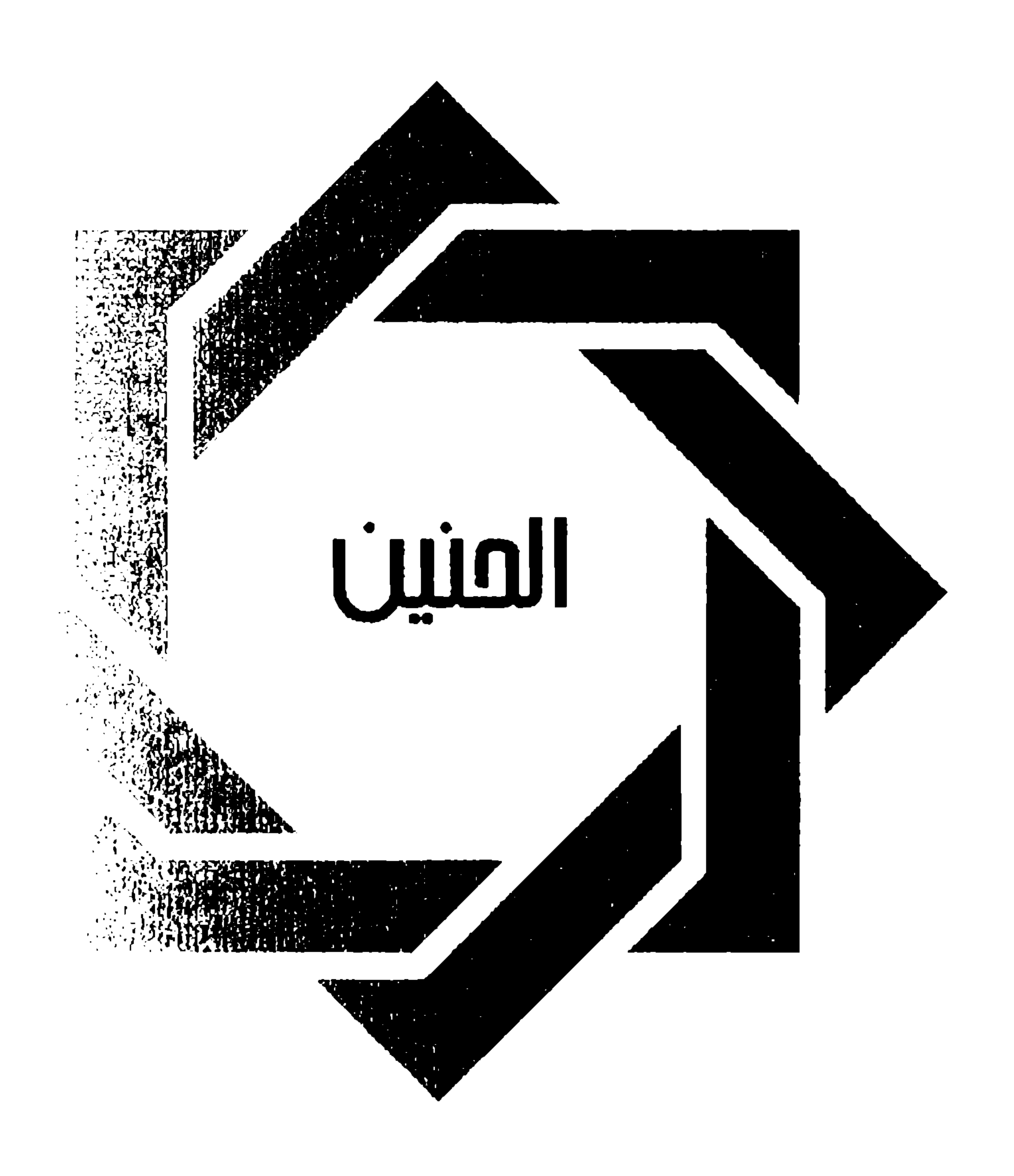
تَمّـض يا منكودُ ما كنـتَ تَرومْ ومَشَى السُّـلوانُ في الحبِّ القديمْ

نَـمْ قريـرَ العَينِ واهنَـأ بالكَرى الكَـرى المَيّتِ في القلـبِ العَقيمْ!

* * *

١- الفيافي: الصحراوات

٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم



كان ، والمؤلمُ في (كان) الفَنَاءُ !

حيث لا رُجعي ولا طيفُ أمَلْ

عهد الصغر *

إذا الليـــل جَـــنَّ تجيــشُ الفِكَــر ويُــؤرِّقُ جَفْنِــي مَــرُّ الذِّكَرْ[1]

ويخلُــو فــؤادِي لأحلامِــه فيجعــلُ منهــا حديثَ السَّــمَرْ

وتَخْلُــدُ رُوحــي إلى الذكرياتِ فَتَسْــري تِبَاعــاً سِــراعاً تَمُــرْ

فآنــاً تُــؤزُّ وآنــاً تَلــذُّ وآنــاً تَسُــوءُ وآنــاً تَسُــرْ[2]

هــدوءٌ طويــلٌ وصمــتٌ رهيبٌ وفي النَّفْسِ أشــجانُها تَشْــتَجِرْ

إذا مــا ذَكَــرْتُ زمانــاً تَقَضَّــى بديــعَ الرُّسُــومِ جميــلَ الأثــرْ

تــراءى لِنَفْسِــي عهــدُ الصِّغَــرِ فتشــتاقُ نَفْسِــي لعهــدِ الصِّغَرْ

لعهــدِ الرِّضَــاء وعهــد الحُبورِ وعهــدِ الصَّفَــاء القليــلِ الكَدَرْ

أنــامُ وأصْحــو علــى ما أشــاءُ طَــروبَ الفــؤادِ قريــرَ النَظَرْ

وتصحُــو الغزالــةُ مِــن خِدْرِها فتزهُو الــورودُ ويحيــا الزَّهَرْ[3]

وتبــدو الرِياضُ ريــاضُ القُرى بوشــيٍ جميــلٍ ووجــهٍ نَضِــرْ

ويَسْــجَعُ فيهــا الحمــامُ طروباً وتشــدُو البلابلُ فوقَ الشــجرْ

---

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تجيش الفكر: تتدافع وتتدفق الأفكار.

٢- تؤز: تزلزل بشدة.

٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعـــى الله عهـــداً جميـــلاً تَولَّـــى وخَلّفَنِـــي للأســـى ثُـــمَّ مَـــرْ
وأسْـــلَمني لِصعـــاب الأمـــورِ وكيـــدِ الصُّروفِ وطولِ السَّـــهرْ

* * *

ألا يَـــا رَعـــى الله عهـــدَ الصِّغَـــرِ ألا يـــا لحـــا الله عهـــدَ الكِبَرْ[1]
فذلـــك عهـــدٌ صبَـــوحٌ أغَـــرْ وهـــذا عبـــوسٌ ظَلـــومٌ قَتِـــر

* * *

١- لحا فلاناً: قبّح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدِّثـــاني بمـــا مَضَـــى حَدِّثَانِـــي وأعيـــدَا إليَّ عَهْـــدَ الأمانِـــي

واذكـــرُا لي زمانَ عشـــتُ طَروباً لا أُبـــالي بحادثـــاتِ الزمـــانِ

وصِفَـــا لي لياليـــاً قَـــد تَقَضَّـــتْ كنتُ فيهـــا كالحالِم الوَسْـنَانِ

صَوِّرَا لي الريـــاضَ والزهرَ والوردَ ولحنَ الطيـــورِ عَـــذْب الأغانِي

وأعيـــدَا لِمَسْـــمَعِي ذكريـــاتٍ لا تَصَـــدَّى لهـــا يـــدُ النِّسيانِ

واسمَحَـــا لي بزفـــرةٍ وحَنـــينٍ ليس لي سَلوة سِـــوى التحنانِ[1]

واغفـــرا لي دُمـــوعَ عيـــني فـــإني لأرى الدمـــعَ فـــوقَ كل بيـــانِ

إنَّـــه النَّفْـــس رُقِّقَـــتْ ثم سَـــالتْ أو هـــو القلبُ ذَائبـــاً من حنانِ

وأقـــلُّ الوفـــاءِ للعهـــدِ ذِكْـــرى هي خيرٌ مـــن حاضـــرِ الأزمانِ

وقليـــلٌ عنـــد التذكُّـــر شـــوقٌ ودُمـــوعٌ تُكِـــنُّ أسْـــمى المعاني

إنّ ذِكْـــرى القديمِ للنَّفْسِ تُؤسِـــي وتُهيِّـــجُ الشُـــجونَ للوجـــدانِ

وهُـــو واللهِ بعـــضُ أجزاءِ نَفْسِـــي باعـــدتْ بينهـــا يَـــدُ الحَدَثَانِ[2]

فاذكُـــرَا لِـــي القديمَ همســـاً ورفقاً ودَعَـــانِي أجيـــشُ لا تَعـــذِلانِ

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١ – التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢ – الحدثان: الليل والنهار

يــا ديــاراً نَشــأتُ فيهــا صبيًّا   وصَحِبتُ الشــبابَ في العُنفُوَانِ

لــكِ مــني تحيــةٌ وســلامٌ   أنــتِ دارُ النعيــمِ والرِّضْــوانِ

فيــك يــا دارُ من صِباي رســومٌ   زاهيــاتُ النقــوشِ والألــوانِ

هــي عندي أعــزُّ من كلِّ شــيءٍ   وهــي تبقــى وكلُّ ما عَــزَّ فَانِ

فيــك يــا دارُ من هَواي رَســيسٌ   وألــذُّ الهوى هــوى الشُّــبانِ[1]

* * *

فهو رَوضُ الحيــاةِ في ذلكِ الحينِ   وفيــه القُطــوفُ شــتى دَوانِ

وهو وحي من جانــب الله يُوحي   وهــو ســرُّ الإلــه في الإنســانِ

مــا أرى العيشَ غــيرَ حبٍّ بريءٍ   مــن ذميــمِ الأهــواءِ والأدْرَانِ

رُبَّ يــومٍ قضيتُــه في حُبــورٍ   بــين جمــعٍ من صفــوةِ الخِــلّانِ

دونَــه الدهــرُ والحيــاةُ جميعــاً   في رِضــاءٍ ومتعــةٍ وامتنــانِ

* * *

إن تلــك الحيــاةَ شــيءٌ عجيبٌ   وهــي النَّفْــسُ كلَّ يومٍ بِشَــانِ

كيــف كان الربيــعُ ثوبــاً بهيجاً   وهــو اليــومَ نَاصِلُ الألــوانِ؟[2]

ها هــو الروضُ والــوردُ والزهرُ   وهــذا الحَمَــامُ مــن فــوق بانِ

لا أرى الــوردَ غير جذرٍ وســاقٍ   أو أُحِــسُّ الغِنــاء عذباً شَــجاني

١- رسيس من رسّ يُرسُّ رسيساً: دخلَ وثبت المراد: أثر باق ثابت.
٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصلَ اللون : زال اللون

إنما النَّفْـسُ حين تَصفُـو تَراها   خلعـتْ صَفْوها علـى الأكوانِ

وهـي النَّفْسُ حـين تَغْبَـرُّ يَبْدُو   كلُّ نـورٍ أمامهـا كالدُّخَـانِ

لو تسـاوى الإحساس في كلّ آنٍ   تتسـاوى الأشـياء في كلّ آنِ

عَمَّـرك الله مـا المحاسِـنُ إلا   صـورةُ النَّفْـسِ في بديـع افتنانِ

وكـذا القُبْحُ صورةٌ قـد تَراءتْ   في خيـالٍ فحُققـت للعيـانِ

فرعـى الله عهـدَ أُنـس أراني   صـورةَ الكَونِ في جمالِ الحسـانِ

وَرَعـى الله خـيرةً ورفاقـاً   ورَعَـى الله أربعـاً ومَغـاني[1]

* * *

١- أربعاً: مفردة ربع، والرَّبع محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَــبَحُ الماضي وما الماضي سوى بعض نَفْســي قَــد تــولاَّه العَدَمْ
يَتــراءى كُلَّمـا شَــطَّ النَّـوى فــإذا الذكــرى شُــجُونٌ وألمْ
وإذَا الكَامنُ في نَفْسيَ ثَارَ
جَائشاً مُضْطرماً
كالجحيمْ
كُلَّمــا أقْبــلَ يــومٌ ومَضَــى أَوْغَــلَ الماضي بمجهول سَــحيقْ
ذاهبــاً عــني كــبرق أوْمضَــا ثم دَوَّى بعــدَه الصمــتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحته صَخَبٌ مُثَارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا
ووجُومْ
آه لو ملكــتُ تصريــفَ الزَّمْن كيفمَــا أهــوى وأنّــي أَرْغَــبُ
لرجعــتُ الدَّهْرَ للماضــي إذَنْ فــإذا بي حيــثُ كُنَّــا نَلْعَــبُ
ورفاقٌ ليِّنُو العودِ صغارٌ
ليس تدرِي الألَمَا
والهُمُومْ
زَهَــرَاتٌ نَضِــرَاتٌ باسمــاتٌ تلمــح الغبطــة فيهــا والرضاء
مَرِحَــاتٌ مَشْــرقاتٌ لاهيــاتٌ لا تَــرى في الكونِ إلا ما تَشَــاءْ
فَهْوَ روضٌ زَاهرٌ دَاني الثِّمارِ
وَهْيَ نورٌ قد نَمَا
في الكُرومْ

تَتَساقى الودّ مِنْ غيرِ انْتباه فإذا العيشُ سرورٌ وفَرَح[1]
وإذا الكونُ وما فيه حَيَاه تتبدّى في نشاطٍ ومَرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعِيمْ
أينَ منّي ذلك العهدُ الوَسِيمُ أينَ منّي بعضُ أيام الصِّغر
إنّها مَرَّتْ كما يهفُو النسيمُ فَيُحَيي ويُحييه الزّهَرْ
ذهَبَ الماضي وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُما
كالظّليمْ[2]
أيُّها الماضي رُويداً في خُطَاكَ فعلامَ اليومَ تَمْضي مُسْرعاً
إيه مَهْلاً حَسْبُنَا طولُ نواكَ وبِحَسْبِي مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا(١)
لَجّتْ الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب
٢- كالظليم: ذكر النعام.
٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد *

أأنــا أرثيــك يــا عَهْــدَ المُنَى؟ أأنــا أرْثيــكَ يــا عهــدَ الوَفَاءِ؟
أنْــتَ يَــا عَهْــدُ أأرْثِيــكَ أنَا؟ لا. فَلَــنْ أقْوى على هــذَا الرّثَاء!

* * *

لا. ولَنْ يَجــرى على الطّرْس قلمٌ لا. ولَــنْ تُعْلِــنَ هَــذَا كَلِمَاتْ[1]
أرِثَــاءٍ؟ أغَــدَا الماضِــي عَــدَمٌ؟ أو هــل يَغْــدُو رَهينــاً بِفَواتْ؟

* * *

رَبِّ . حقٌ ذاكَ أمْ هاجِسُ ســوُء يَنْفُــثُ الهــمَّ بِنفسِــى والقَلَقْ؟
أمضَى عهــدٌ هو العمــرُ الهنيءُ؟ أو حــقٌ ذاك يــاربُّ أحَــقْ؟

* * *

أَوَ عهــدٌ هــو رَيّــا مُهْجَتَــين وهُو سَــارٍ في الحَنَايَا والشّعَاب[2]
يَنْطَــوِى كا لــبرقِ في غَمْضَة عينٍ ثم يبــدُو لا ئحاً مِثْل السَّــرَابْ؟

* * *

أَوَ يغــدو ذلــك العهــدُ الوســيمُ حُطَماً تَلْهُو به أيــدِى الفَنَاءْ؟
زَهْــرةٌ في الكُــمِ تَلْقَاهَــا هَشــيِمْ ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِــقاء[3]

---

* نشرت في أيلول (سبتمر) ١٩٢٩.
١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه
٢- ريّا مهجتين: ما يروى قلبين.
٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أهُنَـــا مَثْــواكَ يـــا عهـــدُ. هُنا؟ أهُنا يـــا عهد أقْصَـــى خُطَواتكْ؟

وإذَا أدْعُـــوك يـــا عهـــدَ المُنَـــى لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتكْ؟

* * *

وإذَا قَلّبْــتُ يـــا عهـــد ُ يـــديَّ حســـرةً قاتلـــةً أو لَهْفَـــا

أتُـــرى تَرنُـــو بإشـــفاق إليَّ أم تَـــرُدّ الطَّرْفَ عَنّـــى صَدْفَا؟[1]

* * *

ولو أنى اســـطعتُ يا(عهـــدُ) الرّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ ســـنينْ

فبـــأي القـــولِ أســـطيعُ الوَفَـــاءْ وبـــأيّ الدمـــعِ تُذْريـــه العيونْ؟

* * *

أنْتَ جـــزءٌ من فؤادِى قَـــدْ فقدتُه ما غَنَاءُ القـــولِ في صَدْعِ فُؤادْ؟

أو غَنَـــاءُ الدّمْعِ في مـــاضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجّـــى مِنْ تلادْ؟[2]

* * *

آه يـــا عهـــدُ ومـــا آلَمَ آهُ وهي ذَوْبُ النفـــسِ لا رَجْعُ أنِينْ

أُغـــربِي عَنّـــي بعيـــداً يـــا حَيـــاهْ لا يطيـــقُ العيشَ منكـــوبٌ حزينْ

* * *

١- صدَفا: من صَدَفَ عنه يَصدفُ: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.

٢- تلاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُزَّ حتى لَتُوقِيه العيونُ   وتَفْديه الأمَاني والقُلوبْ

وتَسامَى عَنْ مَنالاتِ الظُّنونِ   وبَدَا كالخُلْد مَأمونَ المَغيبْ

لا تَراه النفسُ إلاَّ بَاقيا

أبدَ الدهر قويّاً وَاقيَا

طاهرَ الأردَانِ عَفًّا سَاميَا[1]

كالرجاءِ العَذْبِ في الذِّهن الخصيبِ   زَاخِراً مَا إنْ يُرائِي أو يَخيبْ

هُو عَهدٌ صِيغَ مِن حُبٍّ نَقيٍّ   وسُمُو فوقَ إحْساسِ البَشَرْ

وَوِقاءٌ سابغُ الغيضِ نَدِيٌّ   وحَنانٌ مِثلَ أرْواحِ الزَّهَرْ[2]

صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ

ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ

فغذته بأفاويقِ النَّقَاءْ[3]

وتَجلَّى الغيبُ عَنْه فَسفَرَ   في جلالٍ وجمالٍ مُزْدَهِرْ

كَانَ. والمُؤلْمُ في (كَانَ) الفَناءُ!   حيثُ لا رُجْعَي ولا طيفُ أمَلْ

وَرَمَاه بَغْتَةً سَهْمُ القَضَاءِ   فَتراخَى في انحلالٍ واضْمَحلْ

---

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- الأردان: مفردها رِدن: وهو طرف الكُمّ كناية عن الطهارة العامة.

٢- الغيض: القليل.

٣- أفاويق: مفردها، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَراءى بَعدَ حِينٍ خَاليًا

من رُوَاءٍ كان فيه حَالِيًا[١]

مُوحِشَ الأرجَاء يبدُو خَاويًا

غــاض مِنـــه كلُّ أُنْـــسٍ وارتَحَلْ   مِثْلَما يَخْلُــوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[٢]

أيُّهـــا العهـــدُ الـــذي مَـــرّ. ودَاعاً   هـــو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ

ســـوفَ تَبْقَى أبـــدَ الدَّهْرِ شُـــعاعاً   في ضمـــيري يَتَـــراءى في الظُّلَمْ

سوف أبْكيك بُكاءَ الثّاكِلِ

وأروّيكَ بِدَمْعي الهاطِلِ

وأُناجِيكَ بِقَلْبِي الذّابِلِ

طَالَمـــا أحْيَـــا فَأمَّـــا يَنْصَـــرْم   ذَلـــكَ العمـــرُ تولاّنـــا العَدَمْ

* * *

١- حالياً: مزيناً

٢- الطلل: بقايا الدور

السعادة حديث الأشقياء *

إيـــه حَــدِّثْ عــن السَّــعادةِ إني | قد مللتُ الشَّـــقَاء كلَّ الشَّـــقاءِ
أطلـــعِ الصبُّـــحَ في حَديثِـــك يجلو | بعضَ هذا الأســـى بفيضِ الضيِّاءِ
يا أخـــي ضَاقَ بالحـــوادثِ ذَرْعي | وسَـــئِمتُ الشَّـــكاةَ مِنْ بَأسائي
ومَللـــتُ الحديـــثَ فيهـــا فحدِّثْ | أنتَ يـــا صَاحِبي حديـــثَ الهَناءِ
إنَّ بعـــَض الحديثِ يُدنِـــي الأماني | بخيوطٍ – وإنْ وَهتْ – مِنْ رَجاءِ

* * *

أبْعـــثُ الطَّـــرْفَ في الفَضـــاءِ مَليَّا | فأرى الأفـــقَ ضيقـــاً في الفَضاءِ
والصبـــاحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْـــرِي | لفـــؤادي كمـــا سَـــرَى بالرِّضَاءِ
والربيـــعُ الأنيـــقُ ما عَـــادَ يُذكي | فِـــيَّ وَمْـــضَ الحيـــاةِ كالأحياءِ
والجمالُ الذي يَشيعُ في النفسِ رُوحاً | عـــادَ مَيْتـــاً مُعَطَّـــلَ الإيحَـــاءِ
هـــي نفسٌ أحالـــتْ الكـــونَ قَفْراً | فتـــراءَى مُعطـــلًا مِـــنْ وَرَاءِ
هـــي نفـــسٌ تَحطَّمَتْ يالنفســـي | هي دَائِي فلســـتُ أرجو شِـــفَائِي

* * *

يا أخي ثارتْ الشَّـــجُون وهاجتْ | حُرقَـــاتِيَ وأيقظـــتْ لأوائِـــي[1]
يا أخِي هَاتِ مِـــن حديثِك. صَوِّرْ | في خَيـــالي مَلامِـــحَ السُّـــعَدَاءِ
كيـــفَ يَحيَـــون غِبْطَةً وابتسـامًا | كيـــفَ يرضَون للأمانـــي الوضَاءِ
أو فأمْسِـــكْ فـــكلُّ شـــيءٍ مُثيرٌ | لشُـــجُونِي. وخلِّـــنِ وشَـــقَائِي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١- الأواء: الشدّة والألم.



يا ريف تدعوني إليك؛ إنني

للمستطار إلى لقائك الظامي

ليالٍ في الريف *

مِـــنْ حنينِ الفـــؤادِ؛ مـــن خَفَقَاتِه ذلك الشِّـــعرُ، من صَدى زَفَرَاتِه

وَسِـــعَتْه الألفـــاظُ وَزْنـــاً ومَعْنَـــى ثم ضاقـــتْ عن رُوحه وسِـــمَاتِه

هُـــو وحـــيٌّ لذكريـــاتٍ حِسَـــانٍ أوْدَعَ الخُلْـــدُ بينهـــا ذِكْرَياتِـــه

وليـــالٍ يَـــا حُسْـــنَها مِـــنْ ليـــالٍ يَشْـــتَريها مُخلّـــدٌ بحياتِـــه

هَمسَ الصمـــتُ بينها هَمسَـــاتٍ خَفَّـــضَ الكونُ عِنْدهـــا خَفَقاتِه

وسَـــرى البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا نَ كَطَيْفٍ مُسْـــتَغْرِقٍ في سُـــباتِه

* * *

يـــا جمـــالاً بريـــفِ مِصـــر قريراً هـــادىء البالِ في خُشـــوعٍ وَقُورِ

لســـتُ أنســـى فيكَ ليـــاليَ مرتْ هُنـــاً أطيـــافُ عهدِنـــا المَأثُـــورِ

حينَ نَسْـــرِي والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً فوقَ ســـهلٍ كالعَيْلم المَسْجُور[1]

بينمـــا الزهـــرُ حـــالمٌ في رُبْـــاه وغُصـــونٍ مُهَـــدَّلاتِ الشُّـــعُورِ

وخريـــرُ الأمـــواه سَـــاجٍ رتيبٌ مثـــلَ شَـــدْوٍ في عَالَمٍ مَسْـــحُور

ونَجـــيٌّ مـــن الرِّفـــاقِ بِهَمْـــسِ وحديثٍ مُسْـــتَعذَبٍ مِنْ سَـــمِيرِ

قَـــدْ وَعَـــى الدهرُ هـــذه الليلاتِ ووعينَـــا آثارَهـــا الباقيـــاتِ

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١ – العَيلَمُ المسجور: البحر المملوء

فهي ذِكْـرى تَوشَّـجَتْ بنفوسٍ حانيـاتٍ لطيفِهـا رَاجِفَـاتِ[3]

سـوف تُعييه رُقْيـةٌ مـن خُلُودِ عوّذَتْهـا الفنـاءَ والحَادثاتِ.![4]

هذه مَسْـكَةٌ مـن الأبـد البَاقي المعهـودِ قبـلَ خَلْـقِ الحيـاةِ

ذَخَرَتْهـا الأحقابُ حـتى اجتمعْنَا فأبيحـتْ فمالَهـا من فَـوَاتِ

* * *

١- ساج: ساكن هادئ.

٢- نجيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.

٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.

٤- عوّذتها: حصنتها

العودة إلى الريف *

مَهْدَ الرَّجَـاءِ ومَهْبِـطَ الأحلامَ   وطَـنى عليـك تَحيتي وسَـلامي

يا ريف فيـك من الخلـودِ أثَارَةٌ   تنسـابُ في خَلَدي وفي أوْهامي[1]

وتردُّ إحْسَاسـي إليك إذَا خَلَتْ   نفسـي إلى الآمـالِ والآلامِ

وكأنَّنِي المسـحورُ يَقْفُو سَـاحِراً   في بُهْـرةٍ كالطائـفِ النّـوامِ![2]

* * *

إني فقدتُـك في الطفولـةِ غافلاً   عَمّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السَّـامي

لكن وجدتُـك إذ كبرتُ بخَاطري   رمـزاً أُحيـطَ بغَمْـرةِ الإبهـامِ

وتكشّـفتْ نَفْسـي فلُحتُ كأنما   نَفْسـي وأنْـتَ جُمِعْتُمـا بتُؤامِ[3]

ووجدتُ أَحْلامـي لديكَ وَضيئةً   لم تُبْـلِ جِدَّتَهـا يـدُ الأيـامِ

واليومَ عُدتُ إليكَ أَحْسَـبُ أنني   طـيرٌ يـؤوِّبُ بعـدَ جَهـدٍ دَامِ

يا ريـفُ تَدعُوني إليـك؛ وإنني   للمسـتطارُ إلى لقـاكَ الظّامـي!

* * *

هـذا الهـدوءُ كأنّما هُـو عَالَمٌ   في الوهـمِ، لَـمْ يَتَبَـدَّ لِلأَقـوامِ

وكأنّه الحُلُـمُ الجميـلُ يَحوطُهُ   صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسـامي

وتُحِّس بالسـرِّ العميـقِ تَخالُهُ   يُضْفِـي علـى الأيقـاظِ والنُّوامِ

* نشرت عام ١٩٣٣

١- أثارة: بقية

٢- في بهرة: في دهشة.

٣- بتؤام: التؤم: الصَّدَف، التُؤامية: الدُّرَّةُ

ويلوحُ في وضـــحِ النهارِ ويَنْطَوي   ما بينَ طيـــاتِ الظَّــلامِ الطَّامي[1]

هو ذلك السِّـــرُ الـــذي مِفْتَاحُه   ضُمَّـــْت عليـــه جَوانِـــحُ الأهرامِ

* * *

إنيّ أجـــولُ بِخَاطـــرٍ مُتنقـــلٍ   في حيثمـــا امتـــدَّ البســـيطُ أمامي

فـــإذا مَواكِـــبُ للجمـــالِ وَديعةٌ   جمعَـــْت طرائفَهـــا يَـــدُ الإلهـــامِ

للطيرِ فيهـــا، للأزاهـــرِ، مَوْكِبٌ   للنـــاسِ، للحشـــراتِ، للأنْعـــامِ!

متآلفِين، سَـــرى الرِّضَا لنفوسِهِم   فيما اغْتَذَوا من مَشْـــرَبٍ وطَعامِ!

كلٌّ يرجِّـــعُ للطبيعـــةِ لَحْنَـــه   في ذلك الوادي الخصيـــبِ النَّامي

وهُنـــا الطبيعـــةُ كالغريـــرة إنمـــا   وَرِثَـــتْ وقـــارَ أُبـــوّةٍ مُتَـــرامِ![2]

تَلْهُـــو، ولكـــن في بـــراءة طِفْلةٍ   مـــن نَسْـــلِ آلهةٍ غَبَـــرْنَ كِـــرَامِ!

عَبَدتْهـــم الأوهـــامُ في غَمَراتِهَـــا   وانـــدسَّ بعضُ الوهـــمِ في الأفهَامِ

وتَوارثَتـــه طبيعَـــةٌ خَلـــدَتْ بِهـــا   مصـــرٌ علـــى كَـــرٍّ من الأعـــوامِ

يا ريفُ مِصَر، وأنت سِـــرُّ بَقائِها   اســـلَمْ، فَدَتْكَ مَواهِبي وحُطَامِي.

* * *

1- الطامي: الشديد .

٢- الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليالي المبعوثة*

بعد عام كامل من الليالات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، فقضى فيه ليالات مثلها، في جوٍّ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاق، وكان عدد الليلاتِ الأولى والثانية مُتحداً.

أَهُــو البعــثُ ياليالِــي الخُلودِ؟ أمْ تُــرى أنتِ نَفْخَــةٌ من جديدِ؟

أم تُــرى صــورةٌ منــك صِيغتْ بَــين وَحــي الإِلْهــامِ والتجويدِ؟

يــا ليالّي مــا أراكِ سِــوى أنتِ كمــا كنــتِ مــرة في الوجودِ!

ها هُنــا والزمــانُ يَحْلُم وَسْــنَا نَ سَــعيدٌ لهــا بِحُلْــمٍ سَــعيدِ!

ورَنَــا البــدرُ في حَيــاءٍ وَديــعٍ وهــو راضٍ رِضــاءَ طفــلٍ وَليدِ

ورِفاقــي هــم الرِّفاقُ، ونَفْسِــي هي نفسِــي، وعَالَمِي؛ وعهودي!

مــا أرى مَعْلَمــاً تغيَّر أو رَسْــماً مَحَتْه يــدُ الزمــانِ الكَنُــودِ[1]

أنــتِ ليلاتُنــا! فَقُصّــى عَلينــا كيــف أفْلَتِّ من زمــانِ القيودِ؟

* * *

قَــدْ تســللنَ خِفْيــةً في الظلامِ بينما الدهــرُ سَــادِرُ الأوهام![2]

ثم وَافينَنَــا وهُــنَّ سُــكَارَى حالمــاتٍ أَغْرِقْــنَ في الأحــلامِ

هامســاتٍ لَنا. لقد بُعِــثَ العَهْدُ فهيــا مِــن كُلِّ لَهفــانَ ظَــامِ[3]

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.

٢- سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام

٣- اللهفان: المتحسر.

فأجبنَــا دُعاءَهــنَّ سِــراعاً وخلَعْنــا دُنيا الحجــا والحُطامِ[1]

ورقينا مَــدارجَ الخُلْــدِ والكَونُ مُسَــجًّى في غَفْلــةٍ وظَــلامِ

ها هُنا كنــتُ منذُ عــامٍ! ولكن يــا لنتفســي! فها هُنــا أيَ عامِ!

مــا أرى للزمــانِ رسمــاً! فهذا كلُّ شــيءٍ هُنــا كرمزِ الــدَّوامِ

إيــه ليلاتِنــا، أعيــدي علينــا قصة الخُلْــدِ، فالأماني ظَــوامِ[2]

* * *

خَيَّــمَ الليلُ في خُشُــوعٍ رَهيبٍ غير لمحِ الرؤى، وخَفْــقِ القُلوبِ

وسَــرينا نرتــادُ سِــرّض الليالِي وهــي تُفْضِــي بِســرِّها عجيب!

ومَتاعــاً مِــنَ الحيــاةِ نَفيســاً ضَمَّنَتْــه آلاف عهــدٍ خَصيــبِ

قَــد رَشــفْنَا خلاصةً منــه تُغْنِي عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّــعوبِ

وسَــرى في النفوسِ معنىً جديدٌ عَبَّــرَتْ عنــه بالغِنَــاءِ الرتيــبِ

وتســامتْ أرواحُنــا في نَجــاءٍ وتهــادتْ قُلوبُنــا في دَبيــبِ

تِلــك ليلاتُنــا، وهــذا صَدَاهَا إيــهِ ليلاتِنــا؛ اخْلُــدِي، لا تغيبي

* * *

١- الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحُطام: متاع الحياة.

٢- ظوامئ: مفردها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى
أو
الحرمان *

ريحانــتي الأولى وَرْوَحح شــبابي   أئذا دَعْوتُ سَــمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ

أنا في الجحيــمِ هُنا وأنــتِ بجنَّةٍ   مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيْقِ شَــبابِ[1]

أنا في الجحيمِ وأنــتِ نَاعمةُ المُنَى   خَضْــراءُ ذاتُ تَطلّــعٍ وطِــلابِ

أنا لا أُريــدُكِ هاهنــا في عالَمي   إنِي أُعيــذكِ مِــنْ لَظــىً وَعذابِ

لَكِنَّهــا الذِّكْرَى تثــورُ بِخاطِري   مَجْنُونَــةً حمقــاءَ ذاتَ غِــلابِ

* * *

عَيْنــي رَعَتْكِ وأنــتِ نَابِتةٌ فلم   تَغْفَــلْ ولم تَفْتُــرُ ولم تَتَألَــمِ

وتَعَهَّدَتْــكِ يَــدِي وأنــتِ نحيلةٌ   وغِذَاكِ من نَفْسي الحَنانُ ومِنْ دَمِي

فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلكِ تَنْتَشِــي   وتَهُــمُّ رَاقِصــةً وتَهْتِــفُ بالفــمِ

حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّــذى   ألفيــتُ نَفْســي في صميــمِ جَهنَّمِ

مُلْقىً هُنالــكَ لا أُحسُّ ولا أرى   إلاّ الشُّــواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتــمِ[2]

---

* نشرت في أيلول(سبتمبر) عام ١٩٣٧

١-رَيْقَ: من الرَّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢- داج معتم: شديد الظلمة.

بيـــني وبينـــكِ شُـــيَّةٌ لا تَنْتَهِي أبــداً أُقـــارِبُ حَولَهـــا وأُباعِـــدُ

هي شُـــقَّةُ النفسِ الخَرابِ، وإنّها لمجاهـــلٌ لم تُكتشـــفْ وفَدافِـــدُ[1]

الشـــمسُ فيها لا تُطِـــلُّ ومَا بِها إلا الرواكـــدُ والظَّـــلامُ البَـــارِدُ

أنا لَسْتُ سَـــالكهَا وأنت حَفِيةٌ أن تَجْنُبِي عَنْهـــا ونَجْمُكِ صَاعِدُ[2]

فـــإذا الـــذي بَيني وبينـــكِ كلُّهُ ذِكْـــرى تُطِـــلُّ برأســـها وتُعـــاوِدُ

* * *

وأراكِ مِـــنْ خَلَلِ الغيومِ أسِـــيفةً إذْ تَذْكُرِيـــن رِعايـــتي وجُهـــودِي

وتَريْـــنَ حَاضِرَنـــا وَغابرِنَا معاً وتُراجعـــينَ مَواثِقـــي وعُهـــودِي

نَفْســـي فداكِ فلا أراكِ شَـــجيّةً تُرقـــي الغُضُـــونُ لوجهـــكِ المَعْبُودِ

وقفٌ عليـــكِ تَطلُّعـــي وتَلهُّفي وقفٌ عليـــكِ قَصائِدي ونَشـــيدِي

لكـــن أُعيذُكِ خَطْـــرةً في عَالَمي إنّـــي أُعيـــذُكِ وَحْشَـــتِي وُكُودِي

* * *

١- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.

٢- حَفِية: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لـك يـا جمـالُ عبَـادتي لـك أنْـتَ وَحـدَكَ يـا جَمالْ
تعصـى تعاليـمُ الطُّغَـاة، أو الهُـدَاة علـى ضَـلالْ
ويُخالَـفُ التشـريعُ جهـراً أو خَفَـاءً في احتيـالْ
وتُجَانَـبُ الأديـانُ أو تُنْسـى وتُهْجَـرُ عَـنْ مَـلالْ
وأراكَ وَحـدَك يـا جمـالُ تَلقـى الخضـوعَ والاحتفـالْ
والحـبَّ والإيمـانَ مِـنْ كلِّ الأنـامِ بـكلِّ حَـالْ!

* * *

المـالُ مَعبـودُ الحيـاة المُسْـتَذلُ قُـوى الرجـالْ
هـو بعـضَ قُربـان النفـوس إلى مَقَامِـك في ابتهـالْ
وأرى الألوهـة فيـكَ تُوحـي بالعبـادة في جَـلالْ
مـا أنـتَ إلا مظْهَـرٌ منهـا تُوشِّـيه الظِّـلالْ[1]
فـإذا عَبدتُـكَ لم أكُـنْ يا حُسْـنُ مِـنْ أهـلِ الضَّلالْ
بـل كنـتُ محمـودَ العَقيـدة في الحقيقـة والخيـالْ
أعْنُـو لِمـنْ تَعنُـو لَـه كلُّ النفـوسِ بـلا مِثَـالْ[2]
مُتَفرِّقـاً في الكَـونِ في شَـتى المَرائـي وَالخِـلالْ
فـإذا تَركَّـزَ هـا هُنـا بَطُـلَ التَّمحُّـلُ والجِـدْال![3]

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١- توشيِّة: تنقشه وتُحسنه من وَشَى الشيء وشياً: نمقه ونَقشه وحَسنه.

٢- أعنو: أخضع.

٣- التمحل: الاحتيال

تسبيح...! *

لعينيكِ تَسبيحي وهَمْسُ سَرائري وفي صَمْتِها المُوحي مرَادُ خَواطِري
تُطلُّ علـــى الدنيا فتوقـــظُ قَلْبَها وتمنحُ هـــذا الكونَ إيمانَ شَـــاعرِ
وتَسْـــكُبُ في ألحانِـــه عبقريـــةً من الفـــنِّ لم تخطرْ بآمالِ ســـاحرِ
وتجلُـــو مـــن الدُّنيا عميـــقَ فنونها وتكشـــفُ في أطوائِها كلَّ خاطرِ
ومِـــنْ عجبٍ تُوحِي بفتنةِ ســـاحرٍ وتَهْمِـــسُ في صمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَـــفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه خواطِـــرُ فنـــانٍ نَـــدِيِّ المشـــاعرِ
وقد رقَّ هذا الجســـمُ حتى كأنه هَواتفُ حُلْـــمٍ ناعماتِ البَشَـــائرِ
وقد رقَّ هـــذا الصوتُ حتى كأنه أغاريدُ لَحْنٍ في الســـماواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هـــذا الخَطو حتى كأنه مـــرورُ نســـيمٍ بالأزاهـــيرِ عاطرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً في ضمائري وإنـــكِ طيـــفٌ هَامـــسٌ للنواظرِ!

* * *

لأَيقظتِ في نفسي ســـعادةَ شاعرٍ وراحـــةَ موهـــوبٍ وغِبْطَـــةَ ذَاخرِ
وأشـــعرْتني معنى الطلاقَة والرِّضَا ومعـــنى الغِنى عـــن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدَى فيه من أفـــقِ الخلودِ مدارجُ رَقَيْـــتُ إليها في سَـــنى منك باهرِ
سَـــبقتُ به خَطوَ الحيـــاةِ لِنَهْجِها وجُـــرْتُ بـــه آفاقَهـــا في المَعابـــرِ
فيا لـــكِ مِن هَـــادٍ سَـــنِيِّ المنائرِ ويَـــا لي من سَـــارٍ وَحِـــيِّ البَصَائرِ

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظتِ أنبلَ ما يُجِنُّ ضَميري   وبعثتِ جوهرَ عُنْصري المَطْمُورِ[1]

فإذا أنا الرُّوح التي تَسمُو بها   دُنيا الحياةِ لأوْجهِا المنظورِ

وإذا أنا النُّورُ الذي تجلُو به   تلك الحياةُ غَياهبَ الدّيجورِ[2]

وإذا أنا الشَّوقُ الذي يَحدُو لها   فتَغذُّ بين مَسالكٍ وصخورِ

وإذا أنا الشَّعر الذي تَشْدُو به   في نَشْوةٍ وتجيشُ بالتعبيرِ

وإذَا أنا الخيرُ المُمَحَّضُ والهدُى   والحبُّ والنَّجوى خِلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَفْتِ ضَمائِري   وجَلَوْتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ؟

وغَذَوتِ فيَّ فَضَائلي ورَوَيْتِها   حتى أطلَّتْ بالجَنى المَذْخُورِ؟

وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامِحي   وجعلتِ أشواقِي صلاةَ طُهورِ؟

بالحبِّ والحُسْنِ الوديعِ ونظرةٍ   بيضاءَ صافيةٍ تُريحُ شُعوري

وتُحيلُ أشواقي رِضاءَ مُخلَّدٍ   راضٍ بِخُلْدٍ لم يُشَبْ بِقُصُورِ

وتُحيلُني رُوحاً تَرِفُّ على الوَرى   كالعطف، أو كالحبّ، أو كالنُّورِ

فإليكِ تَسْبيحي وهَمْسُ سَرائِري   وإليكِ غايةُ غِبْطَتي وسُرورِي

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجنُّ: يستر.

٢- الدّيجور: الظلام.

بين عهدين *

طِرْتِ عَنْ عُشّــكِ الْجَمِيلِ فَأْوبِى   شَدَّ مَا اشْـتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبِي![1]

كانَ دِفئــاً وَكانَ مَرْتَــعَ صَفْــوٍ   فكَسَــاهُ الصَّقيعُ ثَوبَ القُطُوبِ[2]

مُنْــذُ غَادرْتِــهِ قَــدِ انْتَثَر الحبُّ   وطَاحَــتْ بــه رِيَــاحُ الْهُبُــوبِ

وتَخَلَّــتْ عِنَايَــةُ اللهِ عَنْــهُ   فَهُوَ في وَحْشَــةِ الغَريــبِ الكَئِيبِ

وَلَيَالِيــهِ شَــاجِيَاتٌ حَيَــارَى   يَتَرَامَيْــنَ حَوْلَــهُ مِــنْ لُغُــوبِ[3]

* * *

عُــودِي إلى الْعُــشّ عُــودِي   وَرَفْرِفِــي مِــنْ جَدِيــدِ

وَرَنِّمِــي بالأَغَــانِي   في جَــوِّهِ وَاسْــتَعِيدِي

وَأَدْفِئِــي بالأَمَانِــي   مَــا مَسَّــهُ مِــنْ جُمُــودِ

وَتَمْتِمِــي بالتَّعَاوِيــذِ   وَالرُّقَــى وَالنَّشِــيدِ

وَأَطْلِقِــي فِيــهِ لَحْنــاً   يَشْــدُو لِحُــبٍّ سَــعِيدِ

وَيَطْــرُدُ الْيَــأسَ عَنْــهُ   بالشَّــدْوِ والتَّغْرِيــدِ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير)١٩٤٢

١- اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَـــالَ انْتِظَـــارُكِ وَهْنـــاً في ظُلْمَـــةٍ وَكُنُـــودِ[1]
وَالرِّيـــحُ تَعْبَـــثُ فيـــهِ بـــكلِّ غـــالٍ مَجيـــدِ
وَكلُّ خَفْـــقٍ جَنَـــاحٍ أوْ رَجْفَـــةٍ مِـــنْ بَعيـــدِ
يخَـــالُ فِيهـــا مَآبـــاً بَعْـــدَ النَّـــوَى وَالشُّـــرودِ

* * *

عُـــودِي إِلى الْعُـــشِّ عُـــودِي وَرَفْرِفـــي مِـــن جَديـــدِ
أضْنَـــاكِ طُـــولُ الشُّـــرُود وَلَـــذَّةُ التَّصْعيـــدِ
عُـــودي إِلى الدِّفْءِ في عُشِّـــك الأمِـــينِ الـــوَدُودِ
الْعُمْـــرُ يَمْضـــي فَهَيَّـــا نُعيـــدُهُ لِلْوُجُـــودِ

* * *

1- وهَناً: ليلاً ، كنود: المراد في انقطاع

نداء الخريف *

تَعاليْ. أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تعالى. أوشكتْ أنفاسُنا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ، ولا لُقْيَا، ولا مَوْعدْ
* * *

تعالىْ. هذه الأيامُ لا تَرْجعْ
ولا تُصْغي لنا الدُّنيا ولا تَسْمَعْ
ولا تُجْدَي شَكاةُ الدَّهْرِ أو تَنْفَعْ
* * *

كلانَا ضَائعٌ في الكون مَفْقُودُ
فَلا هَدَفٌ له في الأرضِ مَشْهُودُ
ولا أملٌ لَه في الغيبِ مَوعُودُ
* * *

ألا مَا أحْمَقَ اثنَيْنِ غَرِيبَيْن!
إذا عَاشَا – مَعَ الحبِّ- فَرِيدَينْ!
وهذا الكونُ لا يَدْري الشَّرِيدَيْنِ!
* * *

نَعَمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيا طَرِيقَيْنَا
ولكنْ أينَ مَاضِي حُبِّنَا أيْنا؟
* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر)١٩٤٣

تَعالَيْ نُحْيِ بالأشْواقِ مَاضِينَا
ونَبْعَثْ في حِمَى الحُبِّ لَيَالِينَا
فهذا الحبُّ إذْ نُحْيِيه يُحْيِينَا
* * *

تعاليْ لَمْ يَعُدْ في العُمْرِ مُتَّسَعُ
تعاليْ لم يَعُدْ في الكَوْنِ مُنْتَجَعُ[1]
وغُولُ الدهرِ لا يُبْقِي ولا يَدَعْ
* * *

تعالَيْ! نَحنُ بَعْثَرْنا السُّويعَاتِ
وضَحَّينَا بأيامٍ عَزيزَاتِ
فيا أُخْتاه يَكْفِينا حَماقَاتِ
* * *

أَجَلْ يا أختُ ما قَدْ ضاعَ يَكْفِينا
فَعُودي. هَا هُوَ العُشُّ يُنَادِينا
فلا نُخْرِبْه يا أختُ بأيْدِينا
* * *

ربيعُ العُمْرِ يا أُخْتَاه قَدْ مَرّا
فَلَمْ نُطْعِمْه أو نَغْنَمْ بِه ذُخْرَا
وما عَادَ لَنا منْه سِوى الذِّكْرى
* * *

١- منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلا نَخْسَر هَزيعَين منْ العُمْر[1]
فَدفْءُ العُشّ قَدْ يُجْدي لَدَى القَرِّ[2]
ورُوحُ الحُبِّ قَد يُحيِي لدى القَبْرِ
* * *

ويا أُخْتَاه زَادُ العُشّ يَغذُونَا
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلّ بأيْديِنَا
وجَذْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذِينَا
* * *

تعالَى نَقْطَع البَاقي مِنَ العُمْرِ
رَفيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلى الشَّرِّ
حَليفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ
* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ

* * *

١- هزيعين: الهزيع :ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.
٢- القر: شدة البرد.

هتاف روح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا(سان فرانسيسكو).

في الجوِّ يا مصرُ دِفءٌ يُدْنِي إلَيّ خيالَكِ
وتَسْتَجيشُ حنيني إلى الليالي هُنالِك
للأُمسيات السُّكَارَى نَشْوى تَرِفُّ حِيَالَكِ
ونَسْمَةٌ فيك تَسْرِي ريَّانَةً من جَمَالِك
نجواكِ مِلْءُ فُؤادِي تُرى خَطَرتُ ببالِك

* * *

النيلُ والموجُ سَارٍ يُقَبِّلُ (الشُّطْآن)
والبدرُ والنورُ سَاهٍ كحالمٍ وَسْنَانْ
وفي الجِواءِ حنينٌ مُجَنَّحٌ حَيرانْ[1]
ومن هُنالِكَ لَحْنٌ يَهْفُو إلى الآذانْ
صَدَاه نَاءٍ عميقٌ في ناي هذا الزَّمانْ

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠

١- الجواء : الواسع من الأمكنة.

فِي النفسِ يا مِصُر شوقٌ لِخَطْرَةٍ في رُبَاكِ

لِضَمَّةٍ مِنْ ثَراكِ لِنَفْحَةٍ مِنْ هَواكِ

لِوَمْضَةٍ مِنْ سَماكِ لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤاكِ

لليلةٍ فيك أُخْرى مع الرِّفاقِ هُنَاك

ظمآنُ تهتِفُ رُوحي متى تَراني أراكِ؟

* * *

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يا نائياتِ الضِّفَافْ هُنا فتاكِ الحبيبْ
عليه طَالَ المَطَافْ متى يعودُ الغريبْ؟

* * *

متى تَمُسُّ خُطاه ذاكَ الأديمَ المغبَّرْ
متى يَشُمُّ شَذَاه كالأُقحوانِ المُعَطَّرْ؟

* * *

متى ترى عيناهْ تلك الربوعَ المواثلْ؟[1]
أحلامُه ومُناه تدعوه خلفَ الحوائلْ[2]

* * *

حنينُه رَفّافْ إلى الدِّيارِ البعيدهْ
مَتى مَتى يا ضِفافْ تأوي خُطاه الشريده؟

* * *

رُؤاكِ في نَاظِرَيهْ ترِفُّ كالأحلامْ
ترى هَفَوْتِ إليه على مَدَى الأيامْ؟

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١ – المواثل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢ – الحوائل: الموانع

ليلاتُكِ الساريات كالنّسْمَةِ العبقريّهْ
حالتْ إلى ذكرياتْ مُعَطَّراتٍ نَدِيّهْ

* * *

مُجَنّحاتِ العبيرْ مُرَفْرَفاتِ الأمَاني
في عَالمٍ مسحورْ مُوسع بالأغَانِي

* * *

هُنالك حيثُ خُطاهْ مَنشورةٌ في الطريقْ
ما زَالَ فيها الحياةْ تَدْعُو دُعاءَ الغريقْ!

* * *

يا أرضُ رُدّي إليكِ هذا الوحيدَ الغريبْ
هَواهُ وقفٌ عليك رُدّي فتاكِ الحبيبْ

ابتسامة*

أنِرْ بِفــؤادِي كلَّ أسْــوانَ مُظْلِم ... بِبَسْــمَةِ رَاضٍ في الحيــاةَ مُنَعَّمِ[١]

وصَوِّرْ بِهــا الآمالَ: إِنِّــي رأيتُها ... تطيــفُ بريّــا ثَغــرِكَ المُتَبَسِّــمْ

وطالــعْ بِها وَجْــهَ الحيــاةِ نَدِيَّةً ... تَمسُّ حَشاشــاتِ القلوبِ بِبَلْسَمِ

وتَسْرِي إلى الأرواحِ رُوحاً مَهُوماً ... يفيضُ عليها من رِضــاءٍ وأنْعُمِ[٢]

فَدَيْتُــكَ لا تَألُ الحياةَ ابتســامةً ... أرقَّ وأحــنى مِنْ خيــالٍ مُهَوِّمِ[٣]

مُرَنَّحَةَ الأعطافِ تُومِضُ خِلْسَــةً ... وتَخْطُــرُ في رِفْــقٍ بذيالِــكَ الفَمِ!

فديتُكَ أرْسِلْها على الكَوْنِ غِبْطَةً ... تُشَــافِهُهُ هَمْسَ الرَّجَــاءِ المُتَمْتِمِ

وتدركُهــا الأرْواحُ في خَطَراتِهــا ... كما تدركُ الأسمــاعُ هَمْسَ التَرَنُّمِ

فديتُــكَ لا تــألُ الحياةَ تَبَسُّــماً ... فإنــك لم تُخْلَــقْ لِغَــيرِ التَّبَسُّــمِ

وقتكَ الليالي العابســاتُ عُبوسَها ... إِذَنْ فَتَبَسَّــمْ كيفما شِــئْتَ وَانْعَمِ

* * *

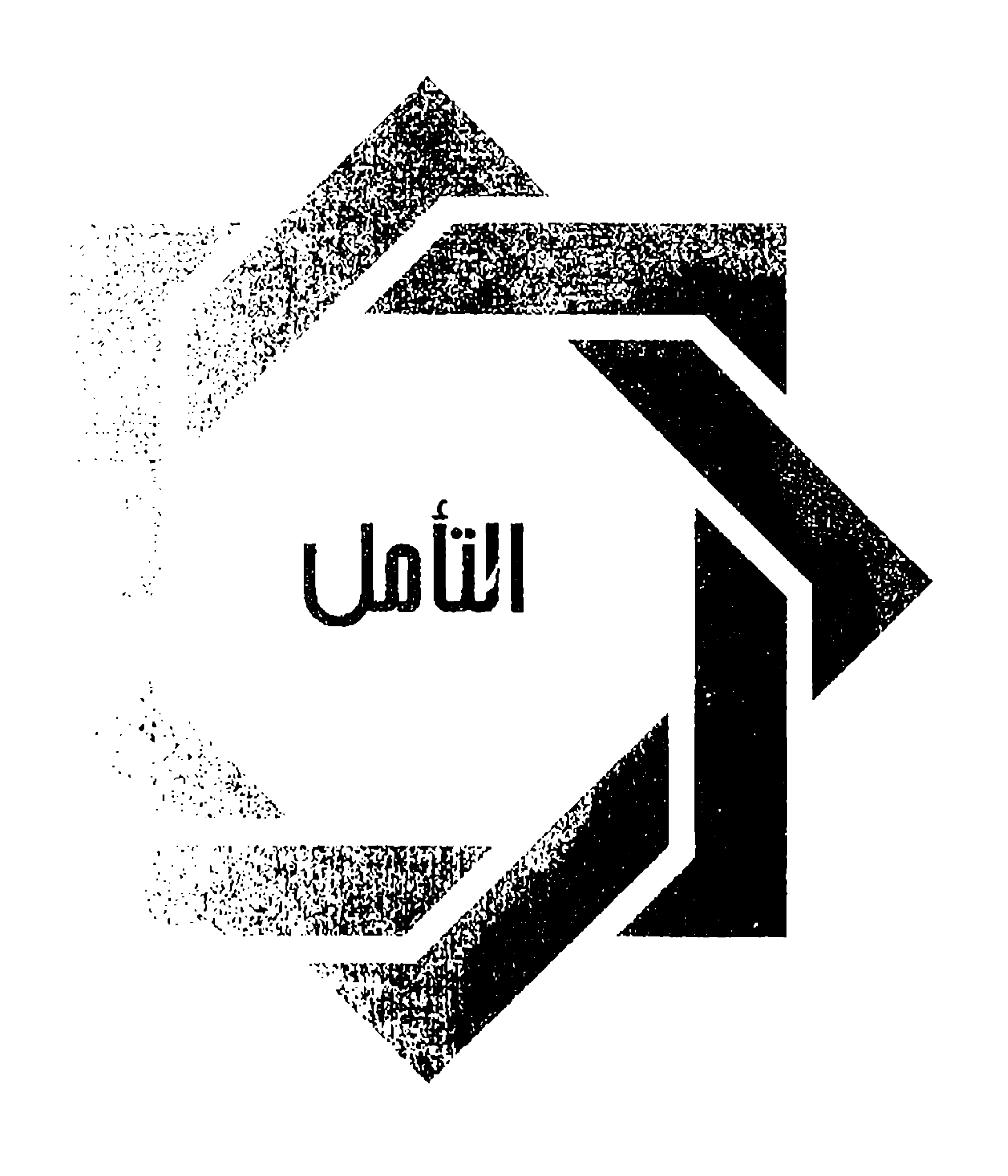
---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- أسوان: حزين.

٢- مهوماً: في أوّل النوم.

٣- لا تبخل، لا تقصّر



إلى الشاطىء المجهولِ والعَالَمِ الذي

حَننتُ لمرأة، إلى الضفة الأُخْرى؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعالمُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرا

بسمة بعد العبوس
أو
حياة بعد موت*

بَسْــمَةٌ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةْ؟ ولقـــاءٌ ذاكَ أمْ رَجْــعُ العُمُــرْ؟
نَفْحَــةٌ تَنْفُثُها[٢٤] تلك الشِّــفاه تبعــثُ الَميْــتَ وتُحيي مــا انْدَثَرْ

* * *

بَسْــمَةٌ كاللحــن مِــنْ قِيثارَةٍ رائــقِ المعــنى رَقيــقِ النَغَمَــاتْ
أو شَــذى يَــأْرَجُ مِنْ نَــوَّارَةٍ في غُصــونِ الوردِ زَاكِــي النَّفَحاتْ

* * *

بَسْــمَةٌ أنْدَى على القلب الكَليمِ من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ[١]
بَسْــمَةٌ تُشْــرِقُ في الوجهِ الكريمِ كاتبسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ[٢]

* * *

نَظَــر الدهــرُ إليهــا فابتَسَــم وســرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَدِيبْ
سَــريان البُــرْءِ هَوْناً في السَّــقِم ودبيبُ الرُّوح في الميْتِ السَّــلِيبْ

* * *

ذلــك القلــبُ وقد جــفّ نَدَاه وغــدَا أجــوفَ كالنبتِ الهَشِــيمْ
وخَبَــا في أفقــه ضــوءُ الحَيــاة وبَــدَا كالمعبــدِ البَالــي القــديمْ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩
١- الكليم : المجروح
٢- الخضل: من خَضل يخضلُ: نَدِى وابتلَ.

ذلك القلبُ قد اخْضَلَّ وَحَنّ وأحسّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنّ في ثَنايا ذلك الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتفتْ رُوحي وحَيّاه فُؤادِي في هدوءٍ شاملٍ ضَافٍ حَنُونْ
وتزودتُ من الحبّ بزادٍ ومِنَ الإخلاصِ تُبديه العيونْ

* * *

إنَّ عَينيه إذا تَرنُو إليَّ تسكب الرَّوْحَ بقلبي والرَّجاءْ
وهو إذ يحْنُو بعِطْفَيه عَليّ يَغْمُرُ النفس بِفيضٍ من رِضاءْ

* * *

إنّ في عينيه مَعنى للسُّمو فوقَ ما يُدْرِكُ هذا البَشَرْ
وبها آياتُ عَطْفٍ وحُنُوّ لستُ أدْريها ولكنْ أشْعُرْ

* * *

أتُرى أنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء؟ أتُرى في الشَّوْكِ قد تَحيا الوُرودْ؟
بِحَياتِي وأمَانِيّ الوِضَاء عَهْدُنا الغَابِرُ لو كانَ يَعُودْ

هدأت يا قلب؟!*

هَدأتَ يــا قلبُ فاهدَأ هكذَا أبداً　وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْــتَ سُلْوانا

فجمةُ الحـــبِّ قد تخبُــو ويَعقُبُها　بَردُ السُّـــلُو وتَنْسَـــى كلَّ ما كانا

فــلا جَفاءٌ ولا شَــكوى تُردِّدُهَا　ولا دَلالَ وَلا وَجْــداً وَتحْنانَــا

تُمْسِي وتُصبْحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ　ثَبْتَ الجَنَــانِ مُريحَ البــالِ طَمْآنا

نَعَــمْ سَــتعْدمُ حِسّــاً رقَّ جَانِبُه　ودَقَّ في عــالَمِ الإحســاسِ مِيزَانَا

ومَــا يُضيرُكَ مــن فُقْــدانِ رِقَّتِه　إذَا فَقَــدْتَ بها بُؤســاً وأشْــجَانا

وما الحياةُ إذا رَقَّ الشعورُ سِوى　بــؤسٍ يَجْرَعُــهُ الإنســانُ غَصَّانا

* * *

ستُبصرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما　تَلُوحُ للناسِ والأكــوانَ أكْوانَا !

وتُبْصِرُ الحبَّ شــيئاً أنْــتَ تَعْرِفُه　وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإلفُ إنسانا !

خلعــتَ ثوبــاً عليه أنــتَ وَاهبُه　لولاه مَــالاَحَ في الأنْظــارِ فَتّانا !

* * *

فخَلِّ يــا قلبُ آمــالاً تجيشُ بها　فقــد تغْــررك الآمــالُ أحيانَــا

هــذا الهــدوءُ تُنَمِّيــه وتَأْلَفُــه　فيســتحيلُ مــع الأيــامِ نِسْــيَانًا

* * *

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إِيــه يــا دُنيا ومــا أَنْتِ سِــوى   عبــثِ الأطفــالِ فيمَــا يلعبُون
ضَجّــةٌ صاَخِبــةٌ لا تحتــوِي   غــيرَ أَصْــدَاءٍ قَويــاتِ الرَّنــيْنْ
فــإذا فَتَّشْــتَ عــن مَبعثِهــا   لم تجدْ شــيئاً تُخْبِيــه الوُكُون![1]

* * *

عودة الحياة*

عَجَــبٌ خَفْقُــكَ يــا قلــبي في   هــذه الأضلعِ من بعــدِ الخُفُوتْ!
أَوَمــا زلــتَ إِذنْ لم تَشْــتَفِ   مِنْ حنــينٍ فيك حَــيٌّ لا يموتْ؟

* * *

أوَ مَــازالَ إذنْ نبــعُ الحيــاة   لم يَغِــض فيك ولم ينضــبْ مَعِينُهْ
رُبَّمــا فَــاضَ على تلــك الفلاةِ   في فؤادٍ مُقْفِــرٍ جَفَّــتْ غُصُونُهْ!

* * *

طــالَ عَهِــدى أيُّها القلــبُ به   ذلــك الخفــقُ الــذي ذَكّرتَنِيــه
ذلــك الخَفْــقُ الــذي لا ينتَهى   حيث يَســرِى الشّــعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفرده وكنٌ والوكن: عش الطائر حيث كان.

كـــم ربيـــعٍ مَـــرَّ يتلُـــوه ربيعٌ   وفـــؤادِي في خريـــفٍ راكـــدِ
هَامِدَ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ   في حيـــاةٍ ذاتِ نَمَـــطٍ واحـــدِ
* * *

وحُرِمْـــتُ الحِسَّ ، حـــتى بالألَمْ   والنَّـــدى حتى بتســـكابِ الدُّموعِ
إيه . مـــا أقفرَ إحســـاسَ العَدَم   والأمانِـــي راكـــداتٌ في القَنُـــوع
* * *

هاتِ ياقلبُ من النبـــضِ القَويِّ   وتَفَتـــحْ كلَّ يـــومٍ عَـــن جديـــدِ
لَم يَـــزَلْ في جَعْبَةِ الكَـــوْنِ الغَنيّ   مَـــا يُغَذِّيـــكَ بأحـــلامِ الوُجُـــودِ
* * *

وإذا لَم تســـتطعْ فاخلـــقْ حَيَاه!   من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِي
ومن الحبِّ، وما صاغـــْت يَدَاه   مـــن جحيـــمٍ يتلظّـــى أو جِنَـــانِ
* * *

البعث *

قد بُعثــتُ اليومَ أحيــا مِنْ جَديدٍ فهــو بَعْثٌ مــن حيــاةٍ خَامدةْ
مَرَّ نِصــفُ العُمــرِ أو كادَ يزيدُ لهفَ نفسِــي – في حيــاةٍ رَاكدةْ
في حيــاةٍ لم أجــدْ فيهــا حَيَــاه!
بَلَــغَ العُقْــمُ بها أقْصَــى مَدَاه
وتبــدَّتْ بَلقعــاً مثــلَ الفَلاه[1]

ثم لاحــتْ تتَــراءى مِــنْ بَعيدٍ شُــعلةٌ مِــن نــارِ حُــبٍّ وَاقدةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْــتوحِي القصيدْ والأناشــيدَ العِــذابَ الخالــدةْ
شــاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ مُلْهَمَ الفِطْــرةِ منْهُــومَ النَّظَرْ[2]
نابضٌ بالعطفِ حَســاسُ الضميرِ يُدركُ الهَمْسَــةَ تَسْــرِي في حَذَرْ
كيفَ يَحيا – وهو هَذا – في عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإِحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ
مُقْفِراً كالكهفِ مَحْجُوبَ الضيّاءْ؟
هكذَا عِشْــتُ كســكانِ القُبورِ في ربيــعِ العُمْرِ في العهــدِ النَّضِرْ
آه لو أسْــطِيعُ للماضِى الحســيرِ رَجْعَــةً من بعــدِ ماجَــاء وَمَرْ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢

١- بلقعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع

٢- منهُومُ: الجائع، شديد الرّغبة بالشيء.

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ! نابضـاً بالحـبّ جَيّـاشَ الأمانـي

مُمْسِكاً أهدابَه خوفَ الذَّهابِ مُسـتعزّاً فيه حـتى بالثوانـي![1]

ظَافـراً أمـرحُ فيـه كالطيـورْ

حينمـا تشـدُو بألحـانِ البكورْ

بعدمـا تَنْفحُهـا ريـحُ الزهورْ

نصفُ عُمْري قَدْ تَولّى في اكْتئابِ فلأقض النصفَ نشـوان الأغاني!

هائماً ألْهـو بمعسـولِ الرِّغَابِ أو أُغنِّـى بالأمـانِيِّ الحِسـانْ!

* * *

١- أهداب: مفردها هُدبة: طرف الثوب الذي لم يُنسج.

الشعاع الخابي*

لاحَ لي من جانبِ الأفُق شُـعاعٌ بينمـا أخبِـطُ في داجـي الظَّلامِ

في صحارى اليأسِ أسْرِي في ارتياع حيثُ تبدو مُوحشاتٍ كالرِّجامِ(١)

حيثُ يَسْرِي الهولُ فيها واجِما

ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمَا

والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما

وترى الأشـباحَ في رأسِ التِّلاع كالسَّعالي، أو كأشـباحِ الحِمامِ(٢)

فاغـراتٍ تَتَشـهى الابتـلاعَ تنهشُ اللّحَم؛ وتَفْـري في العِظَامِ

* * *

فَتلفـتُّ علـى الضـوءِ يَلُوحُ مِثْلَمـا تَلْمَـحُ عـينُ السَّـاهِرِ

أو كما تَهْمِسُ في الأجداثِ رُوحٌ أو كمعـنى شَـاردٍ في الخاطـرِ

قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ

شَفَّه الذُّعْرُ وأضناه العِثَارْ(٣)

طَالما رجّضى تَباشير النهارْ

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١–الرّجام: من رجم القبر: وضع عليه الرِّجام.

٢– السعالى : مفردها السِّعلى: الغول.

٣– شفه: من شَفّ أي نحل ودقّ من همّ أو مرض ويقال : شَفّه الحبُّ أو الهمُّ.

ثُم أزمعــتُ إلى الأفُــق الصَّبُوحِ أرتجــي فيــه أمــانَ الحائــرِ
أصعَدُ الرابِيَ وأهوَى في السُّفوحِ وكأني طيــفُ جِــن نَافِــر
ثُم مــاذا؟ ثم قَــدْ سَــاد الحَلَكْ فَجْــأةً والقَبَــسُ الهــادي خَبَــا
ثم أحسســتُ بدقــاتِ الفَلَــكْ لاَهثــاتٍ، تَتراخَــى تَعبَــا
رجفةُ الخائف أَضْنَاهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاَهثاً عَدوَ الطّلاءْ[1]
قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ
وإذا قلــبي خَفُــوقٌ مُنْتَهَــكْ ليــس يَــدرِي لخــلاصٍ سَــبَبَا
حولَــه الظُّلْمــةُ في أيِّ سَــلَكَ حيــثُ ينســى الهاربُــون الهَربَا!

***

قلتُ ماذا؟ قال لَي: رَجْعُ الصَّدى إيه مــاذا؟ قلــتُ للوهــمِ عَلامَا؟!
قال لي اخشعْ أنْت في وادِي الرَّدى حيث يَطْوِي الضَّوءَ طُرًّا والظَلامَا!
ها هنــا تُثوي الأمــاني؛ هَا هُنا
فَي مَهاوِي اليأسِ في كَهْفِ الفَنَا
كل شــيءٍ هالِــكٌ، حــتى أنَا!
ثم ضَــاعَ الصوتُ يَفْنَــى بَدَدَا وتَلاشَــى تــاركاً منــه النَمامَــا
وإذا بِــي عُدْتُ أسْــرِى مُفْرداً لا أرى شــيئاً، ولا أدْرِي إلامَــا!

١- الطّلاء: مفردها الطّلا، والطلا: ولد الظبية
٢- طُرًّا: جميعاً
٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء *

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[1] -- كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنـــا في ذلـــك القفـــرِ هُنا   مَا بَرحنـــا منذ حين شَـــاخِصَاتْ؟

كلُّ شـــيءٍ صامتٌ مِـــن حَوْلنا   وأرانـــا نحـــن أيضـــاً صَامتـــاتْ!؟

تطلُعُ الشـــمسُ علينا وتغيبْ

ويظلُّ الليلُ كالشـــيخِ الكئيبْ

والنجومُ الزُّهْـــرُ تغدُوَ وتَئُوبْ

وهجيرٌ وأصيلٌ... وطلوعٌ وأفولُ...   ثم نَبقَى في ذهولٍ ساهمات!

* * *

أفلا تدرينَ يـــا أُخْتي الكبيرةُ   مـــا الـــذي أطْلَعَنـــا بـــينَ اليبـــابْ؟

أيمـــا إِثْـــمٍ جنينْـــا أو جريرةٍ   سَـــلَكَتْنا في تجاويـــفِ العـــذابْ؟

١- الأبيد: الموحش

قد سئمت اللّبْثَ في هذا المكانْ
لَبْثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانْ
أفما آن لتبديل... أوان؟
حدثيني لِم نَشْقَى؟ حدثيني كم سَنَلْقَى؟ حدثيني كَم سَنَبْقَى واقفات؟

* * *

الكبيرة:
أنا يا أُختاه: لا أدري الجوابَ وَدَفِينُ السِّرِ لم يُكْشَفْ لَنا
منذ ما أطلعتُ في هذا الخرابِ وأنا أسألُ: ما شَأنِي هُنا؟
فيجيبُ الصمتُ حَولي بالسُّكُونْ!
وأنا أخبط في وادي الظنونْ
لستُ أدري حكْمَةَ الدَّهرِ الضنينْ[1]
غير أنا حائراتٌ... والليالي العابثاتُ... تتجنّى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبّما كُنّا أسيراتِ القَدَرِ تَسْخَرُ الأيامُ منّا واللّيالي!
تَضرِبُ الأمثالُ فينَا والعِبَرَ وإذا نشكو أذاها لا تُبالِي!
رُبما كُنا مَساحِيرَ الزَمنْ!
قد مُسِخْنَا هكذا بين القُنَنْ[2]
في ارتقابِ الساحرِ المُحْيي الفَطِنْ!
فإذا كان يعود... فكّ هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح
٢- القنن: مفردها قنّة: وهي قمة الجبل

أو ترانــا نَسْــلَ أربــابٍ قُدَامى   قــد جَفَاهــا وتَولّــى العابدُون!
جَفَّتْ الــكأسُ لديهــا، والنَّدامى   غــادروا ندوتَها تَنْعــي القرُون
أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ!
صَاغَنا في ذلك القفرِ الغَشُومْ!
وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ!
فبقينا في العَراءِ..   يجتوينا كلُّ راءٍ..   وسَنَبْقَى في جَفاءٍ شاردات[1]

* * *

لســتُ أدرِي، كلُّ شيءٍ قد يكونُ   فَتَلقّــي كلَّ شــيءٍ في سُــكُونْ
وإذا مــا غَالنــا غُــولُ المَنــونِ   فهنــا يَغْمُرُنــا فيــضُ اليقــينْ!

* * *

ثم سَــادَ الصمــتُ كالطيــفِ الحزيــنْ
وتَسَــمَّعْتُ   لأقــدامِ   الســنينْ
وهــي تَخْطُــو خَطْــوةَ الشــيخِ الرزينْ
هامساتٍ في الرمالِ   مُنشِداتٍ في جلالِ   كلُّ شيءٍ للزوالِ والشتات

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من اجتوى: كره

بين الظلال *

يـــا ذكْرَيــاتيَ البعيــدةَ

يـــا أُمنياتِــي الشَّــريدةَ

إلّي قبــلَ الصبــاحِ

إلّي مِــنْ كلِّ صــوبِ

فَهينمِــي حــولَ قلــبي

فانــت وَحْيِــي وزَادِي

غَفلْــتِ يــا ذِكْريــاتيَ

بــين اصطخــابِ الحيــاةِ

وكلِّ جَــأرٍ قــويِّ![2]

ســهوتِ يــا أُمنياتِــي

إلى مَراقِــي الحيــاةِ

بحاضــرٍ مَأتِــيِّ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجأر: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتي البعيدة　　في عالمِ الأشباحِ
يا أُمنياتِي الشريدةَ　　في عالمِ الأرواحِ
إلىّ قَبلَ الصّبَاحِ
الليلُ أرْخَى سُتُورَه　　في هُدْأة كالخُلودِ
والبدرُ أَرْسَلَ نورَه　　كبَسْمَةٍ من وَليدِ
راضِي المُحيَّا سعيدِ
وخَفَقَ الكونُ خفقاً　　قد ضَرَّمتْهُ الليالي
وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً　　بذكرياتِي الخَوالي
وأمنياتِي الغَوَالي
وجدتُ نَفْسي وكانتْ　　ضَاعَتْ ضَياعَ الإياسِ
ورُضْتُ نَفْسى فَلانتْ　　من بَعْدِ طولِ الشّماسِ
وبعدِ صعبِ المِراس
ورفرفتْ ذكرياتٌ　　أثَرنَ قَلْبي حنينَا
ونضّرَتْ أمنياتٌ　　ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا
فيالصنعِ السنينَا
يا ذكرياتِي البعيدةَ　　في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتِي الشريدةَ في　　عالمِ الأَرواحِ
إلىّ قبلَ الصباحِ
فالفجُر في الكونِ لاَحَ
والصبحُ يُذْكِي الصياحَ
فأقبلِي في انفرادِي　　ورفرفِي في فؤادِي

* * *

الإنسان الأخير*

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ   وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ[1]

ويُشْرِقُ وجهُ الصبُّحِ في غمرةِ الدُّجى   كما تشـــرقُ الآمالُ واليأسُ غَامِرُ

وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرى   وتخفـــقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَـــاعِرُ

وحينَ يعِجُّ الكونُ بالصوتِ والصَّدى   وبالكدحِ تُزجِيـــه المُنى والمخاطرُ

وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التي   يَضجُّ بها الأحياءُ، والدَّهرُ سَـــاخِرُ

* * *

ولكنّــــه لم يُلْـــفِ بالكـــونِ نَأمَـــةً   تَنِمُّ على حـــيٍّ، ولم يَهْفُ خَاطِرُ

ففي نفســـه ما يُشـــبه الموتَ سَكْرَةً   ومن حولِـــه موتٌ نَمتْـــه المقابرُ

جَـــلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَـــعَ وَجَهـــه   عليه؛ فقرّتْ في النفوسِ الضمائرُ

وصَمْتٌ فما في الكونِ صوتٌ ولا صَدَى   ولاَ خَفْقَةٌ يُحْيي بها الكَوْنَ شاعرُ

فـــأدركَ في أعماقِـــه عَـــن بَديهـــةٍ   نهايةَ ما صَـــارتْ إليـــه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيـــبِ عن أيِّ صاحبٍ   ففي نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ

ولكنـــه أَلْقَـــى بهـــا عَبْـــرَ نظـــرةٍ   على الكـــونِ والأيامِ وهي دوائرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدّيجور: الظلام والجمع : دياجر

٢- عَجَّ يعجُّ: رفع صوته وصاح.

٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكامٌ وأشــلاءٌ وأطــلالُ نعمــةٍ وبؤسٌ، وشَــتى ما حوتَه الأداهرُ
وفي نفســه مــن مثلهــا كلُّ ذَرَّةٍ فهاتيك أشــلاءٌ وهَذي خواطرُ
تجَمَّــعَ فيها مــا تَفَــرَّقَ في الوَرَى وما ضَمنَتْ تلك السُّنونُ الغوابرُ
خلاصــةُ أعمارٍ وشــتى تجــاربٍ ومجمعُ أشــواقٍ بها الكونُ حَائرُ

* * *

وأوغَل في إطْراقةٍ ملْؤُها الأســى فمرّت عليــه الذكريــاتُ العَوابرُ
تَحتٌّ خُطَاهــا مَوْكِباً إثرَ مَوْكِبٍ وقد جاورتْ فيها المآســى البَشَائرُ
وأقبلــتْ الآمالُ واليــأسُ حَولها تُمزّقُهــا أنيابُــه والأظَافــرُ
وجمّع فيهــا الخيرَ والشــرّ رابطٌ من النفسِ مشــدودٌ إليها مُخَامِرُ[٢]
وشَــتى عبــاداتٍ وشــتى عقائدٍ يُؤَلّفُهــا الإيمــانُ وهــي نَوافِــرُ
وفيهــا من المجهولِ ســرٌّ وروعةٌ ورغبــةُ محــرومٍ وخوفٌ مُســاوِرٌ
وقد كانَ في المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ تُحَجّبُــه عــن طالبيــه السَّــتائرُ
فياليتَه يَــدْرِى بما خَلْف سِــتْره فيختم سِفْرَ الناسِ في الأرض ظَافِرُا[١]

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.
٢- مساور: واثب ثائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار: صارعته.
٣- سِفرَ الناس: كتاب الناس

وعادتْ له الآمــالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرْجَــى، وأَذْكاه الخيــالُ المغامرُ

لعــل وراءَ الكــونِ مِفْتَــاحُ لُغْزِه وطلْســم ما ضُمَّتْ عليه السَّرَائِرُ

وما هي إلا وَمْضَةٌ تَكْشِــفُ الدُّجَى ويخلعُ هذا الجســم والجسمُ جَائِرُ

ولــولا مواثيــقُ الحيــاةِ تُشــدُّه إليهــا لأمضى عَزْمَــهُ وهو صَابِر.

وخلّف هذا الجسمَ للموتِ والبِلى وأشرقَ رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ

وعَــاودَه حــبُّ الحيــاةِ لِذاتِهــا وقد أَجْفَلتْ تلك النَوازِى الكوافرُ

وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ امتلاكها لــه وحدَه والنــاسُ مَيْــتٌ وداثُر

فعــادَ إلى الدُّنيا العريضــةِ مالكاً ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَن يُشــاطرُ!

ولكنّــه لم يســتطبْ مُلْكَــه الذي تمحَّــض لا يســعى بــه أو يغامرُ

وما فيه مــن كدٍّ ولا من تســابق ولا ســابقٌ في الكادحــين وقاصرُ

وكيــفَ يطيبُ العيــشُ إلا تزاحماً فيرْبَــح مجدودٌ ؛ ويَخســر عَاثِرُ؟!

***

هنالك دوّتْ في السماكين صيحةٌ دعاءٌ لعزرائيــلَ والكونُ سَــادِرُ

((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً بَرِمْــتُ بِمُلكٍ رَبُّه فيه خاســر))

((فهيا إِذنْ للمــوتِ أَرْوحُ رِحلةٍ لِتُكْشَــفَ أَسْــتَارٌ ويَهــدَأ ثَائرُ))

***

وفيما يُعاني سَكْرةَ الموتِ هَينَمَتْ[٢٧] إلى مَسْــمَعيه هاتفــاتٌ ســواحِرُ

((هو السّرُ أن تهفو إلى السّرِ لهفةٌ وأن تَشْتَرُوا الآتيَ بِما هُو حَاضِرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطِيفُ بنفسي وهي وَسنانة سَكْرَى   هواتفُ في الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[1]

هواتفُ قد حُجّبْنَ؛ يَسـرين خِفْيَةً   هوامسُ لَم يكشِـفنَ في لحظةٍ سِتْرا

ويَعْمُرنَ من نفسِي المجاهلَ والدُّجَى   ويُجَنّبْنَ من نفسـي المعالمَ والجَهْرَا

وفيهن مَنْ يُوحـين للنفسِ بالرّضا   وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُّخْطَ والنكْرَا

ومن بينِ هَاتيـك الهواتِف مَا اسْمُه   حنينٌ. ومِنهُنَّ التشوقُ والذّكْرى!

أَهَبْنَ بنفسِـي في خُفـوتٍ ورَوعَةٍ   وسِرنَ بِهمسٍ، وهي مَأخُوذةٌ سَكْرَى

سَـواحِرُ تَقْفُوهُن نفسي ولا ترى   من الأمـرِ إلا ما أردنَ لهـا أمراَ!

إلى الشاطئِ المجهولِ، والعَالَمِ الذي   حَنِنـتُ لمرآه؛ إلى الضّفةِ الأخرى

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تَرى   معـالَمَ للأزمانِ والكَوْن تُسْـتَقْرَا.

إلى حيثُ ((لا حيثُ)) تُميزُ حدودَه!   إلى حيثُ تَنسى الناسَ والكونَ والدّهرا

وتشعر أن (الجزءَ) و(الكلَّ) واحدٌ   وتَمْـزِجُ في الحسّ البداهةَ والفِكْرَا

فليس هُنا (أمسُ) وليس هنا (غَدُ)   ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرى

فليـس هُنا(غيرُ) وليـس هنا (أنا)   هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرى التي احْتجبتْ سِراً

***

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى:: متتابعة.

خَلَعتُ قيودِي؛ وانطلقتُ مُحَلّقاً   وبي نشوة الجبارِ يَســـتلهِمُ الظَّفرَا

أُهـــوّم في هذا الخلـــودِ و أرتقي   وأَسْلُك في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَى

وأكشـــفُ فيـــه عَالماً بعـــدَ عالمٍ   عجائـــبَ مازالـــتْ ممّنعـــةً بِكْرَا

لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَستشيرُه   حقائقَ جلَّتْ عن حقائقِنا الصُّغْرى

هُنا عَالَمُ الأرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا!   فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسّـــحْرَا

***

السر
أو
الشاعر في وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكونُ عند مغربَ الشمس، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى.

وفي مرةٍ منذ ستة أعوام ؛ أرقَ في الهَزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حمى المَوتى، مدفوعاً بشعورٍ غَامض، لا يبالي وحشةَ مثل هذه الأماكن ، في جُنْح الليل المُدْلَهِم!

وسار خطواتَ، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم تُوجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئيات .

وقد عاد صامتًا واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرَّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعرا؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطاع عنها التعبير.

***

---

* نشرت في ١٩٣٤.

مَنِ الطارقُ السَّارِي خلالَ المقابرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ في الدُّجْنَاتِ عَابِرِ[1]؟

من الوجلُ المذعورُ في وحشةِ الدُّجَى تقلّبُــه الأوهــامُ في كلِّ خَاطــرِ؟

ينقّــلُ في تلك الدياجــيرِ خَطْوه ويخطــرُ في هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ؟

وقد سَــكَنَتْ مِنْ حَولِهِ كلُّ نَأمَةٍ سِــوى قلبه الخفاقِ بينَ الدَّياجرِ؟

وغَشَّاه رَوعُ الموتِ، والموتُ رَوعةٌ تَغْشَــى، فيعنُو كَلُّ نِكْسٍ وَقَادرِ؟

* * *

«هو الشاعرُ الملهوفُ للحقِّ والهُدى وللســرِّ لم يَكْشِــفْه ضَوءٌ لناظرِ!

تحيَّرَ في ســرِّ الحياةِ ومــا اهتدى إليه، ولَــم يَقْنَعْ بتلــكَ الظَّواهرِ

وسَاءَلَ عنه الكونَ والكونُ حائِرٌ يســيرُ كَمغْصُوبٍ بأيدِي المقادرِ!

وسَاءَلَ عنه الموتَ، والموتُ سَادرٌ وسَاءَل عنه الشِّعَر في حَنَقٍ ثائرِ![2]

وسَاءَلَ عنه كلَّ شــيءٍ، فلم يَفُزْ بشــيءٍ ولم يرجعْ بِصَفَقَــةِ ظَافرِ

* * *

أفي هذه الأجداثِ طِلَسْــمُ سِرِّه لعلَّ! فمــن يَدْرِي بســرِّ المقابرِ؟

ألم يخلــعْ الموتــى الأحابيل كلَّها؟ أحابيــلَ أوهامِ الحيــاةِ الجَوائرِ![3]

ألم يتركُــوا الدُّنيــا الغَــرورَ لأهلِها؟ ويستوثِقُوا مما وراءَ المصائرِ؟

١- الدُّجنات: الدُّجنة: السواد أو الظلمة

٢- سادر : غير مبال بشيء.

٣- الأحابيل:مفردها الأحبيول، والأحبولة: المصيدة، والمراد هنا المظاهر الخادعة.

ألا تَهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرى إليهـا؟، ألا تُهدي اليقـينَ لحائرِ؟
أجلْ! رُبَّما تُعْطِي الجوابَ لسـائلٍ ورُبَّمـا تجلُـو المصـيرَ لشـاعرِ!

* * *

وفيما يُناجي في حِمى الصمتِ نَفْسه تَسـمَّع هَمْسـاً من خلالِ الحَفائرِ
«مَنِ الطارقُ السَّاري خلالَ المقابرِ فَأقلـقَ مِنَّا كلَّ غَافٍ وسَـاهرِ»؟
«أما يَقْنَـعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه؟ أيَا ويحَ للأحيـاءِ صَرْعَى المَظَاهرِ»
«تَركْنا لهـم دُنْياهُمـو ودِيارَهم ولم يَدَعُونـا في حِمى غـيرِ عَامرِ»

* * *

وقالَ فتى منهـم حديثٌ قُدومُه بِنَغْمَـةِ إشـفاقٍ، ونَبْرةِ سَـاخرِ!
«لعلّ الذي قَدْ دَبَّ في ذَلك الحِمى وأيقـظَ في أحْشَـائه كلَّ سَـادرِ»
أخُو صَبْوةٍ، يهفُـو إلى قبرِ مَيّتٍ لَـهُ عنده وَجْـدٌ وتَحنـانُ ذَاكرِ»
«يقرِّبُـه منها التَّذَكُّـرُ والهوى وتُبْعِـدُه عنهـا غِلاظُ السَّـتائرِ»
«ومَا أخْدعَ الحبَّ الذي في ديارِهم! يُغَشّـى عَلى أبصارِهـم والبَصائرِ»
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفي صوتِها أسـىً وَنَبْـرةُ تَحنـانٍ، وكِتْمـانُ صَابرِ
«ألا رُبَّما كانـتْ ثَكولاً حَزِينةً على فَلْـذةٍ مِـنْ قَلبِهـا المُتَناثرِ»
«ورُبَّما كانتْ عَجُـوراً تَأيَّمَتْ وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضبِ العَونِ غَادرِ»

* * *

وقَدْ ذَهبُوا في حَدْسِهم كلَّ مَذْهب   وفيما حَوَتْه نَفْسُـــه مِنْ مَشـــاعرِ!
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يدْوِي كأنّما   هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظَاهرِ
«مَنِ الطارقُ السَّارِي خلالَ المقابرِ   فأقلق منّــا كلَّ غَافٍ وسَــاهرِ!»

* * *

فقال أخو الأحياء؛ والقلبُ خافقٌ   مِنَ الوَجَلِ الأخّاذِ، في صَوْتٍ حاسرِ
«أنــا الحيُّ لمَّا يدرِ أســبابَ خَلْقه   أنا المُدْلِجُ الحيرانُ بــينَ الخواطرِ»
دلفــتُ إلى وادي المَنَايَــا لَعلّني   أفــوزُ بســرٍّ في حَنَايــاه غائــرِ؟
أمــا تَعلَمُون السّـــر في خَلق عَالمٍ   يموتُ ويَحيَــا بينَ حــينٍ وآخرِ؟
وَتكْنُفُـــهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ   ويركبُ للغاياتِ شَــتى المَخاطرِ؟
وليــس لَــه من غايــةٍ غــيرَ أنّهُ   مَسُــوقٌ إلى تحقيــقِ رَغْبــةِ قَاهرِ!
ضنينٌ بمــا يَبغِيــه ليــس يُبيحُه   لســائله عَمَّــا وراءَ الظّواهـــرِ
ومــاذا لقِيتم بعد ما قَــدْ خَلَعْتُمو   قيــودَ الليالي الخادعــاتِ المَواكرِ؟
وماذا وراءَ الغيبِ؛ والغيبُ مُطْبقٌ؟   وهَــلْ يتجلّــى مــرةً للنواظــرِ؟
سؤالُ أخي شوقٍ، وقد طالَ شَوقُه   وحيرتُــه، بينَ الشــكوكِ الكَوافرِ

* * *

أرَيْتَ لو أنَّ الهــولَ صوّرَ منظراً   تُجلِّلُــه الأخطــارُ جَــدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَــادَ الصمتُ بين الحفائرِ   ورَانَ علــى أرواحِهــم والضّمائرِ
وأذْهَــلَ هَاتيك النفوسَ فخفَّضَتْ   من البَهْــرِ[٩٢] والإعياءِ دقّاتِ طافرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَدْوِي كأنّه   يُحَــدِّثُ مِنْ كَوْنٍ قَصِــيٍّ المَعابرِ!
أيــا وَيْلهــا تلك الحيــاةَ وأهلهَا   تُكَشِّــفُ عن بلوائها كلَّ سَــاترِ!
وتطلبُ أســبابَ الشَّقاء لنفسها!   فتضرِبُ في تيهٍ من الشكِّ حَاضرِ!
لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنا   وهَــدَأ في أفكارِنــا كلُّ نَافــرِ
نســينا ســؤالاً؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ   يــردِّدُهُ حــيرانَ في حَــزَرٍ حَازرِ
نســيناه فارتَحْنا مــن الحَيْرةِ التي   خَسِــرْنا بها الأعمارَ جَــدَّ نواضرِ
وها أنــت ذا تُذْكِيه. يا لك جائراً   ويــا لكَ مخدوعــاً بســرِّ المَقابرِ!
وهــا نَحن وَدَّعنا هــدوءاً وهينةً   شــريناهما بالعُمرِ، يا للخســائرِ!
أريْتَ لو أنَّ الهــولَ صَوَّرَ مَنظراً   تجلُلُــه الأخطــارُ جَــدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَــادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ   ورانَ علــى أرواحِهــم والضمائرِ
وأذهَلَ هَاتَيك النفَوسَ فخفضتْ   من البهــرِ والإعياء دَقــاتِ طَافرِ

* * *

وعَاد أخو الأحياء يعطو بحســرةٍ   ولهفــةِ محــرومٍ، وإعيــاءِ خَائــرِ
لقد كانَ في المَوتى وفي الموتِ مَأمَلٌ   يُعلله بالكشــفِ عــن كلِّ ضَامرِ
فألفى سَــراباً ثمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدَى   فــوا ندمــاً عــن بحثِــه المُتواترِ!
فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَى   ويأملَ بعدَ الموتِ كَشْــفَ السَّتائرِ
ويا ليتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خَطوهُ   فيَطْــوِي حَيا عُمرِهِ رِبْحَ خاســرِ!

التجارب *

كثيراً ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته كأنما وُلد في لحظته، ولكنه لم يستطبْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكنُ إليها، وودَّ لو أن الأقدار وهبته ماضياً سعيدا؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغربته عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفةٍ واشتياقٍ إليه.

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ الجوانب بكل مصابٍ فادحِ العبْءِ صَائبِ![1]

وضَاق به صدراً على طُولِ صُحْبةٍ تُملُّ، ويَا بِئْسَ الأسى من مُصَاحِبِ!

وودّ لــو أنَّ الدهرَ يُعْفِيــه بُرهةً من الغابــرِ المملولِ جَــمّ النَّوائبِ

فأصْغَتْ لــه الأقــدارُ في أُمْنياتِه علــى أنهــا لم تُصْغِ يومــاً لِطالبِ

وأعْفَتْــه مــن ماضِيه حــتى كأنّه وليدٌ خَليُّ القلــبِ من كلِّ نَائبِ!

* * *

نَضَا عَنْه أعْبَاءَ السِّــنينَ الغَوارِبِ ونَحّى عن الآمالِ قيدَ التجارِبِ[2]

وعَــادَ طليقــاً لا يُعــوّقُ خَطْوَه مَرَّاسٌ؛ ولا يَثْنِيــه خَوفُ العَواقِبِ

---

* نشرت: ١٩٣٤

١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.

٢- المرّاس: ذو الشدة العظيمة.

وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحى وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغَائِبِ

وآضِ وليدُ اليـــومِ في مَيْعةِ الصِّبا جديداً بدنياه؛ جديـــدَ المطالبِ[1]

بعيداً عن الماضِي الذي آدَهُ الأسى وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ[2]

* * *

ولكنّـــه ألْفَاه أسْـــوَانَ مُوحشـــاً كما أُفْرِدَ الإنْسِيُّ من كلِّ صَاحبِ

وألفَـــاه في هـــذي الحيـــاةِ كأنَّه غريبُ عَـــرا، في عَالمٍ مِنْ غرائبِ[3]

وألفاه مقصوصَ الجَنـــاحِ إذا هَفَا إلى الأوج لم يُسْـــعِفْه عزمُ المُغَالبِ

وإنْ هَـــمَّ لم يُبْصِرْ لَـــه من ركيزةٍ تَضَاعَفَ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثِبِ

وقَدْ أبْصَرَ الآمـــالَ عَرْجَاء لم تجدْ لها سَـــنَداً من ذِكْرَيـــاتٍ ذَواهبِ

فعادَ إلى الأقدارِ يشـــكو صَنيعَها ويُوسِعُها في شَـــكْوه عَتْبَ عَاتبِ!

أما يستطيعُ الدَّهرُ – لو شَاء نَصفَةً له – عوضاً من غابـــرٍ منه خَائبِ

بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ صَفوَه الأسَى! فيحيا علـــى رُكْنَيْن: آتٍ وذَاهبِ!

* * *

فَأصْغَتْ لـــه الأقْـــدارُ في أُمنياتِه على أنهـــا لم تُصْغِ يومـــاً لِطالبِ!

وأعطتْـــه أنْقى صفحـــةٍ في كِتَابِها لأسْـــعدِ مَخْلوقٍ وأهنَـــأِ رَاغبِ!

* * *

١- آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله

٢- آداه: قوّاه وأعانه

٣- عَرا: من العُرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنــه ألفــاه لم يغــدُ مالــكاً ... لِمــا مَنَحَتْــه مِنْ عَزيــزِ المَواهبِ

وألفاه لم يكْشِــفْ خَبيئةَ نفســه ... لذياك الماضي الــذي لَمْ يُصَاحِبِ!

وأَبْصَــرَ بالآمــالِ حَــيرى كأنما ... تَســاءَلُ عن دَاعٍ لها جَــدِّ دَائبِ

دَعَاهَــا فلمَّا أقْبلتَ من سَــمائِها ... رأتْ غيرَه في غَفْلَــةٍ غيرَ رَاقِبِ[1]

ومــا الأملُ «البسَّــامُ» إلاّ رغيبةٌ ... لنفسٍ ترى مِنْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضِبِ»

* * *

فَعَــادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُــبُ عَوْنَها ... عَلى رَجْعِ مَاضيه بِحَسْــرَةِ تَائبِ!

أجَلْ عادَ مَلْهُوفــاً لِمُرِّ التجاربِ ... وأيامه الأولى الظِّماءِ السَّواغِبِ[2]

أجَلْ ذلك الماضي الذي هُو بِضْعَةٌ ... من النفسِ دُسَّتْ في الحَشا والترائبِ[3]

* * *

فأصغتْ لــه الأقــدارُ في أمنياتهِ ... علــى أنّها لَم تُصْــغِ يوماً لِطالبِ!

وعَــادَ إلى دُنْيــاه مِنْ بَعْــدِ غُربةٍ ... وألقتْ عَصَاها واســتقَرّتْ بآيبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.

٢- السواغب :مفردها ساغبة: جائعة متعبة.

٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسّت في القلب والصدر.

خبيئة نفسي *

خبيئةَ نفسي؛ قد غَفَا الكونُ فاسفِري   وكوني سَميري، بعد أنْ نامَ سُمَّري
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها الكَرَى   وهوَّم في جوفِ الدُّجَى رُوحُ خيِّرِ[1]
يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا   ويغمــرُ بالإغفــاءِ رأسَ المفكــرِ
وينتظــمُ الدنيــا هــدوءاً كأنهــا   عــوالمُ في وادِي المُــنى لم تُصــوَّرِ
فلا صوْتَ إلا خَفْقَــةٌ من جوانحٍ   كما خفقتْ للضــوءِ عينُ المُصوِّرِ
ولَــمْ يَبْقَ من تلك الحيــاة وأهلِها   سوى طيفِها السَّارِي بوادِي التَّذَكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفســي مِن عهودٍ ســحيقةٍ   ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولدي!
أُحِسُّــكِ في أغوارِ نفسي ولا أرَى   مُحيَّــاكِ إلا كالخيــالِ المُشَــرَّدِ
علمتُكِ حــتى أنتِ مِنِّــي بُضْعةٌ   جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْــهدِ
ويــا طَالما أخلفــتِ لي كلَّ مَوْعدٍ   ويــا طالما ألقــاكِ في غــيرِ مَوْعدِ!
عجبتُ فكــمْ مِنْ نفــرةٍ تَنْفُرينها   على فَرْطِ مــا تُبْدينه مــن تَوَدُّدِ!
حديثُكِ من نفســي قريبٌ؛ وإنما   إخالُــكِ في وادٍ من التِّيه سَــرْمَدِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنقها: كدّرها.

خبيئةَ نفســـي، ما تُرى أنتِ؟ إنني أريــدُك في جوٍّ من الضــوءِ مَعلَمِ
أعنصــرُكِ الإيمــان والطُّهرُ أصلُه وإلا إلى الكفــرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ؟
وفي أي وادٍ أنْتِ تســرين خِلْسَةً؟ ومــن أي عهدٍ في الجهالاتِ مُبْهمِ؟
وكم فيك من نصرٍ، وكم مِنْ هَزيمةٍ تَجاوزتَــا في حَشْــدِكِ المتَزَحِّــمِ
وكم فيك من يأسٍ؛ وكم فيَك مَأملٌ وكم مــن تَردٍّ، أو وثــوبِ تَقَحُّمِ
وكم فيك من حُبٍّ، وكم فيك بغضةٌ ومِنْ رُشْــدِ إلهامٍ، إلى خَبْطِ مُظْلِمِ

* * *

خبيئةَ نفســي في ثنايــاكِ مَعْرِضٌ لمــا لَقِيَتْــهُ الأرضُ في الجَــوَلاَنِ
وفيــك من الآبــادِ ســرٌّ وروعةٌ وفيــك صِراعاتٌ بــكلِّ زمانِ[1]
وفيك الْتقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقه وفيك الْتقَى الرُّوحــيُّ والحَيواني
وإنــكِ طَلْســمُ الحيــاةِ جميعها وصورتُها الصُّغــرى بكلِّ مكانِ[2]
أبيني إذنْ عن ذلــك العالم الذي تضمَّنتــهِ مــن صُــورةٍ ومَعَــانِ
أبينِــي أُطَالِعْ في ثنايــاكِ مَا مَضَى ومــا هُــو آتٍ مِــنْ رُؤىً وأمَانِ

* * *

١- الآباد: مفردها الأبد وهو الدهر .
٢- الطّلسَمُ: السرُّ الغامض.

الخطيئة*

مِنْ خِـلال الظَّلماءِ في بَهْمَةِ اللّيلِ تَمَشَّـتْ كالحيَّـةِ الرَّقْطـاءِ
تُوقظُ الجِسْـمَ والغزيزةَ بالْهَمْسِ وتَطغـى علـى الحِجَا والـذكَاءِ
وَهْيَ من خشـيةِ الضّميرِ توارَى في زَوايـا الميـولِ والأهـواءِ
فـإذا شَـعَّ مِنْ سَـنَاهُ شـعاعٌ أرْجَفَتْ منه، وانـزوتْ في التواءِ
وإذا خيَّـم الظَّـلامُ تـراءَتْ في احتـراسٍ مـن أعـينِ الرُّقَباءِ!

* * *

لحظـةٌ تلـك ثم خَيَّـم صمتٌ وظَـلامٌ؛ فما تَـرَى مِـنْ ضِيَاءِ
فمضـتْ تُضـرِمُ الغريـزةَ ناراً وتُثـيرُ الشُّـواظَ بـين الدِّمـاءِ
البِدارِ البِـدارِ يا أيها الْجِسْـ ـمُ شِفاءً من الطَّوى والظُّماء![1]

* * *

وتوارى (الإنسـان) حين تبدَّى (حيـوانٌ) ذو شِـرَّةٍ نَكْـرَاءِ
وإذا بالخطيئَـةِ السَّـوْءِ نَشْـوَى بانتصـارٍ، نالتْـهُ في الظَّلْمَـاءِ!

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥

١- البدار: الإسراع. الطّوى والظماء: الجوع والعَطَش.

القطيع *

لَظى الشمسِ ؟ أم فَوّارةٌ من جهنمِ تَســيُل شَــظَاياها، وتنضَحُ بالدَّمِ

هو القيظُ قد فــازتْ ينابيعُ وَقْده وفاضتْ على الأرضين في كل مَجْثَمِ

وضَاقَ رُواقُ الظّل عنها وأرسلتْ من الشــمس أرسالٌ إلى كلّ مُبْهَمِ

فمالَ إلى الرَّاعي الشَّطوطِ قطيعُه يَبــثُّ رجــاءً في ثُغَــاءٍ مُتَمْتِــمِ

ونَاجَاه، ويحَ الظلِّ إنْ نحن لم نَملْ إليــه، ويا بُؤْسَــاه سـعياً لِمَغْنَمِ!

عَيينا بهذا الضَّــرْب في كلِّ حَرَّةٍ وراءَ ذَمَاءٍ من شَــرابٍ ومَطْعَمِ[1]

وما أنتَ — لو تدرِي — برابحِ صَفْقَةٍ ولا نحــن؛ إنَّا كَلّنَا ذلــك العَمِي!

نســيرُ بصحراءِ الحياةِ، ولا نَرى سِــوى ظِلّنا، يَطْغَى على كلِّ مَعْلَمِ

يُسَــخِّرُنا مَــنْ لا نــراه، لغايةٍ يَراهــا، ولم نُــؤذَنْ بهــا أو نُفَهَّمِ!

فيا أيُّهــا الرَّاعِي هــدوءًا وهَيْنَةً إلى الظــلِّ نَرْتَعْ لحظــةً أو نُهوّمِ[2]

فمــالَ به الرَّاعي إلى ظــلِّ دَوْحةٍ ظليلٍ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْولِ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١- الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذماءٍ: البقية.

٢- النهومُ: النوم الخفيف.

تَناهَى إليها الطيرُ من وَقْدة اللَّظى وثـــابَ إليها الظِّـــلُّ في غير مَعْجَلِ

وألْقَـــى عصاه، ثُمَّ ألْقَى بجســـمِه وقد ضَافَه بالأيْنِ طـــولُ التنقلِ[1]

وراغَ إلى المـــاء القطيـــعُ كأنمـــا تَدَهْدَهَ جَرفٌ مـــن بَطيحٍ مُزَلْزَلِ

يَعُبُّ وَيستســـقي بشـــوقٍ ولهفةٍ ويُفْعَـــمُ ريَّـــا مـــن مُعـــلٍّ ومَنْهلِ

فلما ارْتَوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً وقد حلَّ في أعضائـــه كلَّ مَفْصلِ

فنامَ على الأعشابِ، مَا إنْ تُرى له رؤوسٌ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ

توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ التقتْ مَدَاخِلُه، وانْسَابَ جَمَّ التَسَلْسُلِ[2]

كأنَّ شـــاءَ ذياك القطيـــعِ تَوَحُّداً فأغفـــلَ ذاك الرأسَ رمـــزَ التعقلِ

ويا طالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُـــهم وما يَقتضيـــه من طِمـــاحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعي رُؤىً عَسْجَديةٌ وجالـــتْ به الأحـــلامُ كلَّ مَجالِ

لقـــد هبطَ الـــوادى فَألْقَـــاه جنةً بمـــا فيه مـــن خَفْضٍ وهَـــدْأة بَالِ

ومـــاءٍ غزيرِ النبعِ سَلْسَـــالِ مَنْهلٍ يَحُفُّ به عُشـــبٌ وفيـــضُ ظِلالِ

ألاَ إنـــه هـــذا النعيـــمُ ، وإنهـــا هي الجنـــةُ الفَيْحاء خلـــقُ خَيالِ!

وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ، ياله من الخوفِ في هَـــوْلٍ به وصيالِ[3]

١- الأين: الإعياء والتعب.

٢- الزَّرد: حلقُ الدّرع، المراد أن الشاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درع من حلق.

٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزمجر فيه الوحـــُش من كل فاتكٍ قـــد اختلطـــتْ أصواتُـــه كعَوالِ

وتَعْصِفُ فيه الريحُ، ياهَولَ عَصْفِها زئيرُ أُســـودٍ، أو فحيـــحُ صِلالِ[1]

فهَـــبَّ مَفيقـــاً، يســـتبين حياتَه ليوقـــن أن لم تَصطـــدم بوبـــال

فألفى قطيعَ الشـــاءِ يدعوُ فصيلَه إلى التّدىْ ، في صوتٍ يجلجل عالِ

وأطرقَ يستوحي الرُّؤىَ ويحها الرؤى إلى أين قد طافَتْ بـــه غيرَ عَالِمِ؟

وأين مـــن الوادى خُطَـــاه؟ وإنها لَآ مأُل رَاجٍ أو خيـــالاتُ حَالَمِ !

وأين هـــو الغابُ الرّعيـــب؟ وإنّه ليهفُـــو إلى مـــاضٍ ســـحيقِ المعالِمِ

لأعيـــاه تَاؤيُل الـــرُّؤى ، غير أنّه يحسُّ هدوءاً في ضَلالِ الطلاســـمِ

فمـــال على (أرغوله) يَستَجيشُـــه خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائـــمِ

فرجَّـــعَ أنغاماً من الغـــابِ وِزْنُها وألحانُهُـــا نســـمُ الريـــاضِ الحَوالِمِ

فأوزانُهـــا ذكـــرى، وألحانُها مُنىً كذلك يشدو في الورى كلُّ نَاعِمِ

وقد رقَّتْ الآصاُل وانْسلّتِ الصَّبا وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السّوائمِ

فـــكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَـــةٍ ولـــذّاتِ مَوهـــوبٍ وآلامِ غَارِمِ

وغَشَّـــى على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوّ متْ ونامـــتْ كطفل في الغِـــرارِةِ هَائِمِ

* * *

١- الصّلّ: الحية من أخبث الحيات، والجمع: الصّلال.

على القمة*

نظــرتُ إليها وهي شَــمَّاءُ تذهبُ كما لاَحَ في أفْق السموات كوكبُ

فأعجبــني منها السُّــموقُ وهَالَني تَطاولُها والرّيح تَطغى وتَصخبُ[1]

وطــارَ خيــالي فوقَهــا ووراءَها يصــوّر مــن أطيافِهــا مــا تَغيّبُ

عجائــبُ لَم تخْطُر على البالِ مثْلُها ودُنيا من الأحــلام تَزْهُو وتعجبُ

وقلت: ســعيدٌ من تطــاولَ كَفَّهُ ذَرَاها وتــدرِى عينُه مــا تَحجبُ

دَلَفْتُ إليها، والخُطَا تَسْــبِق الخُطَا وفي النفس شَوقٌ يَسْتَحِثُّ ويُلْهبُ

هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمسُ طيفُه وتهفُــو رُؤاه مغْريــاتٌ وتَغْــرُبُ

هو الشــوقُ للرُّقيا وفي الحيّ حافزٌ إليهــا فيرقــى في الحيــاةِ ويَغلبُ

دَلفْــتُ فلم أنظُــرْ إلى الخلفِ مرةً وهل ينظرُ العَجْلانُ مــاذا يُعَقّبُ؟

وما عاقني جُهدٌ ولا وَقْعُ عُثْــرَةٍ وأنْسَــتْنِي الأشــواقُ أنّــي مُتْعَبُ

هنا القِمَّةُ الشَــمَّاءُ يَا حُسْنَه هنا! ويا حُسْنَ ما يدنُو إلى النفسِ مَأرَبُ

تأمّلْتُهــا فرحــانَ أخفقُ نَشــوةً وأوشــكُ أُغْذِي سَــنَاهَا وأشْرَبُ

وقلتُ: هنا يا نفسُ أشْــرَفُ بُقْعةٍ وأرْحَب أفقٍ في الســماوات يَرقُبُ

وإنّــك مِن فــوقِ التــلالِ طَليقةٌ ولم يَبْــقَ مَســتورٌ عليــك مُغَيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٣٧

٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرّي هنـــا يا نفسُ جَدٌّ سـعيدةٍ فليس وراءَ الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ»

وأغمضتُ عيني سَابحاً في خواطِري وبي نَشْــوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُــبُ

فمــا رَاعَــني إلاّ الزمــانُ يَلُفُّني إلى الضِّفّة الأخرى كما لَفَّ كوكبُ

إلى أيــنَ ؟ لاتَعجلْ رُويــدكَ هَيْنَةً فما هكذا تُطــوى الأمَاني وتَذْهبُ

وما هكذا يُجْــزَى الذي جَدَّ جَدُّه إلى القمةِ الشــمّاءِ، والقلبُ مُلْهَبُ

وخلّــفَ في ناءٍ من السَّــفْحِ زَادَه وما عَــزّه في ذلك الوعــرِ مَرْكبُ

رويــدكَ يا هــذا الزمــانُ فإنني من الهوّةِ الجَرْداءِ أخْشَــى وأَرْهَبُ

وإن لا يكنْ بُدٌّ من الســير فانطلقْ إلى الخلــفِ إنِّي عَاذِرٌ لــك مُعْتِبُ

تَألَّفْتُــه يومــاً فإنْ عُــدتُ لم أَعُدْ إلى غربــةٍ تخفُــو علــيَّ وتَنْكُبُ

ولكنّــه لم يُصْــغِ لي في ضَرَاعتِي ومــازال يَهْــوِي بي ولا يَنْكُــبُ

إلى الهوةِ الجــرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ إلى الهــوةِ الجرداءِ فالدَّهْــرِ يَلْعبُ

* * *

١- تَنكب: تميل عني. والمراد تبتعد

مصرع قصيدة*

أحسسْتُ مَصْرَعَها بنَفْسِي بينَ التأوُّهِ والتأسِّي
وسمعت حشرجة الجريح تئنُّ في أطواء حسِّي
هي من بنات الشّعر لم تُولَدْ، ولم تُوأَدْ لَوكْسِ[1]
جاشت لفاتنةٍ على الشُّطآنِ ذاتِ رضًا وأُنْسِ
نضِجَت محاسُنها كما نضجت قطوفُ جنىً بِغَرْسِ
وحسبتها صينت على ال أنظار من قطفٍ ومسِّ
فهممتُ أدعوها دعا ءَ الفَنِّ في خطراتِ همسِ
شعراً يسِّجلُ حسْنَها للكون في أحناءِ طِرْسِ
وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخس!
يا ويل قُطَّاف الجمال بغير ما وَرَعٍ وَنَطْسِ[2]
بيْنَا نَحُومُ عليه في تَقْوى كما نَرْنُو لِقُدْسِ!

* * *

وإذا التي جَاشَتْ بِنَفْسِي تُتَوّى مُضَرَّجَةً بِحِسّي!

* * *

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطِسَ أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالِعِيــنى في كلّ يــومٍ بِوَجْــهِ فلديكِ الوجــوُهُ شــتَّــى طريفَهْ

وَافْجَئِينِــى لديــك بالخَطْرِ المَحبو بِ يُجَــدِّدْ حياتَنــا المَألُوفَــهْ

بــتُّ أَشْــتَاقُهُ وأرقُــبُ مَــاذَا يَحْمِــلُ اليومُ من أمــانٍ مَخُوفَهْ!

كلَّ سَــمْتٍ أراكِ فيــهِ جميــلٌ كلُّ ظــلٍّ أراكِ فيــه شَــفيفَه

أنــتِ مــا أنــتِ؟ عَالَــمٌ مُترامٍ أبْــدَعَ الفــنُّ والمُنَــى تأليفَــهْ

أنــت كُثْــرٌ فَفيكِ تَحْيَــا طُيُوفٌ كلُّ طَيــفٍ لــه رُؤاهُ المُطِيفَــهْ

تــارَةً أنــتِ حَــرَّةٌ أصْطَلِيهَــا وإذَا أنــتِ كالرِّيــاضِ الوَرِيفَــهْ

وَتَلُوحِــينَ قِطْعَــةً مِــن حَنــانٍ وَتَلُوحِــينَ بَعْــدَ حِــينٍ مُخِيفَــهْ!

وأرى فيــكِ طِفْلَــةً لم تبــارحْ مَلْعَــبَ الطِّفْلةِ. اللَّعــوبِ الخَفيفَهْ

وإذَا أنــتِ قَهْرَمَانَــةُ دَهْــرٍ مُوْغِــلٍ في المَسَــارِبِ المَلْفُوفَــهْ[1]

وإذا ما انْطويتِ أمسَــيتِ سِــرًّا صَانَــهُ الدَّهْــرُ مُحْكِمــاً تَغْلِيفَه

وإِذَا مــا انطلَقْــتِ مثلَ شُــعَاعٍ كنــتِ رَقْرَاقَــةً وكنــتِ لَطِيفَــهْ

لــكِ طَعْــمٌ أذُوقُــهُ بــل طُعُومٌ كُلُّهَــا نَاضِــجٌ هَويــتُ قُطُوفَــهْ

هُــوَ طَعْمُ الحياةِ في فَــوْرَةِ النُّضْجِ شَــهِيُّ الْجَنَــى خَبِــرْتُ صُنُوفَه

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس) عام ١٩٤٢

١- قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظّلام الأمين تَحدَّري يَا سَفِيني
وَجَانِي كلّ نورٍ النُّورُ يُؤذي جُفُوني
لَقَدْ حَطَمْتُ شِرَاعي ومِجْدَفي ويَميني
وهدّ عَزْمِيَ مَوجٌ يَثُورُ كالمَجْنُون
أخْشَاه أخْشَاه جُهدِي فَحَاذِري يا سَفِيني!

* * *

طَالَ الصِّرَاعُ ونَاءتْ نَفْسِي بِعبْءِ السّنين
أُريدُ وَقْفَةَ أمْنٍ في مَجْهَلٍ مَأمُون
أُزِيحُ فيهِ قَليلاً عَن عَاتِقي المَوْهُون
وأستريحُ رُويداً من الصِّراع الحَرُون[1]
وقد أُعاوِدُ سَيْرِي في اللُّج أزجي سفيني

* * *

إلى الظلام الأمين إلى مَلاذ السُّكُون
طَالَ التيقُّظُ حتَّى أعْشَى السُّهادُ عُيوني[2]
إلى المَسَارِبِ فَامْضي لأنْزَوِي عن شُجُوني
وعَنْ رَجائي ويأسي وكلّ ما يَعْنِيني
الانْزِوَاءُ مُريحٌ فَأوْغِلي يا سَفِيني

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- الحرون: المتمرد والمراد: الصراع المرير.

٢- أعشاها: أضعفها.

قافلة الرقيق *

قِــفْ بنا يا حَــادِي العمــر هُنا   لَحْظَــةً تَنْظُــرُ مــاذَا حوْلَنــا
في طَرِيــقٍ قَــدْ نَثَرْنَــا عُمْرَنــا   فيــه أشــلاءَ حيــاةٍ ومُنَــى

* * *

قــد نَثَرْناها على طَــولِ الطريقْ   ومَضينَا ضِمْــنَ قُطْعــانِ الرَّقيقْ!
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحيقْ   مُغْمَــضَ العينين يَسْــرِى مَوْهِنا[1]

* * *

من ظَــلامِ الغَيبِ تَخطُــو قَدمَاه   لظَــلامِ الغيــبِ تَنْسَــاقُ خُطَــاه
في طريــقٍ غامــضٍ يُدْعَى الحياه   يَهْتِــفُ الحــادِي فيمضِــي مُذْعِنَا

* * *

لَهَفَــةً لو عُدتُ أرْعَــى خُطَواتِيَ   في طَريــقٍ دَرَجْــتُ فيــه حَياتِي
فَتَطَلَّعــتُ إلى هــذا الشَّــتاتِ   وأنــا في الكَــرَّةِ الأخْــرى أنَــا!

* * *

لَتَمَلَّيــتُ شِــيَاتِيَ وسِــماتِيَ   وأَمَانِــيَّ ويأسِــي ورَجَاتِــي[2]
وحَمَاقَاتِــي ورُشْــدِي وهَنَاتِــي   والهَــوى الحَانِــي الــذي ظَلَّلنــا

---

* نشرت في عام ١٩٤٦.
١- المَوهِنُ: نحوٌ من نِصف الليل أو بعد ساعة منه. والمراد ليلاً.
٢- شِياتِي: مفردها الشِّية. العلامة.

* * *

كلُّها عَاهَــدتُ أن أقْضِي عُمرِي   وأنــا أُخْلِصُهــا سِــرّى وجَهْرِي

وإذَا السّـــوْطُ هَوى يُلْهِبُ ظَهَري   حيثُ لا أسْـــتطِيعُ رَيْثــاً أو وَنى[1]

* * *

وإذا الآمَـــالُ والآلامُ خَلْفِـــي   سَـــاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيـــدي وخُلْفِي

مُلْقَيــاتٌ بــينَ إهمــالٍ مُسِــفٍّ   لم أُوَدِّعْهــا. فيــا وَاحَزَنَــا![2]

* * *

أيُّهــا الحَــادِي ألا فامــضِ بِنَا   قــد أثــارتْ ذِكْرَياتِي الشَّــجَنَا

لم نعُــدْ نَجــزِعُ لو تَحْــدُو لَنَا: «نحــن لا نَرْجَــع يوماً هــا هُنا»

* * *

١- الريث: التمهُّل ، الونى: الضعف.٢- المُسِفّ: من أسَفّ إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتترع إلى العزاء بالتطلّع إلى جديد:

أنْـــتَ أوْغلتَ في الظـــلامِ طويلاَ   فمتى يـــا رفيـــقُ تبغـــى القُفولا؟

شـــدَّ ما آدَنَا التخبُّـــطُ في الليلِ   وخِفْنـــا ظلامَـــه المدخـــولا![1]

ورأينَـــا الأوهامَ تبدو شـــخوصاً   ورأينا الشـــخوصَ تبدو هَيُولَى[2]

وَخَبَرْنـــا فلـــم يُفِدْنـــا اختبـــارٌ   وسَـــخِرْنَا ممَّـــا خَبَرْنَـــا طَويـــلاَ

يـــا رفيقـــي. إذا قَـــدَرْتَ فأوِّبْ   إن هـــذا الظـــلامَ يُضْنِـــي العُقُولاَ

* * *

أنا أخشـــى الضيـــاءَ أُبْصِر فيها   ذكريـــاتي تبدلـــتْ تبديـــلاَ

أنا أخْشـــى النَّهار يكشـــفُ عني   كلَّ وَهْـــمٍ أرُودُه تعليـــلا

أنـــا يا صاحـــبي أُشِـــيحُ بوجهي   أنـــا أرى عهْدنـــا تَـــرَدَّى قتيلا

أنا يَـــا صَاحِـــبي أُدافِـــع عَقْلِي   أنْ يَـــرُودَ الْيَقـــين جَهمـــاً ثَقيلاً

الظَّـــلامُ الظّـــلام أرْوَحُ للقلبِ   ولـــو كان لا يُريـــح العقـــولا!

* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) عام ١٩٤١

١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.

١- الهيُلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفيــقُ. الحَيَاةُ أَسْــمى وَأَغْلى أن تُقَضّــي كــذاك وهمــاً ضئيلاً

يــا رفيــقُ. الحياةُ أقصــرُ عهداً أن تُضحَّــى ســاعتها تخْييــلا

أُبْ مــن الظُّلمــةِ الحبيبة واهجُرْ كلَّ مــا كان في الحيــاةِ الأولى

وتطلّــعْ إلى جَمــالٍ جَديــدٍ أفلــم تَلْــقَ في الحيــاةِ جميــلاَ؟

عِــشْ بما قــد وُهِبْتَهُ مــن حياةٍ مُسْــتثارَ الإِحســاسِ نَهِماً عجُولا

* * *

آه يــا صاحــبي أتجهــلُ أنّــي أفقِــدُ الــدَّارَ إنْ فقــدتُ الطُّلولاَ

ذاك عهــدٌ أنفقتُ فيــه رَصيدِي كلّــهُ لم أُبْــقِ منــه قليــلاَ

أتُراني أُجــدِّدُ الذُّخَــر والعُمــرِ رمُــوَلٍ والجَهْــدُ أمســى هَزيلاَ؟

أنــا باقٍ هُنــا فإن شــئتَ دَعْني ورُدِ الْكــونَ حافــلاً مَأهُــولا

أنــا بــاقٍ هُنــا أرُودُ طُلُــولي لَم أعُدْ بَعــدُ أســتطيبُ القُفُولا!

* * *

أقدام في الرمال*

نحنُ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ؟ وخيـــالٌ سَـــارِبٌ إثْـــر خيـــالْ
في متاهـــاتِ وجـــودِ لـــزوالْ كبقايـــا الخطـــو في وجـــه الرِّمالْ

زُمَـــرٌ تَدْلـــفُ في إثْـــرِ زمَـــرْ وَيْحَ نفســـي ! إنه ركبُ البشـــر
مغمـــضُ العَيْنَيْن في كَـــفِّ القدَرْ كلَّمـــا أوْغَـــلَ في التِّيـــهِ انْدَثَـــرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيّانَ سَـــارَا؟ مـــا أرى في إثْـــرِه حتّـــى غُبَـــارَا
مـــا أرى قبراً ومـــا أُبْصِـــرُ دَارَا ضَلّـــةً لي! ذاكَ ظِـــلٌّ وتَـــوَارَى[1]

* * *

مِنْ ظَـــلامِ الغيبِ في التيـــهِ البعيدْ لظَـــلامِ الغيـــبِ في التيـــهِ المديدْ
وَمْضَـــةٌ كالـــبرِق تجتـــازُ الوجودْ ويُسَـــمِّيها بنُـــو الأرضِ الخُلُودْ!

* * *

خُدْعَـــةٌ رَاقـــتْ لأبنـــاءِ الفَنَـــاءْ حينمـــا أعْيا علـــى الأرضِ البَقَاءْ
المســـاكينُ هَبَـــاءٌ في فَضَـــاءْ رَحْمَـــةً للذرِّ في مَسْـــرَى الهواءْ!

* * *

* نشرت عام ١٩٤٦

١- الضَلّة: الحيرة

ما أرى الأرضَ تَحِــسُّ الوافدين أو أرى الأرضَ تَحــسُّ الرَّاحلينْ
كلُّ مَــا كَانَ وما ســوف يَكُونْ نَأمَةٌ تَهْجِسُ في جَوْفِ السُّــكُونْ

* * *

خَطَــواتٌ ذاهبــاتٌ في الرِّمَالْ وخيــالاتٌ تَــرَاءَتْ لخيــالْ
وشُــخَوصٌ تتــوارى كظــلالْ للزوالِ... كلُّ شــيءٍ للــزوالْ!

* * *

خدعة الخلود*

لا أنتِ سَـــالَمك الزمانُ ولا أنَا ... لا أنْـــت داعيةٌ ولا أنا مُسْـــتَجيبْ
هـــذي مَياســـمُه على قَسَـــمَاتنا ... قَـــرَّتْ أمانينا على الأُفـــقِ القَريبْ
ودَبيبُـــه ينســـابُ في خَطَرَاتنـــا ... ويَكْشِفُ الوهمَ المُغَلْغلَ في الغيوبْ
ويَدَاه تَنْسَـــلُّ من خيـــوطِ حَياتنا ... وبدوتِ عاريةً مـــن الألَقِ العجيبْ
ويَـــدُ البِلى تَطوِي الرغائبَ والمُنى ... وبدوتُ عَاديَّ المحاسِنِ والعُيوبْ!

* * *

ما الفجرُ؟ ما الأحلام؟ ما الشوقُ الدفينُ ... ألقـــاكَ كالذكرى تَمـــرُّ بخَاطرِ
مَا نَشْوةُ الذِّكرات؟ ما حَرْقُ الحنينِ؟ ... كالخَطْرَةِ الوَسْنَى بفكرةِ شَاعرِ(١)
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّـــحِ بالفتونِ؟ ... كالرســـمِ يَبْهتُ لا يَبِـــيْنُ لناظرِ
ما اللهفـــةُ الكبرى تُراودُ في جنونٍ؟ ... كبصيـــصِ نارٍ في الرمـــادِ الفَاترِ
مـــرَّتْ عليها كُلِّها كَفُّ الســـنينَ! ... وَيْحي وويحُكَ نحنُ ذِكْرى عَابرِ!

* * *

خَطَوتُك النَّشْوى التي كادتْ تَطيرُ ... وَيَحْي وويحُكَ ما الحياةُ وما الخُلُودْ؟
وتوَفُّـــزُ النَظَـــراتِ في ألَـــقٍ مُثيرٍ ... خُـــدَعٌ تُهَدْهِدُنا بهـــا الأُمُّ الولودْ
وتَوثُّـــبُ اللفتـــاتِ في لَهَفٍ حَرورٍ ... ويدُ البِلى تَطْوِي القديمَ على الجديدْ
وتُقَلُّـــبُ الرَّغَباتِ في قَلَـــقٍ غَريرٍ ... والدَّهرُ ماضٍ لا يكلُّ ولا يَحيدْ(٢)
وَيَحْيِ وويحُكِ قَـــدْ تَعَاروَها الفُتُورُ ... والنـــاسُ والأيـــامُ والدُّنيـــا عَبيدْ

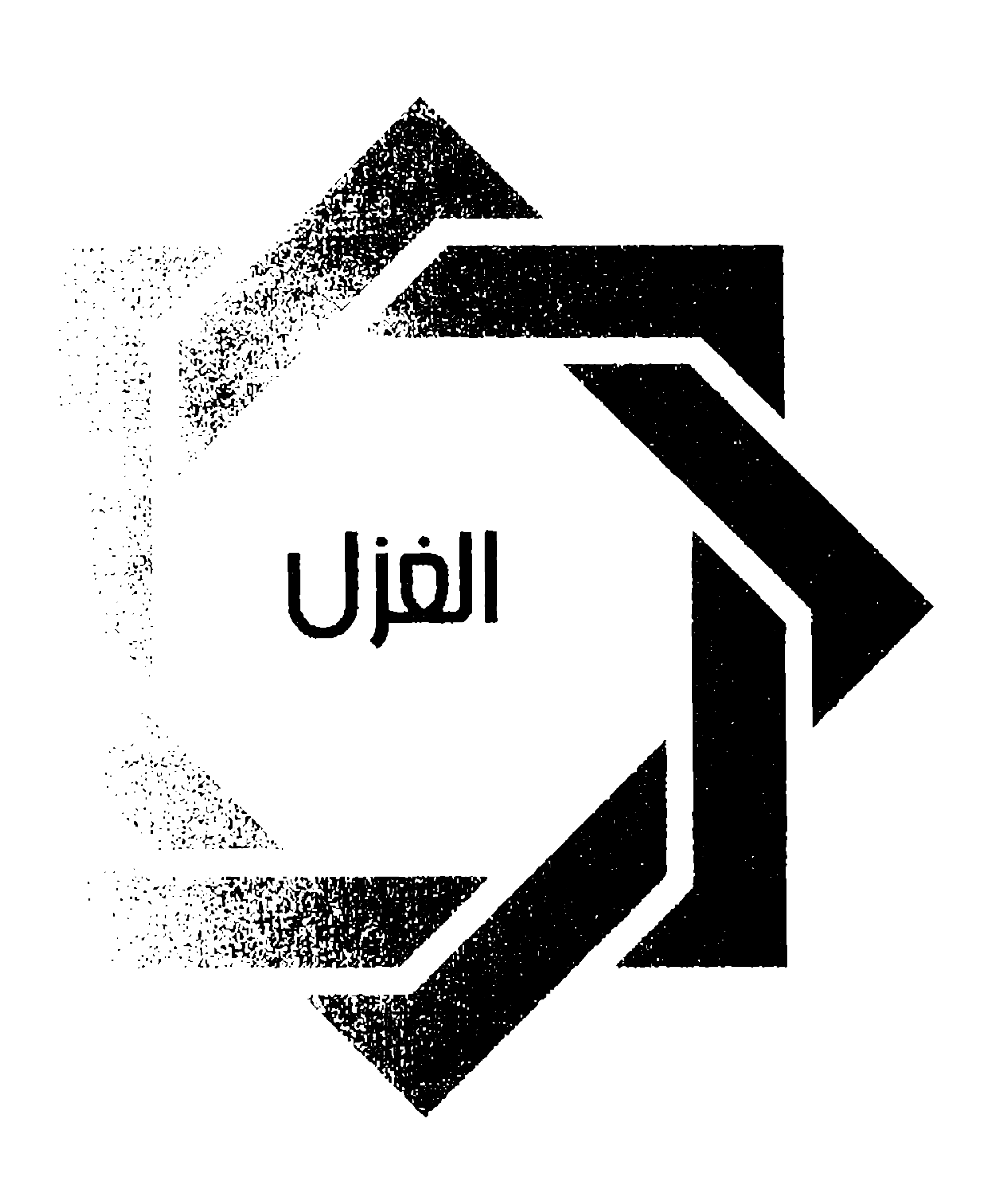
* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٨.

١- الوسنى: الناعسة.

٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.



هي أَنْتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيا

في ظلالٍ من الوفاءِ الرَّشيدِ

كحياةِ الأَرواحِ تُضْفِي حناناً

وهي تهفُو في ظِلِها المَمْدُودِ

ليلة؟! *

يا ليلةَ الأمسِ والليــلاتُ ذَاهبةٌ كغَمْضَة العــينِ في أضْغَاثِ أَحْلاَمِ

يَرْعَاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفةً تجيشُ بالحــّبِ عَن وَحْــيٍ وإلهامِ

يَرْعَاكِ مَنْ خَلَقَ الأرواحَ شَاعرةً دقيقــةَ الحــسّ في رِفْــقٍ وإحكامِ

لأنتِ أقصــرُ ليلاتِــي وأخْلَدُها وأنــتِ أَزْهَــرُ سَــاعَاتِيَ وأيامي

فيــكِ التقينا فــلا إثمٌ ولا حَرَجٌ في ظلِّ طيفٍ من الإخلاصِ بَسَّــامِ

ورُوحٌ من الحبِّ خَفّاقٌ يَحفُّ بنا حفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدَّوْحَة النَّامي

ويُنْشِــدُ الحــبُّ أنغامــاً يُلحّنُها لحنَ الطبيعة ذَاتِ المنطقِ السَّــامي

بالليــلِ يَتلُو على الأكــوانِ آيتَه ما أبدعَ الليــلَ في شَــدْوٍ وأنْغامِ

* * *

يــا ليلةَ الأمس هَــلا أنتِ عائدةٌ إلى الزمــانِ فَأنْسَــى كل آلاَمِــي

إنّــي لألْمَحُ طيفاً منْكِ يُؤْنسُــني في وَحْشَــتي بــينَ أيقــاظٍ ونُوَّامِ

ذكــراكِ باقيةٌ مهمــا يَطُلْ زَمني فأنــتِ زهــرةُ أيامــي وأعْوَامِي

فيــكِ أوّلُ آمَــالي وآخرهــا وأنــتِ مَنْبَــعُ إمــدَادي وإلهامي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

نظرة موحشة *

أهو حظي منك تلك النظرات كلما جادت بمرآك الصُّدَفُ؟

وخيالاتٌ تراءى في سُباتٍ مُذُ كيات ما بنفسي من شَغَفِ؟

أكذا تمضي بقيّاتُ الحياة ليتَ شعري وكذا يُقضي العُمُرْ؟

آهٍ . ما أشجى وما آلمٍ . آه إن يكن هذا فما أقسى القَدْر!

أين ساعاتٌ مضت قبل الفِراق ملؤها العطف وريّاها الوفاْء؟[1]

هكذا الدنيا اجتماع وافتراق وهي آهات وذكرى وشقاءْ!

شد ما ألقاه في هذا النّوى من عذاب ينكأُ القلب أليم[2]

شَدَّ ما تَستشعِرُ النفسُ الجوى فَتلظَّى في شُعورٍ كَالجحيمْ

ليتني أدْرِي – وإن لم يُشْفِني – كيفَ أُبْدِي مَا بِنَفْسِي مِنْ أَلَمْ!

ربَّ إحساسٍ أليمٍ شَفّني لم أصورْهُ بلفظٍ فاضطرم[3]

آلمَ الإحساسَ إحساسٌ دفينٌ وشعورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِرْ

لم يَجِدْ لفظاً فأدّاه الأنينُ ودموعٌ سَاكِباتٌ تَنْهَمِرْ

أتَرى آلمُ للقلبِ الكَليم مِنْ رَجاءٍ كان يَزْهُو فَخَبَا؟

وانطوى يَغْمرُه يأسٌ عَقيمٌ يتركُ القلبَ قِفَاراً مُجْدبا؟

أتُرى أوْحَشَ مِنْ ديرٍ كئيبٍ في فَلاةٍ لا يُدانيها البَشَرْ

---

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.

١- ريّاها الوفاء: ملؤها الوفاء.

٢- ينكأ: يفتح الجرح من جديد.

٣- شَفّني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيـحُ تَحميه الهبوبَ دَقَّ نَاقوسٌ بـه عندَ السَّحَرْ؟
ذَاك قَلْبي بعدَ فُقْدان الأملِ مُوحِشٌ يَطْرقُه صوتٌ سَحِيقْ
تبعثُ الذكرى صَدَاه إذْ تُطلُّ مُشْجياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ
ما الذي كانَ وماذَا سَيكُونْ؟ لستُ أدْرِي مَا جَوابي، لا جَوابْ!
لَيتني أدرِي خَبيئاتِ السنينْ إن فِراقاً أو يَكُن بعدُ اقترابْ
إيه يا ملءَ فُرادِي ومُنَاهْ إيه يا رمزَ الأمَاني والأملْ
يا نسيماً ضَمَّ أنْفَاسَ الحياةْ نَفْحَةٌ تُهْدِي إلى مَيْتٍ أجَلْ
أنا إذ ألْقَاكَ عَفْواً لا أُحِسُّ فيك جِسْماً كبقيات الجسُومْ
إنما ألقاكَ طَيفاً لا يُحَسُّ طائفاً يَهفُو كما يَهفُو النَّسيمْ
في خَيالي أنتَ أنْقَى وأرقُّ أنتَ رُوحٌ فيه أو طيفُ مَلَكْ
بجناحَيه تَراءى فخفقَ بسناءٍ هادئٍ يُغْرِي الحَلَكْ
أفَلا لُقْيا بثغرٍ بَاسمٍ؟ أفلا قلبٌ أُناجيه سَميعْ؟
أفلا شَكْوى فؤادٍ هائمٍ؟ أفلا نَجْوى بِصَمَتٍ وخُشُوعْ؟
«بِحَياتي أفْتَدي هذا اللقاءَ» وأمانِيَّ وما ضَمَّتْ يَدَاي
وبِنَفْسِي لو دَنا عهدُ الرِّضَاءِ فَمَحا بُؤْسِي وأوْدَى بِجَواي
وأوَى قلبين في بُرْدِ الوَفاءِ مثل ما كانَا شَقيقَيْ مَوْلِدِ
ليتَ. لكن «ليتَ» لا تُدني رَجاءَ فَلأمُتْ أو أبقَ حِلْفَ الكَمَدِ

* * *

طيفاً!*

هو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فَأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاً

* * *

هَــوَّمَ النَّــومُ وأرْخَــى رِيشَــه واحتــواني بِجَنــاحٍ قَــد تَدلَّــى
وانــزوى العَــالمُ عنّــي وخَبَتْ ضَجَّــةُ الكــونِ وما فيــه وَوَلّى
ها هُنــا في النــومِ ألْقَــي عَالَماً هَادِئــاً رَحْبــاً وبَسّــاماً مُظِــلاّ
وتَراءى الطيفُ سَــمْحاً رَاضياً بَاسِمــاً كالأمــلِ الحُلــو وأحْلَــى
هُو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاً

* * *

أدْنُ مِنّي فاســتمعْ لَحْنَ فُؤادِي إنَّــه لَحْــنٌ يُغَنّيــه بَدِيــعْ

* * *

إنَّــه عنــوانُ حُــبٍّ وَودَادٍ وهَيــامٍ بين أحْنــاء الضُّلُــوعْ[1]
إنَّــه أُنْشُــودَتِي أخْلُــو إليهــا بــيَنَ صَمْــتٍ وهيــامٍ وخُشُــوعْ
إنــه لَحْــنٌ أُغَنّيــهِ وَقلْبِــي خَافقٌ والعــينُ تَهْمِــي بالدّمُوعْ[2]
أدْنُ مِني فاســتمع لَحْــنَ فُؤادي إنّــه لَحــنٌ يُغَنّيــه بَديــعْ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩.

١- أحناء: الأضلاع

هــاك قَلْبِــي فتســمَّعْ خَفَقاتِــه   فهــو قَلْــبٌ مُسْــتثارُ الخَفَقــاتِ

* * *

بَلِّــلِ الْوَجْــدَ وهَــدِّىء زَفَرَاتِه   فهــو قَلْــبٌ ضَيــقٌ بالزَّفَــراتِ

أنتَ يا طيفُ الذي يرجُو فُؤادي   بعد ما قَــدْ ضَاقَ ذَرْعاً بالشــكاةِ

هــاكَ قَلْبِــي فتســمَّعْ خَفَقَاتِه   فهــو قَلْــبٌ مُسْــتَثارُ الخَفَقَــاتِ

* * *

أنْــتَ يا طيــفُ ويا رَيَّــا حبيبي   أنــتَ رُوحُ أو رَمْــزُ السَّــلامِ

* * *

لــك مِنِّــي كُلُّ مَعْــنى قُدْسِــيٍّ   يَهْمِــسُ الحــبُّ بِــه بــينَ الأنامِ

أنــتَ يا طيــفُ ويا رَيَّــا حبيبي   أنــتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّــلامِ

* * *

صوت؟! *

تُذَكِّــرُني الماضِي فآســى لِذْكْرِه   وتُوقظُ أشْــجَاني وقد كنتُ نَاسيَا
وتُلْهِبُ إحسَاسِــي بأنغامكَ التي   تحــدِّثُ عــن قلــبي إِذَا أنَّ باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه الأسى   فخلَّفَــه نِضْــواً من الهــمِّ واهيَا[1]
تُهيــجُ بِــه الأنغــامُ آلامَه التي   تحمّلَهــا بالرغــم أسْــوانَ رَاضِيًا!
تحمَّلها لم يَشْــكُ للنــاسِ ثِقْلَها   وقد كان معذوراً لو آلتاعَ شــاكِيَا

* * *

تُذَكِّــرُني حُبَّــا قديمــاً دفنتُــه   ونفضتُ كَفِّي يائســاً منه آســيَا
ورحــتُ أواري كلَّ آثــارِه التي   تَراءى فَتُذْكِي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابيَا
بعثــتُ به حيّــاً يُطِــلُّ وينْزَوي   ويفتــحُ أجْفَانــاً مِراضاً سَــواهِيَا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها   تُمَــزِّقُ أشــتاتاً وتبــدُو بَواليَــا
هو اليَــومَ ذِكْرى لا تُرْجَى حياتُه   فلا هــو مَعْدومــاً ولا هُــو باقيَا
هو اليــومَ آلامٌ وقــد كان مُتْعةً   ورُوحــاً ورَيْحاناً وطَيْفــاً مُناغيَا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما   بعثتُ بــه صوتاً من الثغرِ شَــاجيَا
وجَاشَ به صدرُ الحيــاةِ فرجَّعَتْ   أغاريدَه كالنُّــوحِ أسْــوَانَ دَاويَا
وحدَّثْتَنَــا عَما أكَنَّتْ نُفُوسُــنا   فأيقظت فيها كلَّ ما كانَ سَــاهيَا[2]
تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونَا   ونُمْســكُ أكبــاداً تَنَــزَّى دَوامِيَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت : محمد بخيت.
١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.
٢-أكنَّت: أخفت.

هي أنت *

هــي أنتِ الــتي خُلِقَــتْ لنحيَا في ظــلالٍ مِــنَ الوفاءِ الرشــيدِ؟
كحيــاةِ الأرواحِ تُضْفِــي حناناً وهــي تهفُــو في ظلِّها الممــدودِ؟
حيثُمــا الحــبُّ طائــفٌ يَتَراءى كالمــلاكِ المهــوِّمِ المَكْــدُودِ
حَانِــي العِطْفِ إذ يَضــمُّ علينا ضمــةَ الأمِّ رَحْمَــةً بالوليــدِ
فــإذا الكــونُ والحيــاةُ جمــالٌ وإذَا العيــشُ فُسْــحَةٌ في الخُلُودِ؟

* * *

هي أنْــتِ التي أطافتْ بنفســي وتــراءتْ في خَاطِري مــن بعيدِ؟
حينمــا كنــتُ هائمــاً أتلقــى أغنيــاتِ الآمالِ شَــتَّى النشــيدِ؟
في ظِــلالٍ مــن الأمانِــي تَتْرى بــين وادي التعلَّــةِ المعهــودِ![1]
إذْ تَراءَيْــتِ هَالَــةً مِــنْ رجاءٍ هَــادئ لَيِّــنٍ رفيــقٍ وَئيــدِ[2]
ثم دَانَيْــتِ في دَلالٍ وديــعٍ ثم باعــدتِ في دلالٍ شَــرودٍ؟

* * *

هي أنــتِ التي تلاقيــتِ رُوحاً مع روحِــي فهَامتَــا في الوجودِ؟
هــي أنتِ الــتي تُحَــدِّثُ عنها خَطَــراتي، في يقظَــتي وهَجُودِي؟

---

* نشرت عام ١٩٣٠
١- التعلة: ما يُتعلل به.
٢- وئيد: متمهل.

إن تَكُـوني! إذْنْ فهـاك فؤادي كلّـه خالصـاً نقـيَّ العهـودِ

وتعالَـىْ نَبْـغِ الحيـاةَ جِهـاداً عبقـريَّ التصويـبِ والتَّصعْيـدِ!

شَـجّعيني علـى الجهـادِ طويلاً فجهـادُ الحيـاةِ جِـدٌّ شَـديدِ

أشْـعريني بـأن قلبـاً نقيَّـا يَرتَجي سَـاعِدي ويهوى وُجُودي

ثم سِـيري معـي نَخُـطُّ طريقاً كمهـادٍ في الصَّخـرةِ الجُلْمُـودِ

نظـرةٌ منـكِ وابتسـامةُ حُبٍّ تتـركُ الصّعْـبَ لَيّنـاً كالمُهـودِ

لك منِـي عَواطِفـي وعُهودِي لـك مـني رعايـتي وجُهـودِي

* * *

أحبك *

أُحبــكِ كالآمالِ إذْ أنــتِ مثْلُها تُذَكِّين في نفســي أعــزَّ مَواهِبي [1]
ومــا هِــي إلا نظــرةٌ شــاعريَّةٌ تعبِّــرُ عمــا شــئتُه مِــنْ رَغَائبِ
فَتَسْرِي إلى نَفْسِــي مَضَاءً وجَرْأَةً ووثبةَ حسّــاسٍ. وَعزْمَــةَ راغب
ورُوحاً ذَكِيَّ النفحِ يَسْــرِي كأنَّه نشــيدُ مَــلاكٍ هَائــمٍ مُتَقَــارِبِ
يعيــدُ إلى المكدودِ راحة نفســه ويبعثُــه خَلْقــاً جديــدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبي الــذي أنْتِ مِلْؤُه ومِنْ كلِّ إحســاسٍ بِنَفْســي ذَائبِ
فُؤادي الذي فتَّحْتِ فيه مشــاعراً من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ
سموتُ به حــتى تكشّــف دونَهُ عــوالمُ أقــرى تائهــاتِ الجوانبِ
عــوالمُ لاتعــد ولقلــبٍ منَصَّبٍ بلا ذلك القلــب الرفيق المصاحب
بهــا كلُّ لــذاتِ الحيــاةِ ودونَها لِذائــذُ أُخْرى كاذبــاتِ العَواقبِ

* * *

أُحبُّــك إذ تَرجِــين مــنِّ رعايةً وتَهْوينَ ســاعاتِ الحيــاةِ بِجَانبي
هنالك نَسْــمُو بالحيــاةِ فَنَرْتقِي إلى كَنَــفٍ بينَ الســمواتِ ضَارِبِ
هنالــك نَحيــا والأمــانيُّ حَوْلَنا تُغَــرِّدُ ألحــانَ المُــنى والرغَائــبِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠.
١- تّذكين: من ذكت النار: اشتدد لهيبها

توارد خواطر!*

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحِبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحيِيه...!

أفأنتِ ذِي ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ؟ إني أراكِ كطائـــفِ الأحـــلامِ !

لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطرِي ألفيتُ شَـــخْصَك كالمـــلاكِ أمَامِي

فَدُهِشْتُ أو فارتعْتُ أو فَتضَرَّمَتْ خَفقَـــاتُ قلبِي المُنتَشِـــي البَسَّـــامِ

عجباً! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خاطري بك؟ أم سريت على جناحِ غرامي

إنَـــي لأ ومِـــنُ بالغـــرام وإنّـــه يَقْـــوي علـــى مُتَعَـــذّر الأوهام!

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِـــي وخَواطِري لَمَّـــا لَقِيتُك كالخيالِ السَّـــامِي ؟

أفَأنْتِ سَـــاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى نوراً، وتبعـــُث في الحياةِ حُطامِي ؟

وتُحيلُ صُـــمَّ القافـــراتِ نَوابضاً بالزهـــرِ ، والآمـــالِ والإلهَام ؟![1]

وتُجَمِّـــلُ الدُّنيـــا وتَخْلُـــقُ عَالَماً للخُلْـــدِ فيه مَـــدارِجٌ ومَسَـــامِ ؟

الله ! . أو فالحـــُّب . فهـــو ظِلالهُ في عـــالِم الأوهـــامِ و الأفْهـــامِ !

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- صم القافرات: الأرض الصّماء المجدبة.

ياللقـــاءِ ! فكيــفَ قــد حَجَّبتِــه   عن نفسِ منهــومِ العواطفِ ظَام؟

هو هــذه الدُّنيا وعَالَمُ سِــحرِها ؟   هو ذلك النبعُ الجميلُ الطَّامي؟[1]

حَجَّبتِــه عنّــي، فأســفَر بغتــةً   بيــدٍ تجــيء بِمُعْجِــزِ الأيــامِ !

الحـــُّب ؛ ياللحـــِّب ! يَرْتَجِلُ المُنى   مــن غــيرِ تدبــيرٍ وغــيرِ نِظَام!

إني وَثِقْــتُ بــه ومــا هُــو باخلٌ   بــكِ يا ســعادُ بيقظــتي وَمَنامي

* * *

١- الطامي: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل:

إلى أيِّ سِــرٍّ بَــلْ إلى أيِّ طَلْسَــمِ   تَوَجَّه مِنْ عينك شُــعَاعُ مُلْهِم ؟

إلى مَخْبأ الأسْــرارِ في نفــس كَاهِنٍ   تُحجِّبُها أســتارُ دُجْوان مُظْلِم[١]

إلى الغابرِ الماضِي الذي ضَاعَ رَسْــمُه   وغيَّبَه النِّســيانُ في تِيه عَيْلَم[٢]

إلى القابــلِ الآتِي الــذي نَــدَّ طيفهُ   عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّم

إلى حَيثُمــا الأقدارُ تُمضــي أمورَها   على خِفْيــةٍ من وهمِــه المُتَوهِّم

إلى مــاوراءَ الكــونِ والعــالمِ الذي   تُحيــطُ به رُؤيا السَّــحَيْرِ المُنوِّمِ

* * *

لأَحْسَسْــتُ فيها رِعدةً[٣] إذْ تَوجَّهَتْ   وَدَبَّ لهــا قلْــبي وأَنكَرَها دَمِي

وأَحْسَــبُها قد جــاوزتْ في عُبورِها   عَوالِــمَ لم تُخْلَــقْ ولم تُتَوهَّــم

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٣٤.

١- دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو: تمّ وكمُل.

٢- عيلم: بحر.

حدثيني*

رأى الشاعر سحابة من الأسى على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثيـــني بِمســـتَشار شُـــجُونكْ واكْشِفي لي عما اخْتَفَى مِنْ شُؤونِكْ

حَدِّثيـــني بمـــا تُكِنِّـــينَ إني أنـــا أولى بعبئِـــه مـــنْ دُونِـــكْ

أنـــا أقْوى على الحياة إذا عشْـــتُ حَياتـــي مُـــزَوَّداً مِـــنْ يقينِـــكْ

ولقـــد عِشْـــتُ للمآسي إلى أنْ قَدْ عَرَفْتُ السُّـــرورَ مِـــنْ تَلْقينِكْ

ولقـــد عِشْـــتُ للبـــكاءِ إلى أنْ قد سَـــمِعْتُ الغِنَـــاء في تَلْحينِكْ

ولَقَـــدْ عِشْـــتُ للظـــلامِ إلى أنْ قَدْ لَمَحْـــتُ الضِّياءَ بـــينَ عُيونِكْ

* * *

حَدِّثيـــني عَـــنْ سِـــرِّهَا نَظَرَاتٌ أو دُمـــوعٌ تَجُـــولُ بـــينَ جُفُونِكْ

حَدِّثيـــني عـــن الأســـى يَتَرَاءى كأســـيفِ الرَّجَاءِ فـــوقَ جَبينِكْ(١)

أو تَعالَـــيْ لذلـــك الكَنَـــفِ الحا نـــي عليـــك وارْكَني لِســـكُونِكْ

هُو أَحْنَى عليكِ مِـــنْ قَلْبِها الأمِّ وَأَدْرَى مـــن قَلْبِهـــا بِحَنينِـــكْ

فَاغْمُـــري في عُبَابِـــه المُترامـــي مَا مَضَى عَنْكِ أو أَتَى مِنْ شُجُونِكْ

وَابْعثيهـــا ابتســـامةً وحيـــاةً مِلْؤُها السِّـــحْرُ والهوى مِنْ فُتُونِكْ

* * *

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.

١- كأسيف: رقيق القلب.

خصام*

تَخاصَمْنــا. تخاصمْنــا ! كذلــك يعبــثُ الحــبُّ !

أليــسَ الطِّفــلُ إِذْ تَنْــزُو قُــواه يَهُــمُّ أو يَكْبُــر؟[1]

أَلَيْــسَ يُحطِّــمُ اللُّعَــبَ الــــــتي كانَ لهَــا يَصْبُــو؟

أليــسَ يَهــزُّه الصَّخَــبُ ويَحْلُــو عِنْــدَه الوثْــبُ؟

كذلــك حُبُّنَــا يَحيَــا وَليــداً جَــدُّه لعِــبُ!

* * *

تَخاصمَنْــا. تخاصمْنــا وإنْ لَــم يَسْــمَعْ القلــبُ!

أليســتْ لا تُحَيِّينــي ولا يســلينيَ القُــرْبُ؟

ألسـنَا إن تَلاقَيْنَــا نَغُــضُّ وتُسْــدَلُ الحُجْــبُ؟

وَمــا قُبلاتُنــا تَتْــرى ولا الرُّسُــلُ ولا الكُتُــبُ

كــذاكَ نَعيــشُ في صَمْــتٍ فــلا غَــزَلٌ و لا عَتْــبُ

* * *

تخاصمْنــا. خُصُومَتُنــا ســلامٌ ثَوبُــه حَــرْبُ!

ســلامٌ بــينَ قَلْبيْنــا فــكلٌ هَائِــمٌ صَــبُّ

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.

١- تنزو: يثب بنشاط.

وَنَخْسِرُ في مَظاهِرِنا ومِلْءُ وِطَابِنا كَسْبُ !
ونَظْمَأُ إِن تَنَاءَيْنَا فَيحلُو الْوِرْدُ والشُّرْبُ
وتَذْكُو للهَوى شُعَلٌ فلا تخنو ولا تخبو
كذلك حُبُّنَا يَحيَا كذلك يَعْبَثُ الحُبُّ

* * *

بيانو وقلب *

هُـو قلـبٌ لَمَسْـتِه، أَمْ(بِيانُه)؟ فَتَنَـادتْ مِـنْ جَوْفِـه ألحَانُـهُ

هو قلـبي أجَـلْ فَهـذِي الأغاني هُـو يَشْـدُو بِهـا، وذا تَحْنَانه

أم تُـراه – كمـا أرْجـو– فؤادٌ بَـينَ جنبيـكِ مُلْهَـمٌ خَفَقَانُـه

فتلاقـى القلبانِ في ذلـك اللحن وحَاكَـتْ خفقاتهمـا أوزانُـه

وتَـراءى في اللحن طيـفُ الأمَاني مُطْبَقَـاتٌ على الـرؤى أَجْفَانُه

* * *

لَحْـني أنتِ خَفَـقَ قَلْبي نشـيداً أنْتِ أدْرَى بِما حَـوى وِجْدَانُه

والْمَسِـي بالحنـانِ قَلْبي فَيشـدُو مِثْلَمَـا تَلْمَـسُ البنـانُ البَيَانُـه

بَـلْ فَـؤادِي مُلَحِّـنٌ عَبْقَـرِيٌّ ! لَحْنُـهُ مِنْـه قِطْعَـةُ وَبَنَانُـه

أَلْهِمِيـه النشـيدَ وهـو يُغَنِّـي لـكِ وادِي الخلودِ سَـامٍ حَنَانُهُ

أَلْهميـه النشـيدَ وهـو يُجَلِّـي لـك وادي الخلودِ زُهْـرٌ جنَانُهُ

أطلقِيـه مِـن القيـودِ بِلَحْـنٍ قَدْ تَسَـامى على القيـودِ افْتِنَانُهُ

ودِّعِيـه يَطِـرْ دونَ جَنَـاحٍ غـيرَ حـبٍّ يَزِيـدُه طَيَرَانُـه

* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(اكتوبر) ١٩٣٤

١– البنانُ: أطراف الأصابع.

الظامئة *

بِعَيْنَيْكِ أُبْصِرُ رُوحَ الظِّماءِ وبالنفسِ أَلْمَحُ طَيْفَ القَلَقِ
ففي الخَطَرَات، وفي اللّفَتَات وفي النَظَرَات، وبينَ الحَدَق
يُطلُّ التلهفُ في وَثْبَةٍ وتَعْصفُ ريحُ اللّظَى المُحْترِق
لأيٍّ من الأمرِ هذا التَطلُّع هذا التوثُّبِ، هذا الحَرَق
شُوَاظٌ من الشَّوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ؟ من الحبِّ محمرةٌ كالشَّفقِ؟

* * *

أُحسُّ بأنّكِ مَلْهُوفَةٌ لأن تَنْهلي كلَّ مَعْنَى الغَرَام
وأن تَنْهبي النورَ من فجرِه وأن تَسْلُبي زَفَرَاتِ الظَّلام!
وأن تَقْطفي كلَّ زَهرِ الحياةِ من الشَّجْوِ والوَجْدِ أو الابتسام
تَفَتَّحَ فيكِ شُعورُ الحياة فَشَقَّكِ منهَا الهوى والأُوَام[1]

* * *

إليَّ إليّ؛ ولا تَجْفَلي فإني ظمئتُ لما تَظْمَئينْ
و أحسبُني كنتُ أهْفُو إليك كما كنتِ لي في المُنى ترقُبينْ
وشَطَّتْ بنا بدواتُ اللِّقاءِ وضَلَّتْ بنَا خُطَواتُ السّنينْ
إلى أَنْ لقيتُكِ فَتانةً فحرّكْتِ مني اشتياقي الدَّفينْ
تَعالَيْ نروّ ظِمَاءَ السنينِ تعالَي نَعِشْ للمُنى والفتُونْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك!؟*

أُحِبُّـك حُبَّ الهوى والجُنونِ أحبُّك حبَّ الرَّشَادِ الرَّزِينْ
أحبك بالقلبِ في وَقْدَةٍ أحبكِ بالعقلِ جَمّ السُّكُونْ
وتَبدينَ في قلبِي المستطارِ كما تُسْفرينَ بفكري الرَّصِينْ[1]
ففيك تَلاقَى الهوَى والهُدى وشَابَه فيك الرشادُ الجنونْ
فأما ازْدَهانِي بِحبِي الفتون رَكَنْتُ بِه للحِجَا واليقينْ

* * *

لماذا أحبكِ؟ هل تَفكرينَ؟ وما السرُّ في الأمرِ؟ هل تَعلمينْ؟
أَلِلحُسْنِ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَانَ فَما هِجْنَ بِي وَمْضَةً مِن حنينْ
أللعطفِ؟ إِنِي القَويُّ العطوفُ فما أرْتَجِي رحمةَ العاطفينْ
أللنظرات ولِلّفتاتِ وللسِّحرِ في مُهْجَتي تَسْكُبِينْ
وشتى الخلالِ وشتى السِّماتِ؟ لقد طالَما اجتمعتْ للمئينْ[2]
إِذَنْ فلأيِّ المزايا يكونُ هَواي وحُبِّي؟ هَلْ تُدْرِكِينْ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢- للمئين: للمئات.

ألا فاعلمـــي الآنَ عِلْـــمَ اليقـــين سأكْشـــفُ عن سِـــرِّ حُبِّي الدَّفِينْ

لقد لَـــجَّ بي قبل هذا، الســـكونِ وقد آدني الصمتُ، صمتُ الحَزِينْ[1]

وقد عِشْـــتُ للجدِّ، جِدِّ الرصينِ أهُـــمُّ وأكبُـــو بعِـــبءِ السِّـــنين

إلى أَنْ لَقِيتُـــكِ خَفَّاقَـــةً تَوَقَّـــدَ فيـــك الهَـــوى والفُتُـــونْ

فأنـــتِ هُنـــا جمـــرةٌ كاللَّظَـــى وأنـــتِ هُنـــا شُـــعْلَةٌ تُومِضِـــينْ

فأكمَـــلَ هـــذا المـــراحُ الطروبُ هـــدوءَ الحزيـــنِ وجـــدَّ الرّصينْ

وأعجبـــني حُسْـــنُ هـــذا الكمالِ وإني عليـــه الحفيـــظُ الأمـــينْ

* * *

هـــذا أُحِبُّـــكِ: هـــل تَفْكِريـــنَ؟ وهذا هو الســـرُّ. هـــل تَعْلَمِينْ؟

* * *

١- آدني: أجهدني

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقْيَا شُعورٌ جَديدٌ؟ وفي كلِّ قُرْبٍ ظَمَاءٌ يَزيدْ؟
وفي كلِّ يومٍ أرى عَالَماً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ؟
وألقاكِ والكونُ قفرٌ جديبٌ فتنبضُ فيه المُنى والوُرُودْ
ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياةِ وتَشْدُو هَواتفُها بالنَّشيدْ
كَأنَّ الحياةَ وآمالَها إذَا مَالقيتُكِ خَلْقٌ جديدْ
هو الحبُّ لا القَدَرُ المستطيلُ يُقَسِّمُ في الكون شَتى الجُدودْ[1]
فيمنعُ فالكونُ شاكٍ شَقِيٌّ ويمنحُ فالكونُ راضٍ سَعيدْ !
ويَنْبِضُ فالكونُ في نَشْوةٍ ويَجْمُدُ فالكونُ جاثٍ بَليدْ

* * *

لَقيتكِ خَفَّاقَةً كالرجاءِ فذكَّرْتِني أنني بَعْدُ حَيْ
وجَاشَ بنفسي شعورُ الحياةِ وفتّحتُ في رَجْفَةٍ مُقْلَتَيْ
أُقَلِّبُ عيني بهذا الوجودِ وترتادُ رُوحي منه الخَفِيْ
فيا للجمالِ، و يا للغَناءِ ويا للخواطرِ تَهْفُو إليّ!
ويالي مِنْ ظَامِىءٍ لاهفٍ! ويالي مِنْ عَاشقٍ عَبْقَرِيْ!
يحيلُ الحياةَ إلى فتنةٍ وأصداءَها لنشيدٍ شَجي
ويُطْربُ بالشعرِ قَلْبَ الحياةِ وَيَنْفَحُها بالرِّضا القُدْسِيْ
وما أنتِ إلا رسولُ الحياةِ وحبُّكِ مُعْجِزةٌ مِنْ نَبِيْ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الجدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطِلِّـــي بِطَلْعَتــكِ السَّــاحرهْ وحَيِّـــي بنظرتِــكِ الشَّــاعرهْ
أَفيضِي على الكَــونِ فيضَ المِراحِ وغَذِّيــه بالقــوةِ الطَّافــرةِ(١)
ومالــك أنــتِ؛ وما للسُّــكُون؟ ومــا أنــتِ إلا القُــوى الثائرهْ
قُــوى الحبِّ تَنْبِــضُ بــينَ القِفَارِ فتغــدُو القِفَــارُ بها ناضــرهْ
وتنفــخُ في ســاكناتِ القُلــوب فتغــدُو سَــواكنُها نَافِــرهْ
وتهتــفُ للصُّــمِّ بالأغنيــاتِ فَيَصْغُــون للنَغْمَــةِ السَّــاحِرهْ

* * *

ألســتِ التي نَبَضَــتْ (بالوجودِ) فشــقَّ قُوى العَــدَمِ السَّــاخرهْ
بلــى ! أنتِ ســرُّ انتصــارِ الحياةِ على المــوتِ في الوقعــةِ الظافرهْ
هُنالــك مــن قبــلِ ميلادِهــا وكانــتْ مغيبــةً حائــرهْ
وكنــتِ نــواةً بها ضَامــرةً فعــدتِ حيــاةً بِهــا سَــافرهْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الطافرة: الواثبة.

المعجزة
أو
السهم الأخير *

مَنَحتِني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ   عـن منحِه، وَتَنَاهـي دونَه أملِي

منحتِني الحـبَّ للدُّنيا التي جَهِدَتْ   في أن تُميـلَ لها قلبي فلـمْ يَمِلِ

وكلمـا قرَّبْتِني، قلـتُ: خادعةٌ!   وكلّما طمأنْتِني؛ قلت واوَجَلي[١]

ويغمرُ الشّكُّ نَفْسِي كلما كشَفَتْ   عن فاتِنٍ من حُلاهَـا غيرِ مبتذَلِ

حتى خَسِـرْتُ من الأيَّامِ ما غبَرتْ   به السُّـنون، وحتَّى عقَّنِي أجَلِي

* * *

واسـتَلْهَمَتْ هذه الدنيـا طبيعَتها   في مُعْجِـزٍ مِنْ قُواهـا قاهرٍ حانِ

فأبدعتْـكِ جَمـالاً كلُّـه ثقـةٌ   يؤلِّـفُ الحبَّ من وَحـيٍ وإيمانِ

وأودعتْـكِ رَحيقاً مـن خُلاصتِها   ومنبعُ السِّـحرِ فيها جَـدّ فتَّانِ

وأرسـلتْكِ يقينـاً في طَلائعِهـا   منيرةً في دُجى عَقْلِـي ووجْدَاني

فكنـتِ آخـرَ سـهمٍ في كِنَانتِهَا   وكنتِ معجزةً مـن خَلْقِ فنانِ[٢]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- واوجلي: وأخوفي أو افزعي.

٢- الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السّهام.

والآن أُخْلِـصُ للدنيـا وأمنَحُهـا حبّي، وأُدْرِكُ ما فيهـا من الفِتَنِ

والآن أنظـر للدُّنيـا وأنـتِ بهـا كعاشـقٍ بهواهـا جِـدّ مُفْتَتَـنِ

والآنَ أعْمَـلُ للدُّنيـا علـى ثقةٍ بأنـني قَلْبُها الخفَّـاق في الزمنِ!

والآن أنصـتْ للدُّنيـا فَيُطْرِبُـني من صوتِها العذب لَحْنٌ ساحِرُ اللَّحَنِ

لـك الحيـاةَ إذنْ ما دمـتِ مانحةً لِـيَ الحياةَ بـلا أجـرٍ ولا ثمنِ!

* * *

اللحن الحزين*

أســى الألحــانِ أمْ هــذا؟ أســاكَ يســيلُ في اللَّحْــنِ؟
وإلا هــذه نَفْســي تهيــمُ بِعَالَــمِ الحُــزنِ
فَتُوحي النفسُ للأذنِ؟

وأيــن نشــيدُك الراضــي؟ وأيــنَ نشــيدُك العَــذْبُ؟
وأيــن الفَرْحَــةُ النَّشْــوى؟ وأيــن القفــزُ والوثْــبُ
فيُذْكي وَقْدَةَ الحبِّ؟

سَــمِعْتُك أمــسِ لم أسْــمَعْ سِــوى نــبراتِ أسْــفَانِ
وغنــوةِ عاشــقٍ يَئِســتْ مُنَــاه مــن الهــوى الفَانــي
فَأَنَّ فؤادُه الحاني

هــي الأوتــارُ عَالِمــةٌ بمــا في قلبــك المُفْعَــمِ؟
وإلاَّ أنــت مُوحيــة لهــا تَرنيمــةَ المــؤلمِ
تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَم

بربــكِ عَلِّمــي اللحْنَــا يُرجِّــعُ غِنْــوةَ الأمــلِ
ويُبْهِــجُ هــذه الدُّنيــا ويبعــثُ نشــوةَ الجَــذِلِ
فَيَدْعُو الكونَ للعمل

أجــلْ يــا خطــرةَ الفَــنِّ بــرأسٍ مُفَكِّــرٍ سَــامِ
وغايــةَ كلِّ فَنَّــانٍ يُنَاجــي حُسْــنَ أوهــامِ
أجَلْ ياسرَّ إلْهامِي

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

الغيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقا في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد. ولكن الفرق بين روحيهما بعيد!

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو(الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهمتْ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملةَ. فآلمها ذلك ، ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم؛ لِدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفةَ البال واجمةً، يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تهَرب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلـــولا اعتــزازُكِ بالحـــبِّ لم تَثُــرْ في فــؤادِكِ تلـــكَ الرِّيـــبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١

غَضِبْتِ فيالَكِ مِن غَاضِبَةِ! وأرْسَلتِها نَظْرةً عاتِبَهْ
يُتَمْتِمُ فيها الرجاءُ الأسيفُ وتجأرُ فيها المُنى الوَاثِبَهْ![1]
وفيها هُدوءُ الرِّضا المُطْمَئنّ تُمازِجُهُ الغَيْرةُ الصَّاخِبَهْ!
تُطِلُّ بِها الذكرياتُ العِذابُ وتَرْجِعُ مُجْهَدةً لاَغِبَهْ
وفيها فُتُورٌ ولكنَّه فُتورٌ به قوةٌ غَالِبَهْ

* * *

ولكن بِها بعدَ هذا وذاكَ فنونُ الهوى والجمالِ العفيفْ
وفيها من السِّحْرِ أطيافُه بعينيك ألْمَحُها إذا تطيفْ
لألهمتني السرَّ لما نظرْتِ إليَّ بهذا الفُتورِ الشُّفُوفْ[2]
وحدثْتني في خُفوتٍ عجيبٍ بما أضمرتْه لُغاتُ الطيوفْ
ولولا شعوري بحبّي العطوف لأحببتُ فيكِ الشعورَ الأسيفْ!

* * *

قد انتصرَ الحبُّ. يا للانتصار بهذا العتابِ وهذا الغضبْ
وَثِقْتُ من اليومِ في حُبِّنا وأنك تَرْعِينَهُ في حَدَبْ
فلولا اعتزازُك بالحبِّ لم تَثُرْ في فؤادك تلك الرِّيَبْ
إذَنْ فاطمئنِّي فهذا الفؤادُ يحبُّك في وَقْدةٍ كاللهبْ
يحبُّكِ إي وجمالِ الغضبِ يحبُّك إي والهوى المُلْتَهِبْ

١- تجأر: تتضرّع
٢- الشفوف: من شَفَّ يَشِفُّ شُفوفاً: رقَّ حتى يُرى ما خلفه.

٢

حَدِّثيـــني أمــا تَزالـــين غَضْبـــي؟ أوَ مَــا زَالَ مِــلءُ نَفْسِـــكِ رَيْبَا

ولمـــاذ الوقـــارُ والصمـــتُ يُضْفِي بعدمَا كنـــتِ لِي مَراحـــاً وَوَثْبَا

كانَ بالأمـــسِ كالعِتَـــابِ جميـــلاً ما له اليـــومَ لَمْ يَعُدْ مِنْـــكِ عتْبَا

صَمَتَ الكونُ مُـــذْ صَمَتِّ ونَامَتْ صادِحاتٌ تُـــرَدِّد اللحـــنَ عَذْبا

أنـــا أخْشَـــى ولا أُصـــرِّحُ مَـــاذا أنـــا أخْشَـــى؛ فمـــا أزال مُحبّا

اِبْسُـــمِي تَبْسُـــمُ الحيـــاةُ وتَرْضَى وامْنَحيـــني اليقـــينَ. أمْنَحْكِ حُبّا

* * *

مصرع حب!*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال:(ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنا أشْرِى اليقينَ بالفُقْدَانِ مُؤثراً فيه وَاضِحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛ ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي (مؤمنة عَامرة) حتى لا يفقد ذاكراها كذلك. فيتضاعف الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغَيْرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين، وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكُّك؛ هادىء الغَيْرة، ولكن الشك الذي يداخل نفسه، بطيُء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

---

* نشرت عام ١٩٣٤

ليلة الشك

ليلــةُ الشــكِّ والأسَــى والظَّلامِ وجحيــمَ الإقــدامِ والإحجــامِ
والعــذابِ المُمِــضِّ لم يُتَصــوَّرْ في وعيــدٍ أو خَطْــرَةِ الأوهامِ[1]
قد تركتُ الماضي حَصِيداً هَشِــيمَا ونَضــيرَ الآمــالِ مثــلَ الحُطَامِ
عــنِ عذابِ الآمــالِ قَــدْ أتَعزّى وما عَزَائي عَمَّا مَضَى مِنْ غَرامي؟
ليتــنى أســتطيعُ أنْ أُرجِــعَ المــا ضي فأُحيي ما ضَــاعَ مِنْ أيامي
ليلــةَ الشّــكِّ هل مضيــتِ؟ فإني لم أزلْ بَعــدُ غارقــاً في الظَّــلامِ
والهــوى المُشْــرِقُ المنــيرُ تهاوَى في خِضَــمِّ الدُّجَى العميقِ الطَّامي
والحيــاةُ الــتي تفيــضُ مِرَاحــاً قــد تَبــدَّتْ في ذِلَّــةِ الأيتــامِ
وَمَشــى الحــبُّ مُطْرِقــاً يَتوارَى كَحَيِّــيٍّ يَنُــوءُ تحــتَ اتِّهامي[2]
ليلــةَ الشَّــكِّ قَدْ طَمَسْــتِ حياةً مِــنْ رَجاءٍ صِيغَــتْ ومِنْ إلهامي
لَهفَــتي لليقــينِ يَغْمُــرُ نَفْسِــي لَهفَتي للهــدوءِ بعــدَ اضطرامِ
أنــا أشْــرِى اليقــينَ بالفُقْــدانِ مُوثِــراً فيــه واضــحَ الآلامِ

* * *

١- الممض: المؤلم.

٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقـــينَ اليقـــينَ بعـــدَ ارتيـــابِ ... الهـــدوءَ الهدوءَ بعـــدَ اصطخابِ

اليقـــينَ اليقـــينَ أطلـــبُ فيـــه ... راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِ

أيهـــذا اليقـــينُ إنّـــك قـــاسٍ ... ما تَطلبـــتُ كلَّ هَـــذا المُصابِ!

أيهـــا الشـــكُّ رُبّما كنـــتَ خيراً ... من يقـــينٍ كالجَدْبِ بـــين اليبابِ

حَيْرَةَ الشـــك، هَـــدْأةَ اليأسِ، هَلا ... لحظـــةً تتـــركانِ نَفْسِـــي لِما بِي

لحظـــةً تُخْلِيـــانَ فيهـــا فـــؤاداً ... مَـــلَّ وقـــعَ اليقـــينِ أو الارتيابِ

ثم مـــاذا؟ ومـــا الهـــروبُ؟ وهذا ... واقعُ الأمـــرِ، ما لهـــذا التَّغَابي؟

يـــا يقيـــني إليَّ. إن حَفِـــيٌّ ... بيقـــينٍ شَـــرَيْتُه بِلُبَابِـــي[1]

بدمائـــي الـــتي بُذِلَـــتْ، بِدَمْعِـــي ... برجائـــي المُنَـــوّرِ الوَثَّـــابِ

أنـــتَ أغلى عَلـــيّ مِـــنْ كلِّ هذا ... يَـــا يَقِيني، ومُرْشِـــدي للصوابِ

١- الحفيُّ: المهتم.

الجنة الضائعة

فَقَدْتُك يا جَنَّتي السَّاحرةْ وغادرتُ أفياءَك العاطره

وهِمْتُ تُشَرِّدُني المُقْفِراتُ وتَلْفَحني كاللظَّى الهاجِرةْ[1]

وتَعْصِفُ في نَفْسي العاصفاتُ وتَنْهَشُها الوَحْشَةُ الظَّافِرَةْ

وقَدْ طَمَسَ اليأسُ نَهْجَ الرَّجَاءِ وغَشَّ البصيرةَ والبَاصِرةْ

فلا الظَّنُّ يَلْمَعُ مِثْلَ السَّرابِ ولاَ العِلْمُ يُرْضِي المُنَى الحَائرةْ

هو اليأسُ أو اليقينُ الأليمُ وبعضُ الحقائقِ كالكَافِرةْ

فيا لليقينِ المُمِضِّ اللَّجُوجِ ويَا لَحَقيقتِه الجَائِرةْ

فَقَدْتُك ياليتي إذ فَقَدتُك كنتِ مؤمنةً عَامِرةْ

لَعزَّيْتُ نَفْسي بالذكرياتِ وأودعتُ فِرْدَوسِي الذَّاكرةْ

ولكن فَقَدتُك نَهْبَ الذئابِ تجوسُ خلالَك كالآسِرةْ

ونَهْبَ القَشَاعِمِ والجارحاتُ تخطُفُ أثمارك النَّاضِرةْ[2]

ونَهْبَ المطامِعِ والمغرياتُ تُدَنِّسُ نِيَّتَك الطَّاهِرةْ

فقدتُك في النفسِ أنْشُودةً ومعنى من الفتنةِ السَّاحرةْ

فقدتُك ذِكْرى فوا حسرتَاه لِفَقْدٍ من العينِ والخاطِرةْ

---

[1]- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.

[2]- القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

الحنين والدموع

جَفَّ قَلْبـــي منَ الحنـــينِ فَغَاضَتْ   عَبَراتـــي وأقفـــرتْ مُنْـــذ حِينِ

وحســـبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ   بـــينَ ماضـــي حياتـــي المَكنُونِ!

وإذا بي أُودِّعُ اليـــومَ عَهْـــدَاً   فتفيـــضُ الدموعُ مِـــلْءَ الجفوُن

في انســـكابٍ يَغُضُّ مـــن كِبْريَائي   واضطرابٍ يرتاعُ منهُ سُكُونِي

يـــا دمـــوعَ الوفـــاءِ أَنْتُـــنَّ أَغْلَى   أن تُرَقْرَقْـــنَ للوفـــاءِ الغَبـــينِ[1]

* * *

١- الغبين : الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللغز*

خَفَــقَ القلبُ الذي مَسَّــتَ يَداكِ جانبيــهَ؛ في جنــونٍ واضطرابِ
أكــذا يَهْتَاجُنِــي مَــسُّ هــواكِ وأنا الهادِئُ في مَورِ العُبابِ؟!(1)

* * *

عجباً ! مــا السّــرُّ في خفقتهِ.. ؟ إنــني أسْــألُكِ السّــرَّ الدفــينْ
أنــتِ أدْرَى بالــذي أودَعتِــه فيــه من حبٍّ، ووَجْــدٍ، وحَنِينْ!

* * *

إن قلــبي لم يكــنْ يَنْــزُو ، فماذَا سَالَ في كفِّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبِ؟
أهــو اللُّغْــزُ الذي تَحْويــنَ هذا؟ أم هي الفتنــةُ في مِفْتَاحِ القُلُوبِ؟

* * *

إيه !. إنِي في اضطرابي قَدْ نَســيتُ مَبْعــثَ الفتنــةِ عينيــك تْــينِ!
تُضْمِرَانِ السِّــحْرَ يُحيي ويُميتُ ؟ وهمــا سِــرُّ اتصــالِ المُهْجَتَيْــنِ

* * *

سِــحْرُكِ المجهولُ أَمْسَكْتُ عَصَاه! فــإذا شــئتُ اتقــاءً أَتَّقيــه!
لكن السِّــحْرَ الذي تَاهــتْ رُقَاه إنــني أهفُــو إلى الإخــلادِ فيهِ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤

١- مور العباب: تحرُّك الأمواج.

قبلة*

أهـــي النَّشْـــوةُ أم وَقْـــدةُ جَمْـــرٍ إنني أحسســـتُها تذكُو بِصَدْرِي[1]
وبِرُوحـــي لَهْفَـــةٌ تَبعثُهـــا هذه القبلـــةُ من أعـــذبِ ثَغْـــرِ
قُبْلَـــةٌ ! مـــا هـــذه القُبْلَـــة إذ تنقـــلُ الدُّنيـــا إلى عـــالمِ سِـــحْرِ
وتُحيـــلُ الجســـمَ والـــرُّوحَ معـــاً شـــعلةً طائفـــةً لم تَسْـــتَقِرِ
بل تُحيلُ الجســـمَ والرُّوحَ شَـــذىً من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْـــكَةِ طُهْـــرِ

* * *

لم أُحِـــسّ الـــرُّوحَ مـــنى مُثْقَـــلاً بهمومِ الجســـمِ إذ هَوَّمَ يَسْـــرِى
لم أُحِـــسَّ العُمْـــرَ إلا خَفْقَـــةً في فُؤادِ الدَهرِ قد فَاضتْ ببشرى
وأرى الماضِـــى أَضْحَـــى لحظـــةً بعد ما قَـــدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهرِي
وتطلَّعْـــتُ بعـــينِ المُنْتَشِـــى لجمالِ الكونِ في نَشْـــوةِ سُـــكْرِ

* * *

أهـــي القُبْلَـــةُ مـــن ثَغْـــرٍ لِثغرِ ؟ أم هـــي الخَطْرةُ مِـــنْ وَحي لِفكْرِ
أم تُراهـــا قُبْلَـــةَ النـــورِ الـــتي فاضَ منهـــا النـــورُ في أولِ فَجْرِ
حينمـــا رفـــرفَ والكـــونُ دُجَىً رُوحُ ربّ الكـــونِ في لُجَّـــةِ غَمْرِ
فتجلّـــى النـــورُ في بَـــرّ وبَحْـــرٍ وتَراءى الحُسْـــنُ في طيرٍ وزَهْـــرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعي الحياة*

يَخفُــقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشّــفاه   مُنــذُ أن ضَمَّتْكِ في شَــوْقٍ يَداه
مُنــذُ أن رَنَّ صَداهــا ، قُبْلَــةً   نَهلَــتْ منهــا وعَلَّــتْ شَــفتَاه
وارتــوتْ رُوحَاكُما بَــلْ ظمِئت   برحيــقِ القُبُــلاتِ المشــتهاه
بَلْ رحيــقُ الخُلْدِ قَدْ طَــابَ جَنَاه   وسَــرَى فيــه حُــلاه وشَــذَاه

* * *

يَخفُــقُ القلبانِ؛ بل تَهفُو الشِّــفاه   حــينَ يَلْقَــى ناظِرَيــك نَاظرَاه
حينمــا يَسْــتَعِرُ الحــبُّ جَــوىً   يَكْتَوى القلبــانِ مِنْ حَــرِّ لَظَاه
فَيُرجــي   كلُّ   ثَغْــرٍ   قُبْلَــةً   هــي بــردٌ للحنَايــا والشِّــفَاه
مثلمــا يَطْلُــبُ رَيَّــا ظَامِــئٌ   ينظــرُ المــاءَ ولا يَبْلُــغُ فَــاه

* * *

يخفُقُ القَلْبــانِ؛ بل تَهفُو الشّــفَاه   كلمــا بَشَّــرَ بالحــبِّ الهُــدَاه
كلَّمــا   نَــادَى   حَــيْ   هَــلاً   يَقْطِــفُ المحرومُ ما طَــابَ جَنَاه
مَــا   لِمَحْرومَيْــن   لم   يَسْــتَمِعَا   ذلك الصــوتَ الذي دوَّى صَدَاه
إِيه هيــا؛ فَلْنُجبْ دَاعِي الشِّــفاه   فهوَ داعِي الحبِّ؛ أو دَاعِي الحياةْ

---

* نشرت في ١٩٣٤

تحية الحياة*

شَــفَتَاي تَخْتَلِجَــانِ للتقبيــلِ؟ في كلِّ مُطَّلــعٍ لديــكِ جميــلِ

ظَمَــأُ الشِّــفاهِ طبيعــةٌ أُلْهِمْنَهــا منــذ ارْتَوَيْــنَ بثغركِ المَعْسُــولِ

ظَمَــأٌ تُؤَجِّجُــه القلــوبُ خَوافِقاً تَنْــزُو بعــارمِ لهفــةٍ وغليــلِ

من يومِ ما التقَت الشِّــفَاهُ فَحدَّثَتْ عــن حُبِّنــا بســواحِرِ الترتيلِ!

أفتذكرينَ وقــد ضَمَمْتُك والهوى يُغْــرى ويُوقظُ خَاطِــرَ التقبيلِ؟

والكــونُ يُمْسِــكُ خَفْقَــه مُنْتظراً قبلاتنــا في لَهْفَــةٍ وذُهــولِ

هُــو عاشــقُ القُبــلاتِ! إنّ رَنينَها لَحْــنٌ يُنَبِّــهُ فيــه كلَّ خُمُــولِ

وهــي الحيــاةُ إذا تُحيّــى قُبْلَــةٌ رَمْزاً علــى الترحيــبِ والتأهيل

أفــلا نَــردُّ علــى الحيــاةِ تحيــةً مَا عقّهــا في الكــونِ أَيُّ بخيلِ؟

أفــلا نُرَجِّــعُ غِنْــوةَ التقبيــلِ! وتحيــةَ الدُّنيــا لخــيرِ نَزيــلِ؟[1]

---

* نشرت ١٩٣٤.

١- النزيل: الضيف

الخطر

بَيـنَ التلفُّتِ والحَذَر خَطَرتْ تُبَشِّرُ بالخَطَرْ!

بُشْرَى! فما دامتْ هُنَا فعلامَ تَقْرُبُنا النَّذُرْ!

وتشيرُ للمتنظِّريـن إشَارةَ اللّبِقِ الحَذِرْ!

لتضيعَ مني قُبْلَةٌ لبثتْ بِفيها تَنْتَظِر!

ولبثتُ أرقُبُ قَطْفَها من بَعْدِ ما نَضَجَ الثَّمَرْ

هو ذاك يا قلبُ الخَطَر لا الناظرونَ ولا النَظَرْ

* * *

صَنَعَ الشبابُ صنيعَه والحُبُّ في الحُسْنِ النَّضِرْ

فمضَى يَتِيهُ تخايلاً فإذا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرْ!

ويَلُوحُ حتى ننتَشِي ويغيبُ حتى نَسْتَعِرْ

ويروقُ حتى لا نَرى شمساً سِواه ولا قمَرْ

ويَرِقُّ حتى لا نَرى طيراً سِواه ولا زَهَرْ

ونَطِيرُ في نَشَوَاتِنا نَهفُو إليه وننتظرْ

فَإِذاهُ آناً يعتذرْ عَنّا وآناً يستترْ!

هو ذاك يا قلب الخَطَرْ لا الناظرونَ ولا النَظَرْ!

* * *

تِــه أيُّهــا الحُسْــنُ الأغَــرُّ وامــرحْ بِنَفْسِــك وازْدَهِــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا شُــعْلَةٌ تَخْبــو إذا هِــي لم تُثَــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا طَائــرٌ يَهــوِى إذا هُــو لم يَطِــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا قُــوةٌ تَعْيَــا إذَا لم تَقْتَــدِي

أمّــا الذيــن أسَــرْهم بــينَ التــبرُّجِ والخَفَــرْ[1]

فعليهــمُ أن يَعْلَمُــوا يــا حُســنُ مــن أيــن المَفَــرْ

أو يَســتَنِيُموا للخَطَــر وبحســبِهم مِنــكِ النَظَــرْ

* * *

١- الخفر : الحياء.

يقظة*

سَـــهِرْتِ؟ إذنْ تَعَالَـــيْ حَدِّثيـــني بما أحْسَسْــــتِ من حَـــرَقِ الحنينِ

فقـــد جربتُـــه ســـهرَ الليـــالي وقـــد خَبَـــرْتُ تســـهيدَ الجفونِ

وأعْلَـــمُ أن مبعثَـــه غَـــرامٌ يَـــؤُزُّ جوانبَ القلـــبِ الحَنُونِ[1]

ويَقْظَـــةُ حـــالمٍ تَسْـــمُو مُنَـــاه عـــن النُّـــوامِ في دُنيا الســـكُونِ

فَهـــلْ أحْسســـتِه حُبًّـــا كهـــذا فبـــتِّ الليـــل سَـــاهِدةَ العُيونِ؟

* * *

ومـــا أبْغِـــى لـــك السَّـــهدَ المُعَنَّى ولا الحُرُقَاتِ سَـــاعرةَ الشُّـــجُونِ

ولكنّـــي أريـــدُ نشـــاطَ حُـــبٍّ ويقظـــةَ عاشـــقٍ جَمِّ الفُتـــونِ[2]

فنوقـــظُ هـــذه الدُّنيـــا خلـــوداً ونَسْـــمُو عـــن تقاليدِ الســـنينِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يؤز: يزلزل.

٢- الجمّ: الكثير.

رقية الحب*

خَيَّمَ الليلُ فَنامِي في هُدوءٍ وسَلامِ
رَفَّ مِنْ حولك قَلبٌ عَلّم الحبَّ التَسَامِي
أو فَإنَّ الحبَّ نَقَّاهُ بوحِي مِنْه سَامِ
فهو يَحْيَا في سماءٍ مِن أمَانٍ ومَرَامِ
وهو يَسْرِي في وَسِيعٍ من رجاءٍ مُتَرَامِ
يَشْمَلُ الدُّنْيا بعطفٍ ورِضَاءٍ وابتسامِ

* * *

خَيَّمَ الليلُ فَنَامي في هدوءٍ وسَلامِ
رَتَّلَ الحبُّ رُقَاه في سُكُونٍ لِتَنامِي
رُقْيَةُ النومِ وأُخْرى للرُّؤى بعدَ المَنامِ
ودُعَاءٌ لكِ بالبِشْرِ غَداً عندَ القيامِ
وتَعَاويذُ مِن الشَّرِّ لعامٍ بعدَ عَامِ
رُقْيَةٌ في إثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٌ في الظَّلامِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

أيُّهـــا الحـــُّب فَـــلا تَنْـــَس دُعـــاءً بِالـــدوامِ

وتعاويـــذٌ لقلبينـــا لِصَـــدٍ أوْ سَـــآمِ

أو فَعَوِّذْهـــا ودَعْنـــي لِتَعاويـــذِ غَرامِـــي

وإِذا شـــئتَ فَعَـــوِّذْ بي مـــن فَـــرْطِ هُيامِـــي

ومِـــنَ اللهفـــةِ تَطْغَـــى في فـــؤادِي كالضِّـــرَامِ![1]

واجعـــلْ الدُّنْيَـــا ســـلاماً وارْوِ يـــا حُـــبُّ أُوَامِـــي[2]

* * *

١- الضّرام: النار الملتهبة.

٢- أوامي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمسِ كنتُ أعيـــُش نِضْو تَرقُّبِ أُزْجِى حَياتِي كالأجـــيرِ المُتْعبِ[1]
أرنُـــو إلى الإِصْبَـــاحِ ثم تَمُجُّـــه نَفْسِـــي وأنظرُ كارِهاً للمَغْيب[2]
وأُحـــسُّ بالقفـــرِ الجديـــبِ يَلُفُّني ويَجُوسُ في نفـــسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ
ولو أنمـــا اختصرت حيـــاتي لم أبل بَـــلْ لم أحسُّ بنقصِهـــا أو أعْيب
وإِذَا تَشَـــابَهتِ الحيـــاة وأقفرتْ مُجَّـــتْ برُمَّتِهـــا، ولَـــمْ تُتَطَيب

* * *

واليومَ. آسَـــفُ للدقائـــقِ تَنْطَوي من عُمْرِي الغَـــالِي الثمينِ الطَّيب
واليـــومَ أرْقُبُهـــا وأرْقُـــبُ خَطْوَها فأعيشُـــها مِثْلَينِ بَعـــدَ تَرَقبذث
وهـــي العميقـــةُ كالخلـــودِ وإنما تَمْضِـــي حَثيثاً في خُطَـــا المُتوثب
وأودُّ لـــو هـــي أبْطَـــأتْ وتَلبَّثَتْ في خَطْوِها لَيْثَ الوَئيـــدِ المُكْثِب
تَغْلُـــو الدقائـــقُ في حيـــاةٍ خِصْبَة وتَهُـــونُ أعْـــوامٌ بِعُمْـــرٍ مُجْدِبِ

* * *

الحبُّ فَـــاضَ على الحيـــاة بخَصَبه وأجَـــدَّ عُمْراناً بِـــكلِّ مُخَرَّب[3]
وأزَاحَ أسْـــتَارَ الدُّجَى فتكشَّـــفَتْ ظُلُمَاتُـــه عـــن كلِّ زَاهٍ مُعْجِـــب
وكذلك تَحْلُو لِيَ الحيـــاةُ وتَجْتَلي وتَعِزُّ ســـاعاتُ الغَـــرامِ المُخْصِب

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النضو: هزيل والمراد: هزيل من الترقب والانتظار.

٢- تمجه: تلفظه كارهة.

٣- أجَدّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَنَّـــي وامْلئـــي الدُّنيـــا نشـــيدًا وحَيِّـــي ذلـــك الكـــونَ الجديدًا

فـــإنَّ الحـــبَّ أبْدَعَـــه؛ وإني نَظمْتُ علـــى بَدَائعـــه القَصيدًا

أجَـــلْ حيّيـــه فهـــو لنـــا، وإنَّـــا لَنعْمُـــرُ كَوْنَنَـــا عُمْـــراً سَـــعيدًا

نعيـــشُ مَعيشَـــةَ الطُّلَقَـــاءِ فيـــه وكـــونُ النـــاسِ يُثْقِلُهـــم قُيودَا

وَنَمْلِكُـــه وَمـــا الأحيـــاءُ إلاَّ أجِـــيري هـــذه الدُّنيـــا عبيـــدًا

وَنَبْـــذُرُ فيـــه آمـــالاً وضَـــاءً فَيُنْبِتُ غَرْسُـــها الطَّلْـــعَ النّضيدًا

* * *

تَغَنّـــى بالرجـــاءِ وبالأمَانـــي وبالنُعْمَـــى تَـــدومُ لَنـــا خُلُـــودًا

ومِنْ فِتَـــنِ الحياةِ خُـــذي الأغَانِي ومِـــنْ خَفَقَاتِها صُوغِي النَّشـــيدًا

ومِـــنْ شِـــعْرِي؛ فقد نظّمْـــتُ فيه أهازيـــجَ الهَـــوى لَحْنـــاً فريدًا

فمـــا أحْلَى الغِنَـــاءِ بِعَذْبِ شِـــعْرٍ نحيّـــي فيـــه عَالَمَنَـــا الوَليـــدًا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

حب الشكور*

إنْ لَـمْ أُحِبُّـكِ للسَّـنَا والنُّـور وَلِحُسْـنِ وجهٍ في الحيـاةِ نَضِير
ولِسِحْرِ رُوحِكِ حين يَخْتَلِسُ النُّهَى منّـي فَأَتْبَعُـه اتِّبَـاعَ سَـحِير[1]
ولِمَّـا تَضَمَّنْتِ الجمـالَ فأفصحتْ بِكِ منـه سَـاحِرةٌ مِـنَ التعبير
ولما مُنِحْـتِ، وما مَنحتِ من الهوى للكـونِ؛ أو أحيَيْتِ مِـنْ مَقبورِ
إنْ لَـم أُحِبُّـكِ حُـبَّ مفتونٍ ولا حُبَّ الأسـيرِ؛ إذَنْ فَحُبَّ شَكُور

* * *

حُـبَّ الذي أحييْـتِ فيـه حَيَاتَه مما لديـكِ مِـن الحَيـا المَذْخُورِ
ووهبتِـه مُلْـكَ الحيـاةِ وطَالَمـا قَـدْ عَاشَـها كالعَامِـلِ المَأْجُور
ومَنَحْتِـه مَاضيـه بعـدَ ضَيَاعِـه وأعَـذْتِ قَابلَـهُ مِـنَ المَحْظُورِ
حُبَّ الـذي أشْـرَقْتِ في وِجْدَانه فجلـوتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْـتُورِ
ونَفَخْـتِ في عَزَمَاتِـه فتوهَّجَـتْ وسَـمَتْ لـكلِّ مُمَنَّـعٍ وخَطيرِ

* * *

أوْ فَلأُحِبُّـكِ حُـبَّ مَـنْ ألهمتِه شِـعْراً يُضِيءُ سَـنَاه كلَّ شُعورِ
شِـعْراً جمعتِ من الحيـاةِ زُهُورَه ومِـنَ الجمـالِ نَفَحْتِـه بعبِـير
ومِـنَ الضيـاءِ وهبتِـه آمالَـه ومن النَّدَى حِلْمـاً كَوجهِ غَرِيرِ
وبعثتِـه وَحـيَ الحيـاةِ وفَنَّهـا تجلُـوه ضِمْـنَ جمالِهـا المَأْثُورِ

* * *

أفـلا أُحِبُّـكِ؟ إنّهـا لَفَرِيضَـةٌ حُبَّ الشّـكُورِ لِواهبٍ مَشْكُورِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النهى : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَــــةُ الحبِّ من صنيعِ السَّـــماءِ وهي صِنْــوٌ لعِصْمَـــةِ الأنبياء[1]
يُخْطِــىءُ الناسُ في الحياةِ اسْـتبَاقاً للـــذَاذَاتٍ قبـــلَ يــومِ الفَنَـــاء
وصِرَاعـــاً مـــا بينَ جســـمٍ ورُوحٍ في شَـــتيتِ الآمـــالِ والأهـــواء
وَلَـــوَ انَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُـــوا الخُلْدَ أوَ انَّ الأرْواحَ مَحْـــضُ صَفَـــاء
لَتَسَـــامَوْا عَـــنِ الخَطيئَـــةِ كالقَيْدِ وعَاشُـــوا مَعيشَـــةَ الطُّلَقَـــاء

* * *

وغَنَـــاءٌ عـــن الخُلُـــودِ غَـــرَامٌ هـــو رَمْـــزٌ وَوَصْلَـــةٌ للبقـــاء
وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ الجِسْمِ ويُضْفِـــي عليه ثَـــوْبَ الضيِّاء[2]
هُـــو نـــورٌ ومـــا الخطيئَـــةُ إلاَّ ظُلْمَـــةٌ أو حَلِيفَـــةُ الظَّلْمَـــاء
وهُو يَسْـــمُو عن الزمـــانِ ومَا قَدْ يَقْتَضِيـــه الزمـــانُ مِـــنْ أخْطَاء
هُـــو خُلْـــدٌ، ومـــا الخطيئـــةُ إلاّ بعـــضُ وَحْـــيِ الفَنَـــاءِ للأحْياء

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الصنو: المثيل والنظير.

٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسدز

الانتظار الخالد*

أنـــا بانتظـــارِك مـــا أُبالـــي رِضـــي الهـــوى حُكْـــمَ الجَمالِ!
غيـــبي إِذَنْ أو فَاحْضُـــرِي أنـــا قَانـــعٌ في كلِّ حَـــالِ!
رَاضٍ بأحلامِـــي الـــتي تُضْفِـــي عليـــك حَلْـــيَ الجلالِ
لســـتِ الملومَـــة إنـــني أنا رشْـــتُ أجْنحَةَ الـــدَّلال![1]
مَـــا لِلجَمَـــالِ مَتَـــى بَـــدَا إلا التَّخَشُّـــعُ في ابتهـــالِ

* * *

أنـــا بانتظـــارِك في الشُّـــروقِ وفي الغـــروبِ وفي الـــزَّوالِ
أنـــا بانتظـــارِك حِـــين أصْحُـــو طَلْعَـــةً مِثْـــلَ اللآلِـــي
أنَـــا بانتظـــارِك حـــينَ أغْـــــــــفـــو طائفـــاً مِثْـــلَ الخيـــالِ
وإذا قربـــت تَطلَّعَـــتْ نَفشـــي إلى القُـــرْبِ المُوالِـــي!
وإلى التَّمـــازُجِ بيننـــا حَنْـــيَ النحـــور إلى كَمَـــالِ
هـــو ذاك سِـــرُّ تَنَظُّـــري أبـــدا إليـــك؛ فمـــا احتيالِـــي؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- رشتُ: السهم، جعل له الريش.

الحب المكروه!*

كَرِهْتُكَ أيُّها الحبُّ كراهةَ مُحْنَقٍ غاضِبْ
وضَجَّ بِهَوْلِكَ القلبُ وما تَبْلُوه مِنْ وَاصِبْ[1]

* * *

كَرِهْتُك حَيْرةً كُبْرى جحيماً كَلُّه حَرَقْ
كَرِهْتُك لهفةً حَرَّى وشوقاً كلُّه نَزَقْ

* * *

كَرِهْتُك رِيبةً فِينَا وفي الدُّنيا وفي النَّاسِ
نُكَذِّبُ مَا بأيدينا ونَسْمَع هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتك غُلَّةً[38] ظَمِئتْ ولا رِيٌّ ولا مَاءْ
وَوَقْدَتُها قد اشتعلتْ وفي التلطيفِ إذْكَاءْ

* * *

كرهتك سَهدَ أجفانٍ وصَحْواً في الدُّجى المُبْهَمْ
كرهتك مَهدَ أشْجَانٍ ومُذْكِي وَقْدِها المُضْرَمْ

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتــك شُــغْلِيَ الشَّــاغِلْ وآمَالِــي وآلامِــي
وماضِــي العُمْــر والآجِــلِ ولَيْــلاتِيَ وأيَّامِــي

* * *

كرهتُــك دورةَ الزّمَــنِ بــلا حَــدٌّ ولا فَاصِــلْ
وصلــتُ الصَّحْــوَ بالوســنِ بإحســاسٍ لَنــا شَــاغِلْ

* * *

كرهتُــك لســتُ موقوفــاً علــى حُــبٍّ يُقَيّدُنِــي
كَرِهْــتُ العيــشَ مَلْهُوفــاً علــى أمــلٍ يُســوّفُنِي

* * *

وداعــاً أيُّهــا الحــبّ كرهتــك فارتحــلْ قُدُمَــا
كرهتــك لم يَعُــدْ قَلــبٌ بصــدرِي يَحْمِــلُ الألَمــا

* * *

سَــأحيا خَامِــدَ الحِــسِّ فــلا حُــبٌّ ولا أمــلُ
سَــتخْبُو شُــعْلةُ النفــسِ ويَمضِــي ذلــك الأجِــلُ

* * *

نكسة!*

خَفَقْــتَ يــا قلــبُ ! . مــاذَا أَنكْسَــةٌ مِــنْ جَديــدْ؟[١]
تَوثُّــبُ الحــبّ هَــذَا ؟ بعــدَ الهــدوءِ المَديــدْ
وبعد فَكّ القيودْ

* * *

يــا قلــبُ مــاذَا أَثَــارَكْ ؟ وهَــاجَ فيــك الحَنينَــا؟
وقــد خَلَعْــتَ إِســارَك وعِشْــتَ كالنــاسِ حِينــا[٢]
أو عشتَ كالهادئينَا !

* * *

لَقِيتَهــا يــا فُــؤادِى أَنَكْسَــةُ الحــبّ لَقْيَــا؟
كالنــارِ تحــتَ الرَّمــادِ مــا يلبــثُ الحــبُّ حَيًّــا
ما أعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

يــا قلــبُ فَاذكــرْ عَذَابَــك في الشكّ أو في اليقينِ
فهــل نَسِــيتَ اضطرابَــكَ؟ بين القَلَى والحنينِ[٣]
وبين سُود الشُّجُونِ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.

٢- إسارك: قيدك.

٣- القلى: البغض والهجر.

وبـــينَ إنْ قِيــلَ غَابَــتْ أو قِيــلَ الآن تَأتِــى!

وبـــينَ فَــوزٍ مُبَاغِــتْ أو حســـرةٍ بعــدَ فَــوْتِ

وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ

* * *

أراكَ يــا قلــبُ لَمَّــا تَســـمَّعْ، ولم تَتَذَكــرْ

ومــا تحــاوُل كَظْمــاً لِخَفقِــكَ المُتَســعّرْ

وما تريدُ التدبُّرْ

* * *

عَلَيْــكَ يَــا قلــبُ وِزْرَكَ فاخفــقْ إذَنْ بَــلْ فَخَاطِــرْ؟

فليـــس يُجْدِيــك حَــذَرُكَ إذَا هَمَمْــتَ تُحَــاذِرْ

خاطِرْ بنفسِك خَاطِرْ؟

* * *

على أطلال الحب*

تَفَرَّدَ ذلك الطَّللُ وطاف بركِنه الوَجَلُ

يُغَشّى اليأسُ صَفْحَتَه ويُبْرِقُ تحتَه الأملُ

وتَهْمِسُ حولَه الذّكْرَى فتلمعُ بينها الشُّعَلُ

جَفَاه أهلُه مَلَلاً فَخَّيمَ فوقَه المَلَلُ

عَزِيزٌ عَهْدُهم فِيه عزيزٌ أَنْتَ يَا طَلَلُ

* * *

بَنَاه خَيرُ بَنّاءٍ بَنَاه الحبُّ مُبْتَدِعا

وبَثَّ عَلى جَوانِبِه مَفَاتِنَ تَفْتِنُ الوَرِعَا

وأطْلَقَ حَولَه سِحْراً يَبُثُّ الشَّوقَ والوَلَعَا

وأَنْشِدَ بِاسمِه شِعْراً مِنَ الآمالِ مُنتَزِعَا

وظَلّلَ أَهَلَه الأملُ فماذا جَدَّ يا طَلَلُ ؟

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

خريــفٌ بَاكِــرٌ حَــلاَّ خريــفٌ الحُــبّ والعُمْــرِ
فَحَطّــمَ كُلَّ شَــامخَةٍ علــى الأحــداثِ والدَّهْــرِ
وعَطّــلَ كُلَّ فاتِنَــةٍ مِــن الإغْــرَاءِ والسّــحْرِ
وأبْطَــلَ كلَّ سَــاحِرةٍ وأسْــكَتَ نَغْمَــةَ . الشّــعْرِ
فَعَــادَ بِنَــاؤُه طَلَــلاً فَويْحَــكَ أيُّهــا الطَلَــلُ
دَلَفْــتُ إليــه مَلْهُوفــاً تحُــثُّ حَنيــني الذّكْــرَى
فَأطْــرَقَ لا يُحَدّثُــني وأرْسَــلَ زَفْــرةً حَــرَّى
وَجَــدْتُ لِوَقْدِها لَذْعــاً كَأني أَلْمَــسُ الجَمْــرَا
وتاهــتْ نَفْســي الوَلْهَــي وأَسْــرَتْ رُوحِــي السّــكْرَي
وقُلْــتُ وقَــدْ نَــزَا أَلَمِــي «فِــداكَ الكَــونُ يَــا طَلَــلُ» ؟

* * *

صدى قبلة*

حرارتُهـا لم تَـزلْ فَائِـرَه ونكهْتَهتُـا لم تَـزالْ عَاطِـرهْ

أُحِـسُّ حرارتَهـا في دَمِـي كمـا تَصْـرُخُ الشـعلةَ الثَّائِرهْ

أنْشَـقُ نَكْهَتَهـا كالشَّـذَى يفـوحُ مـن الزهـرةِ النَّاضِـرهْ

وتخطـرُ رَيَّانَـةً في فَمِـي كمـا يَخْطُـر الحُلْـمُ بالذَّاكِرة

وبـينَ يَـديَّ صَـدَى ضَمَّـةٍ تَـردَّدُ كالنَغْمَـة السَّـائِرةْ[1]

أجَلْ! لَيْسَ هَذَا الذي قد ضَمَمْتُ سِـوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عابِـرَة

أذلِـك جِسـمٌ ! فأيـنَ الخيالُ وأيـنَ عَرَائِسُـه النَّافِـرةْ؟

تَقَدَّسْـت مِـنْ قُبْلَـةٍ قَدَّسَـتْ مُنَـاي وأوْهَامِـي الحائِـرهْ

وأَزْكَـتْ حَياتِـي وإنَّ الحيـاةَ هِـي الفتنـةُ الحيّـةُ الطَّائِـرهْ

أجلْ هِـي أطْهَرُ ما فِـي الوجودِ فمـا الرِّجْسُ إلاّ القُـوى الخَائِرةْ

لجَسَّـمْتِ مـا كانَ في خَاطِري خيـالاً وأُمْنيـةً طَائِـرهْ

وقَرّبْـتِ لِلَّمْـسِ مـا لم تَكُـنْ تُقَرِّبُـهُ الفكـرةُ الخَاطِـرهْ

وَأسْـرَيْتِ بالـرُّوحِ في لَثْمَـةٍ تَحُـسُّ بِهـا الشَّـفَةُ الشَّـاعِرهْ

أَمُعْجِزَةٌ أَنْتِ تَمْزِجُ بين الجِسـم وبـينَ القُـوى الطَّافِـرهْ ؟[2]

قُـوى كلِّ هَيْكلِ هـذا الوجودِ كذلـك قـدرتْ يـا قَـادِرَهْ !

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٧.

١- السائرة: المنتشرة.

٢- الطافرة: من طفَرَ: وثب: أسرع.

وإنّــي لأغْمِــضُ فِــي نَشْــوةٍ وأُمْسِــكُ أَنْفَاسِــي السَّــاعِره

وأَخْطَرُهَــا قُبلــةً في فَمِــي فَأَسْــمَعُ أَصداءَهــا السَّــاحِرهْ

وأسْــتَرْجِعُ اللحظــاتِ القِصَارِ فَأُلْفِــي بهــا صُــوراً وَافِــرهْ

وأَعْرِضُهــا مَنْظَــراً مَنْظَــراً كمــا عُرِضَــتْ قبــلُ لِلبَاصِرهْ

ثَــوانٍ تَرَكّــزَ فيهــا الزمــانُ تُبَــارِكُ دُنيــاي والآخــرهْ

* * *

غني... ؟!*

غنيّةٌ أنـتِ بالتعبيرِ قـد ذَخَرَتْ   أطـواءُ نفسِـكِ منـه زادَ أَحْقَابِ

وهَبِتـني مِنْـه أشـتاتاً منوّعـةً   وزدتِـني منـه في وجودٍ وإسـهابِ

في كل جَارحـةٍ عُنـوانُ مَلْحَمَةٍ   مـن الحديثِ ، وسـرٌّ جِـدٌّ جذّابِ

تقـصُّ تاريخَهـا في فـنّ راويةٍ   منسّـق النَّبْرِ ذي لحـنٍ وإطرابِ[1]

وإنَّ تاريخَهـا أُقْصُوصـةُ جمعتْ   تجـاربَ الكـونِ في أحـلامِ أربابِ

تجاربُ الكونِ في سـحْرٍ وفي فِتَنٍ   من نُضْرةِ الرّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَابِ

ومِنْ سَـناءِ الـدَّراري في تَأَلُّقِها   ورهبةِ الكونِ في جُنْحِ الدُّجَى الخَابي[2]

ومِنْ غُموضِ الصَّحَارِى في مَجاهِلِها   والعيلمُ الرَّحـبُ يَطْغَى جِدُّ صَخَّابِ

ومن صِيـالِ الضَّواري في تَقحُّمِها   ومن أغاريـدِ أطيـارٍ وتَنْعَـابِ[3]

وفرحـةُ الظَافِرِ النَّشـوانِ خَافقَةٌ   تختـالُ مُعْجَبـةً في خَطـوِ وثّـابِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٧

١ – النبر: إبراز النطق والصوت.

٢ – الدّراري: مفردها دُرِّيٌّ: وهو كوكب لامع.

٣ – التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هــذا حديثُــكِ بينَا أنــتِ صَامتةٌ وَعَيْتُــهُ كلَّه في صَمْــتِ مِحْرابِ
فهلْ بلغتُ مدَى مــا أنتِ زَاخرةٌ من التجاربِ في خَلْــقٍ وإِنْجابِ ؟
لا . لا وحقكِ لم أبلغْ سوى طَرْفٌ من الحديــث على وَفْــرٍ وإطنابِ
وخَلْفَ ذلــك كَنْزٌ كُلُّــه طُرَفٌ يزيــدُ مَذْخُــورُة في كــفِّ وهّابِ
وإنَّ عِنْــدك مــا تُعطِينــه أبــداً للســائلينَ بإِفْصَــاحٍ وإِغْــرابِ

* * *

العينُ . ماذا تَقصُّ العينُ مِنْ خَبرٍ مُسَلْسَــلٍ في حَنايا النفسِ مُنْسَابِ؟
وما الذي أبْدعتِ للفنِ إذ هَمَست للأمْنيــاتِ فلبَّتْ بِضْعُ أسْــرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنينٍ كامنٍ وهَوى يَسْــرِي الهوينى شَفُوفاً بينَ أَهْدابِ ؟
والثغــرُ ماذا يبثُّ الثغرُ من قُبَلٍ في صمتهِ العَذْبِ، بل في سِحْرهِ السَّابِي[١]
وإِن فيه لقُبلاتٍ قد ارتَسَــمتْ من بعد ما نَضَجَت ، لِلاَّثمِ الصَّابي[٢]

* * *

والجسمُ. ماذا يقولُ الجسمُ قد خَفَقَتْ فيه الحياةُ ، وتَاهــْت تيهَ غَلاَّبِ ؟
يقولُ مــا تعْجَــزُ الدُّنيــا بِرُمَّتِها عــن أن تقولَ بتصويــرٍ وإِعرابِ

* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَــنّ الحياةِ حَوتْ جَميعَ ما تُبــدِعُ الدُّنيا لإِعْجَابِ
غنيــةٌ أنــتِ بالتعبير قَــد ذخرتْ أطواءُ نَفْسِــك منــه زادَ أحقابِ

* * *

وحي جديد *

فِــي خِفّــةِ الطيْــرِ في نُضْــرَةِ الزّهْــرِ
لا قيتُهــا عَرَضــاً بَسَّــامةَ الثّغــرِ
فتّانــةٌ تُغــرِي بالسّــحرِ والطُّهْــرِ
تَهْفُــو فَتَحْسَــبُها لحنــاً هَفَــا يَسْــرِى
في لَفْتــةِ الجيــدِ في خَفْقــةِ الصَّــدْرِ
«تَقْسِــيمُ» موسـيقــــــا أَمَنْغُومــةِ النّبْــرِ

* * *

يــا بَسْــمَةَ الفَجْــرِ يــا نَفْحَــةَ العطْــرِ
أسْــكَرْتِ وِجْــدَانِي مِــنْ لَوْنِــكِ الخَمْــرِي
أَلْهَبْــتِ إِحْسَاســي بالشّــوقِ كالجمْــرِ
وَهَمسْــتِ في قَلْــبي وهَتَفْــتِ في صَــدْرِي
وبَعَثْتِنِــي أَشْــدُو للحُــبّ بالشّــعْرِ
وكأنّــني رُوحٌ تَقْفُــو خُطــا سِــحْرِ
مَفْتُونَــةً ترنُــو للكــونِ في سُــكْرِ
والكــونُ يَشْــمَلُها بالأنْــسِ والبِشْــرِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبي لِمَا أَلْقى مِنْ لُغْزِكِ السَّحرى!
وَحْيٌ يُوسْوِسُ لي في السِّرَّ والجَهْرِ
حوَّلِتِ عُمْري مِن شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حبَّبْتِني، عَجَبًا! في عِيشَةِ الوَكْرِ
قد كنتُ أرْهَبُها كالنَّابِ والظُّفْرِ!
وإِخَالُها شَرَكاً في البَرِّ والبَحْرِ!
إذ كنتُ أدْمَغُها بالشَكِّ والغَدْرِ
فملأتِني ثِقَةً بجمالِها المُغْري
ورسمتِ لي صُوراً لفراخِها الخُضْرِ
تَزْقُو فَنُطْعِمُها بِحنَانِنا النَّضْرِ
ونَرِيشُ أجْنحَةً مِنْ رِيشِها النَّزرِ
فَتَطِيرُ هَازِجَةً في جَوِّنا الشِّعرِى
وتؤوبُ وَادِعَةً للعُشِّ كالطَّيرِ!

* * *

يَا فِتْنَتِي، هَذَا طيفٌ مِنَ السِّحْرِ
إنْ تَأذَنِي أضْحَى شَطراً مِنَ العُمْرِ
فَهَبِي لي رُوحاً مِن رُقْيَةِ الثُّغْرِ
هي قُبْلَةٌ تُمْضِي مَا شِئتِ مِنْ أمْرِ
وكأنَّها قَدَرٌ بسعَادَتِي يَجْري

* * *

أكذوبة أسوان *

بعد عام أحس في نفسه بالسُّلوان، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سمَةٌ من الجمال الذي حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاَه وإذا هو يَهْفُو إلى المَاضي، والماضي وحْدَه دونَ سِواه.

الآن أعْلَـــمُ أنّ كلَّ خَواطِـــري　تَهْفُو إليـــكِ كَرَقْرَقَـــاتِ الطَّائِرِ[1]

ما كان سُلْواني سِـــوى أُكْذُوبَةٍ　خُدِعَتْ بِها نَفْسِـــي خَديعَةَ شَـــاعِرِ

بَيْنَ الشَّغَافِ وفي مُنَايَ وفي دَمِي　ألقـــاكِ هَاجَّـــةً وبـــينَ سَـــرائِري

أنْسَاكِ؟! كيفَ وأنتِ بينَ جَوانِجي　شَطْرِي الجَميلُ وأنْتِ وَحْيُ خَواطِرِي؟

أنْسَـــاكِ والآمالُ والذِّكْرى معاً　مَوْصُولةٌ بكِ في صَميمِ مَشَـــاعِرِي؟

وإِذَا هَفَـــوتُ إلى الجمـــالِ فإنَّما　أهْـــوى مَثَالَـــكِ في الجَمَـــالِ العَابِرِ

أنْسَـــاكِ إذْ أنْسَـــى حَياتي كلَّها　فـــإذا حَييـــتُ فأنْـــتِ أولُ خاطِرِ

نَبَضَ الربيعُ فَكُنْـــتِ أولَ نَابضٍ　في خَاطِـــرِي يهفُـــو وأوَل زَائِـــرِ

وهفوتُ للماضِي الذي قد أوْدَعَتْ　نَفْسِـــي لديـــه رَغَائِبِـــي وذَخَائِرِي

أنا ذلكَ الماضِي الذي لا يَنْقَضي　أنـــا ذلك الماضِي يعيـــشُ بِخَاطِرِي!

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١- الرقرقة: التحرك والارتجاج.

حلم الحياة*

«وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَديٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشعَّةٍ في ظلام الحياة؟».

أيُّها الحُلْـمُ الذي كَانَـتْ حَيَاتِي مِـنْ حَوالَيـه دُعَـاءً وصَـلاهْ
وتَسـابِيحَ وَعَتْهَـا أُغْنياتِـي وانْتِشَـاءً بأفَاويـقِ الحيـاهْ[1]

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي أطْلَقَنـي مِنْ قُيـودِي نَحو آفَـاقٍ عَجيبَهْ
والَّـذي في الصَّحْوة قَـدْ طَوَّقَنِي بتَهاويـلَ مِـنَ الوَهْـمِ حَبيبَـهْ

أيُّهـا الحُلْمُ الـذي طَهَّرَ نَفْسِـي بالعذابِ الحُلْـوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والـذي أفْعَـمَ بالآمَالِ كَأْسِـي وحَبَانِـي بعدَ رُشْـدِي بالغُرورْ!

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي رَدَّ عَليَّـا نَزَقَ الطِّفْـلِ وأهْـواءَ الغُلامْ[2]
والـذي نَـدَّى بِدَمْعِـي مُقْلَتَيّـا وعلـى إثْـرِ بُكَائِي الابتسَـامْ!

أيُّهـا الحُلْـمُ الذي جَسَّـمَ وَهْمي فإذَا الأوْهَـامُ في الدُّنيـا حَقيقَهْ
تَتَجلَّـى في أحَاسِيسِـي وَهَمِّـي صِلـةٌ بالـرُّوحِ والجسْـمِ وَثيقَةْ

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي أطْلَعَهـا في حَيَاتِـي مِثْلَمَـا تَطْلُـعُ نجْمَهْ
وأرَانِيهـا كَمَـا أبْدَعَهـا فِتْنةً تَشْـقَى بهـا الدُّنْيـا وَنِعْمَهْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م

١- أفاويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.

٢- نزق: خَفَّ وطاش.

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي هَيَّـأ لـي أنَّهـا في ذلـك الكـونِ فَريدَهْ
والـذي جَسَّـمَ فيهـا أمَلـي وأمانـيَّ اللَّهيفَـاتِ الشَّـريدَهْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي ظَلَّلَهـا في خَيالـي بِأعَاجيـبِ الظِّـلالْ
فبـدتْ حُوريَّـةً جَلَّلَهَـا ألَـقُ الطُّهْـرِ وإشْـرَاقُ الجَمَالْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي صَوَّرَهَـا كُلَّ يـوم صُـورَةً منْهـا طَريفَهْ
كلُّهـا تَبْـدُو – ومَـا أكْثرَها – عَذْبَـةً جَذَّابَـةَ اللَّمْحِ شَـفيفهْ
أيُّهـا الحُلْمُ الـذي جَمَّـلَ عِنْدي كلَّ ماعَـنَّ لَهـا مِنْ نَـزَواتْ!
والذي عَلَّـقَ وِجْدَانـي وَجَهْدِي بالـذي يَبْـدُو لها منْ بَـدَواتْ!
أيّهـا الحُلْـمُ الـذي أوْقَدَهـا شُـعْلَةً هَوْجَـاء تَذْكُـو في دَمي
كلّمـا تَلْمَـسُ كَفِّـى يَدهَـا تَلْمَـسُ النَّشْـوةُ قَلْبـي وفَمي!
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي كانَ وكَانْ أينَ نَحْنُ الآنَ مِـن هذا الزَّمَانْ؟
أيْـنَ أنْـتَ الآنَ يَـا سِـرَّ حَياتِي أينَ أنْـتَ الآنَ يَا مَعْنَى وُجُودي!
أينَ يَـا وَحْيَ نَشِـيدِي وصَلاتِي؟ أيْـنَ؟ في وَادٍ مِـنَ الصَّمْت بَعيد
بيننَـا وَادٍ مِـنَ البُعْـدِ سَـحيقْ بَيْنَمـا أنْـتَ هُنَا مِـلءُ فُؤادي
كَإلـه حَوْلَـه الصَّمْـتُ العَميقْ وهُـو في كلِّ شُـعُورٍ وفُـؤَاد
لِـمَ يَـا حُلْـمُ قَـدْ أيْقَظْتَنـي فإذَا الصَّحْو خَـواءٌ[43] في خَواءْ
لِـمَ يَـا حُلْـمُ قَـد فَارَقْتَنـي فـإذَا الكَـونُ هَبَـاءٌ فـي هَبَاءْ
أيُّهـا الحُلْمُ تُـرى كُنْـتَ خِدَاعاً إيـه مَـا أصْدَقَه هَـذَا الخِدَاعْ!
أيُّهـا الحُلْمُ الـذي فَـاتَ وَدَاعاً ما الـذي نَمْلِكُه غَيرَ الـوَدَاعْ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أقْلاك أقْــلاك كالشــيطان أقْلاك أقْلاك كالسُّم يَسْري جَدِّ فَتّاك[1]

أقْــلاك: إنَّك في نَفْســي وفي زَمَني وفي حياتــي أفَعْى ذَاتُ أشْــواك

سَمّمْت عَيْشــي وأحْلاَمي وَأخيلَتي وأنت شــيطانة في سمــت أملاك

وعشْــتُ أرْعَاك في قَلْبي وأنْت بلا قلب يُحــسُّ ويَرْعَى كيفَ أرْعَاك

مَنْ أنتِ؟ مَا أنــتِ؟ إنّي حَائرٌ قَلقٌ أأنْت أُسْــطُورةٌ في سِفْرِ أفّاك؟[2]

* * *

أنْسَــى اللَّيالي الــتي قَضيَّتُها قَلقاً وأنــت سَــاكِنَةٌ رَاض مُحَيّــاك

أنْسَــى الدُّمُوعَ التي أرسلتُها غَدقاً ولســتُ لولا هَواك المُرُّ بالبَاكي

وكِبْريائي التي مَــا كُنْتُ أخْفضُهَا منْ قبلُ أو بَعــدُ في دُنْيَاي لَولاَك

أنْسَــى. وأذْكُرُ أحْلاَمي وأخْيلَتي كَأنَّهُــن نجــومٌ بــينَ أحْــلاَك

وكلُّهُن نَســيجُ الوَهْــمِ في خَلَدي ولَسْــنَ غــيرَ أحابيلٍ وأشْــواك

* * *

أقْــلاك؟ لَيْتَ! فإني لَسْــتُ أقلاك أهواك؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْــتُ أهْواك

أهــوَى وأقْلَــى وأيامِــي مُوزَّعَةٌ بينَ الهوى والقِلى كالضَّاحك البَاكي

هذا الرّحيقُ وهذا السُّــمُّ قد مُزِجَا ولســتُ أرْوَى بكأسٍ غَــيرَ رَيَّاك

هَاتي لِيَ السُّـــمَّ صِرْفاً لا يُمَازجُه هذا الرحيقُ فإنّي لســتُ بالشّاكي

مَللتُ كَأسَــكِ لا ألتذّ نَشْــوَتَها ولا أُحطِّمُهــا تَحْطِيــمَ سَــفّاك

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.

١- أقلاك: أكرهك.

٢- أفاك: الكذاب، المفتري.

وحي لقاء*

هَــذَا اللِّقَــاء كَأَنَّــه ذِكْــرَى مَكْنُونَــةٌ في عالَــم النَّفْــس
وكأنَّــه وَهْــمٌ أُجَسِّــمُه لا حَــادِثٌ في عَالَــم الحِــسِّ

* * *

هَــذا اللِّقَــاءُ الخَاطِــفُ الوَاجِفْ وَتَلَفُّــفُ الأنْظَــارِ في حَــذَرِ
كثُمالَــةُ الأحْــلامِ، كالذِّكْــرَى في رِعْشَــةِ اللفتَــاتِ والصُّــورِ

* * *

أُخْتَــاه. وَاعجبــاً لَنــا! عُدْنَــا في هــذه الدُّنْيَــا غَريبَيْــنِ
عُدْنَــا إِذا مَــا خِلْسَــةٌ سَــنَحَتْ نَمْضِــي علــى حَــذَرٍ كَلِصيَّنِ!

* * *

أَلقَــاك مِثْــلَ الطيــفِ عَابِــرَةً وكأنَّ مَــا قَــدْ كَانَ مَــا كَانَــا
وكأنَّمَــا الأيــامُ مــا شَــعَرَتْ أَنَّــا عَمَرْنَــا قَــطُّ دُنْيانَــا!

* * *

وتُفَكِّريــنَ كَأنَّمَــا افْتَرَقَــتْ مــن مَطْلَــعِ الدُّنيــا طَرِيقَانَــا
وتذكِّريــنَ كأنّمــا اجْتَمَعَــتْ في خَاطِــرِ الأيــامِ ذِكْرَانَــا!

* * *

مــا أنــتِ؟ إني لَــمْ أجِــدْ أبداً أني كَشَــفتُك قَــطُّ في النُّــورِ
مــا أنــتِ إلا فكــرةٌ شَــرِدَتْ مــا أنــتِ إلا طيــفُ مذعورِ!

* * *

وشَــقيَّةُ الخُطُــواتِ عَاثِــرةٌ في حَيْثُمــا اتَّجَهَــتْ لمَأْمُــولِ
وكأنّمــا تَمْضِــي مُرَوَّعَــةً وضميرُهــا يُضْفِــيَ لِمَجْهُــولِ!

---

* نشرت في حزيران (يونيو)١٩٤٤.

حلم الفجر*

عَجَبــاً! أنْتِ مَــا تَزالِــينَ حُلْمي وَمِثالــي وَفِكْرَتــي ونَشــيدي
مَــا تَزالِــينَ في خَيالــي رَمْــزاً لِرَجَــاء مُنَــوَّرٍ مِــنْ بَعيــد
مَــا تزالِــينَ حَافِــزاً لِجُهــودي مَــا تزالِــينَ غايــةً لوجــودي
أَتَحاشَــاكِ بالجَفَــاءِ وبالبَــأ سِ فأرتَدُّ سَــاخِراً مِــنْ جُهُودِى
أَتَحاشَــاكِ كالجحيــمِ وكالسُّــمّ ولكن إليــكِ يُفْضي شُــرودي

* * *

عَجَبــاً! تَرْكُــدُ الحَيَاةُ فَأنْسَــاكِ قليــلاً في غَمْرَتــي ورُكُــودي
فــإذا دَبَّــتْ الحيــاةُ تَــراءَى كطيــفٍ مُســتَيْقظٍ مِــنْ هُجُود
وتَــراءتْ تَــرِقُّ حَولَــك أَطْيَافٌ لِمَــا كَانَ بَينَنَــا مِــنْ عُهــود
كلّ مالا مســت يــداكِ ومامـــــس هوانا مــن قيــمٌ وزهيد
أتمــلاّهُ بالخيــال وبالحْـــــس كهــاوٍ من عــالَمٍ موعود

* * *

عجبــاً! بعــدَ كلِّ مَــا كَانَ مِنَّا مِــنْ صِــراعٍ دَامٍ وجُهــدٍ جَهَيدِ
أتَمَنَّــاكِ في المَنَــام وفي الصَّحْـــو تَمنّــىَ العَقيم وَجْــهَ الوليد
وإذَا ســرْتُ في الزِّحَــامِ فَعَيْني لخيــالٍ مُسْتَشْــرِفٍ مِــنْ بَعيــد!
لهفــةٌ تَمْــلأ الحَنَايــا حَنينــاً لرجــاءٍ مُجَسَّــمٍ مَفْقُــود
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ في صَحْوةِ الفجـــر فَأنّــى[٤٥] لِحُلْمِنَــا من مُعيد

* * *

---

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤.

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قد مَضَى المَاضي جميعاً ومَضَيْنَا
انتهينَا لم نَعُدْ نَسأَلُ أَيَّانَ وأيْنا؟!
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلام والأوْهَام عَيْنَا
انْطَوى الحُلْمُ الذي لاَحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدَّهْرِ تَمشَّتْ تُسْبِلُ السِّتْرَ عَلَينا

* * *

اضْربي في زَحْمَةِ الأرضِ على غيرِ طَريقي
فكرةً ضَلَّتْ وحُلْماً يَتَوارَى عَن مُفيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيقِ
وهَوىً يَخْسرهُ الفَنُّ، على عَينِ الصَّديقِ
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأنَا المَكْدُودُ فَلْيُلْقِ إلى الأرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَدِ أن تَسْكُنَ في الأرضِ خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لا تَهْتِفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمِضَ لا تُوقِظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ في النَّفْس عَيَانَا
ومَضَينا في طريقِ الوَهْم تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدِمُ الأيامُ مَا نَبْني فَتَبْنيه رُؤانَا!
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمينا فَتَمْضي قَدَمَانا
تتبعَ الوَهْمَ الذي صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جنَانَا

* * *

يَا لهذا الحُلْم والأيامُ تَمضي والليَالِي
عَابثَاتٌ بالأَماني وهو يَمْضي لا يُبَالِي
يَغْلِبُ الوَاقِعَ في الأرضِ بتَحْليق الخَيالِ
ويَرَى خَلْفَ الرَّوَابي والصَحَارَى طيفَ آلِ[1]
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظِّلالِ

* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضي وَالأَمَاني وَالزَّمَان
وانْتَهَيْنا. وصَحَا بَعْد الأوَان الحالمان
عَجَباً. قد كان حُلماً. لَيْتَ شعْري كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلم وحُلْمِي كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان

* * *

١- الآل: السراب



وادعاً كالزَّهر حيَّاه النَّسيمْ
ساهياً كالصَّمْت في ظلِّ الوُجُومْ
حَالماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بينَ أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

وردة ذابلة*

قـــد تولّــتْ وَذَوَتْ نُضْرتُهـــا وبـــدت كالميّـــتِ المُحْتَضـــرِ
تَفْتَـــحُ الأجفـــانَ أو تَغْمِضُهـــا فتحـــةَ الضَّعْـــفِ وغَمْـــضَ الخَوَرِ
وشَـــذَاهَا لَـــم يَـــزَلْ يُفْعِمُـــني فيعيـــدُ الشَّـــجْوَ لي بالذِّكْـــرِ

* * *

العود*

مُحَلِّـــلُ القَلـــبِ أنْغَامـــاً وألْحاناً ومُلْهِـــمُ الوَحْي إِســـراراً وإعلانا
ومُوقِظُ النَّفْسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِـــنَةٌ وأَنْـــتَ تَهْمِسُ بَالأنْغَام وَسْـــنَانا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو في معارِجِها[٤٦] وتطـــرقُ العالَم العُلْـــوِيَّ أحْياناً
وباعثُ الذِّكَرِ اللائي إِذا اشتجرتْ أَثَرْنَ في النَّفْسِ آلاماً وأشْـــجاناً
وواهـــبُ الحِسّ لُطْفـــاً في مَدَارِكِه ومُوحِي الشِّـــعرِ إِحْساساً وأوْزاناً
أسَـــلْتَ نَفْســـي بالألحانِ تُنْشِدُها إنشادَ ذي شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْناناً[١]
كأنَّ ألْحانَـــك اللائـــي تُرَدِّدُهـــا أطيافُ ذِكْرى؛ توارتْ؛ تَرْجِعُ الآنا
كأنّهـــا هَمْـــسُ جِـــنٍّ أو ملائكةٍ أســـرَّ عن عالِمِ الإنســـانِ كِتمانا

---

*نشرت عام ١٩٢٥

* نشرت عام ١٩٢٧.

١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تسـيلُ في النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ   وإنَّ للنفـسِ مِثْلَ الجسـمِ آذانَا

وتسـتحثُّ خَيـالاً كان في دَعَـةٍ   فيذرِعُ الكـونَ آفاقـاً وأزماناً

وتملأُ النفـسَ باطمئنانِهـا ثِقَةً   وتغمـرُ القلبَ إخْلاصـاً وإيمانا

* * *

حديـثُ أيِّ فـؤادٍ أنـتَ تَذْكُرُه   أَبَاسِـمٌ فَـرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَـا

وأيُّ وَحْـي لَنـا تَرْوِي رسَـالتَه   فيؤمِـنُ الناسُ أفْـكاراً وَوِجْدَاناَ

عَنِ القُلـوبِ جميعاً أنـتَ تُخْبِرُنَا   عنِ الأنَاسِـيِّ ما خَصَّصتَ إنساناً

عـن الحيـاةِ ومـا فِيهـا تحدثُنا   فكلُّنـا مُؤمِـنٌ يـزدادُ إيقانَا[1]

عن الطبيعـةِ تَروِى وهـي تُلْهِمُنَا   هذا الحديثَ، فمـا نَحْتَاجُ بُرْهَانَا

* * *

١- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر*
أو
صورة صادقة

كانَ الأمــسِ، وبالأمسِ القريبْ   يَتَــراءى كالأمانــي هَــا هُنــا
هائماً كالــرُّوحِ يغــدُو وَيئُوبْ   والرجــاءُ العَــذْبُ في وَادِي المُنــا
وَادِعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهِيا كالصمتِ في ظِلّ الوُجُومْ[١]
حَالِما يصحُو قليلاً ويَهِيمْ
بين أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهــرةٌ قــد كَادَ يَعْرُوهــا الذُّبُولْ   ثم حَيَّتْهــا تباشــيرُ الربيــع[٢]
فهــي تَرْنُو بــين صَحــوٍ وذُهولْ   مثلما تحْتــارُ في العــينِ الدُّمُوعْ
وهو لَحْنُ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه في تضاعيفِ الضيّاءْ
فَوَعَاه كلُّ ذِي حِسٍّ بَراءْ
وشعورٌ كالنسيمْ
في الحَنَانِ والنقاءْ

* * *

دُميــةٌ تُوحِي بأشــتاتِ المَعَانِي   وهي سَكْرَى في حَمى الصمتِ العميقْ

هادئـــاتٍ مثْلَ أطيــافِ الأماني   ســامياتِ الوَحْي كالعطفِ الرَّفِيقْ

وهو مَا أدْرِي مَلاكٌ أمْ بَشَرْ؟

فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ

وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ

والأناسِيُّ لِئامْ

مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمــسِ ولَكن قــد تولّى   ذلــك الأمْــسُ فَخــلاّني وغَــابْ

وإذَا بِــي مُوحِــشٌ لا أتَسَــلَّى   والخصيبُ النَّضْــرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ

أذكر الساعات ومضاً ينقضين[1]

ثم يَعْرُوني لِذاكَرَاها الحنينْ

فيهيجُ الوجدُ والشَّوقُ الدَّفِينْ

إيه ساعاتِ الأماني

أتُرى قَدْ تَرجعينْ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأ الليلُ وهَاجتْ بِيَ الشَّجُونُ   وصَحَــا جَفْنِي لَدى غَفْــوِ الجفُونْ

وتــوارتْ ضَجَّــةُ العَالَــمِ في   هَــدْأةِ الليلِ يُغَشِّــيها السُّــكُونْ

حَنَّتْ. الــوُرْقُ فلمَّــا هَجَعَتْ   بَعــدَ لأي هَيجَتْ عنْــدِي الحنينْ[1]

ذكريــاتٌ مَــا لَهــا تَتْبعُــني   حيثمــا سِــرْتُ وأيــانَ أكُــونْ

صُــورٌ شــتى إذا مــا عَرِضَتْ   صَــوَّرَتْ لي واضحاً طيفَ الســنينْ

وأرَتْنِــي كيفَ يمضِــي العُمْرُ لا   يشــعرُ المــرءُ بــه حــتى يَحِــينْ

يَتقضَّــى العُمْــرُ في أحلامِنــا   وإذا نَصْحُــو صَحَتْ غُــولُ المَنُونْ

وأرتْنِــي شَــبَحاً مِــنْ عَــدمٍ   يتبــعُ الأحيــاءَ أنّــى يَنزِلُــونْ

يَبْلَــغُ المَاضِــي مِــنْ آثارِهــم   فَاغِــراً فَــاهُ لِمَــا يَسْــتَقْبِلونْ

* * *

إيِــه يــا ليــلُ أرانِــي مُغْرَمــاً   بحديــثٍ منْكَ يُشْــجِي السَّــامعينْ

هــاتِ مــا عِنْــدَكَ لا تبخلْ به   بلســانِ الصَّمْــتِ والوَحْــيِ المُبينْ

أوْحِ للأنْفُــسِ مــا حُمِّلْتَــه   مــن جــلالٍ وخُشُــوعٍ ويَقــينْ

هــاتِ يا ليــلُ أحَاديــثَ الهوى   واتلُ يــا ليلُ شُــجُونَ العاشِــقينْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨

١- الوُرق: جمع الورقاء: الحمامة.

وادَّخــرْ فيــك صَــدى أنَّاتِهم   لا تُضِــعْ يــا ليــلُ أصْــدَاءَ الأنينْ

إنَّهــا ذوبُ قلــوبٍ فُطِــرَتْ   ونفــوسٌ داميــاتٌ وعُيــونْ

كَم ســلاماً فيــك قــد حُمِّلْتَه   من مُحــبٍّ وامقِ القلــبِ حَزينْ[1]

رُبَّ سِــرٍّ غامــضٍ أُودِعْتَــه   في حَنايــا الصَّــدْرِ مَخْبــوءٌ دفينْ

ضَاقَ صدْرُ الصَّــبِّ عن كتمانه   فــأراكَ السِّــرَّ دون العالمــينْ

* * *

مُــرْ يا ليــلُ فقــد أشْــجَيتَني   عَلَّ في الصبُّحِ هدوءاً أو سُــكونْ

إنّ لي فِيــَك لَشَــجْواً وأسَــىً   ومُنَاجَــاةً وشَــكوى وحنــينْ

عبَثــاً أنْجُو بروحِي مِــنْ حنينِ   هُو أصلُ الوَجْدِ عِنْدي والشُّجُونْ

إنــني أهْــواكَ يــا ليــلُ ولكنْ   أنْتَ بالإشــفاقِ والعطــفِ ضَنينْ

تبعثُ الأشــجانُ مِــنْ مَكْمَنِها   رحمــةً يــا ليــلُ بالمســتيقظينْ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس*

نَسَــمَاتٌ زَفَّهَــا الفجــرُ الوليدُ   بعد ما جَــاشَ بها صَــدْرُ الحَياةْ
ناعمــاً مِثْــلَ أنفــاسِ الــورود   بَلّــلَ الطــلُّ شَــذّاها بِنَــداهْ

* * *

كانت الدُّنيا يُغَشّــيها الســكونُ   وظــلامُ الليــلِ والنــومُ العَميق
طِفْلــةٌ قد ضمَّهــا الليــلُ الحَنونُ   ضَمَّــةَ الرحمــةِ كالأمِّ الشَّــفُوقْ

* * *

وتــراءى الصُّبْحُ في سَــمتٍ بديعٍ   فــإذا الطِفْلةُ تَصْحُو من سُــبَات
تُرْسِــلُ الأنفــاسَ في رِفْــقٍ وديعٍ   وإذا الأنفــاسُ تلك النَّسَــمَات

* * *

وإذا الزهــرُ يُحَــيِّ في ابتســامٍ   ذلك الصبــحَ ويرنُــو في هُدوء
كابتســامِ الطفلِ في عهــدِ الفِطامِ   حينمــا يَحْلُــمُ بالشَّــدْي المَليء

* * *

وإذا الطــيرُ وقَــد رَانَ النُّعــاسُ   فــوقَ عينيــهِ تَنَــزَّي فَصَحَــا
يرمــق النــورَ همــسٍ واختلاسِ   فَيُحَيِّيــه طَرُوبــاً مَرِحَــا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُــدْفِ الظلامِ   مثلمــا يَبْسَــمُ للغَانِــي الأمل[1]
يَلْثُــمُ الكــونَ ببشــرٍ وابتســامٍ   ويُحييــه برفــقٍ في القُبَــل

* * *

١- سدف: سواد

وتــرى الأنفــسَ في هــذا الحَنانِ   سَــاكِنات بينَ أحضـــانِ الطَّبيعَه
ســاهياتٍ رَاضيـــاتٍ في أمـــانٍ   تُرْسِــلُ الطرْفَ بِنَظَــراتٍ وَديعه

* * *

عَالِمـــاتٍ في كَراهـــا يَقظَـــاتِ!   ســابحاتٍ في التَّعلاَّتِ الوِضَاءْ[1]
تُنْشِــدُ الآمالَ عَــذْبَ الأغْنياتِ   بينَ سَــمْعيها ويحدُوهــا الرَّجَاءْ

* * *

فتــرةٌ في مَطْلِــع الفجــر تَمــرّ   هي حُلْــمٌ مثــلَ أيــامِ الطُّفُولَه
فــإذا مَــرَّتْ فجــوٌّ مُكْفَهِــرٌّ   هــو في الطِّفْل شَــبابٌ وكُهُولَه

* * *

ليتني عِشْـــتُ بأحضَـــانِ الصبَّاحِ   أو قضيتُ العُمْرَ أســـتمتعُ طِفْلاَ!
لا ولا هـــذا مـــن الدَّهْـــرِ يُتـــاحُ   لا ولا قـــد عُدتُ أســـتمتعُ كَلاَّ!

* * *

١- كراها: نومها

عبث الجمال*

غَادةٌ مِمراحٌ طروبٌ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح، فعمدتْ إلى جماعة من الطير، اتخذن لَهن عُشَّاً بين أحضان شجرة، تذودُهن عن عشهِن الهادئ في عبث قاسٍ، وكلما عُدْنَ إلى العشِّ، عادتْ هي إلى الذود!

دَعِيهـــا تُغَـــرِّدْ لَحنهـــا وتُرَجِّــعْ وتمرحْ ما شـــاءت وتَلهُو وتَرتَع

دَعيهـــا تُنَمِّــقْ للحيـــاةِ تحيـــةً وتبعثُهـــا لحنـــاً يَلَـــذُ ويُمْتِــع

دَعيهـــا تُعَبِّــرْ عن مَشـــوقٍ مُتيمٍ تَلِجُّ به الذِّكرى؛ فيهفُو ويَنْزَع(١)

دَعيهـــا فَفي ألحانِهـــا، الحبُّ نَاطقٌ ومن وَحْيه تَشـــدُو مَليًّا وتَسْجَع

دَعيهـــا فقــدْ رَوَّعْتِهـــا وتَرَكْتِها مُشـــتَّتةً حَيْـــرى تُطِـــلُّ وتَرجِعُ

* * *

عزيـــزٌ عليها عُشُّـــها دَرَجَـــتْ بِهِ فِراخـــاً نَحيـــلاتٍ تَهُـــمُّ فَتَقْعُدُ

يُطالِعُهـــا رُوحُ الربيـــعِ فتَنْتَشِـــي ويَدْهَمُهـــا قَـــرُّ الشِّـــتاء فَتَجْمُدُ

وتَنْشَـــقُ أنفـــاسَ الصبّـــاحِ نَديةً فَتَنْدَى؛ ويَحْدُوها الرَّجَاءُ فَتَسْعَدُ

وظَلَّلَها في عشِّـــها الحـــبُّ حَانياً عَلَيهـــا قويًّـــاً مُنْعِشـــاً يَتَجَـــدَّدْ

* * *

فَـــكانَ لهـــا زاداً إذا قَـــلَّ زَادُها ورَوحـــاً وريْحَاناً ولَحنـــاً يُردَّدْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٩

١- تلج: ألحَّ عليه.

ويَا طالَمــا غَنَّتْ ويا طالمــا بَكَتْ سُروراً بقربٍ أو حَنيناً إلى ذِكْرى

ويا طالَمــا ارتاعتْ لِخَطْبٍ مُداهِمٍ فكانَ لها مَنْجَى وكَانَ لَها سِتْراً(٥)

وكَم ليلةٍ مَرّتْ وكَم أَشْرَقَ الضُّحى وكم أمّلَتْ خيراً؛ وكَم حَذَّرَتْ شَرّاً

دَعيهــا. بمهــدِ الذكريــاتِ أمينةً تَطيفُ بها كالومضِ مُسْرِعَةً تَتْرَى(٦)

دَعيها أجَــلْ لا تَعْبَثِي بشــعورِها ولا تَحْرِميها خيرَ ما حَفِظتْ ذُخْرَا

* * *

وإن لا يكنْ بُدٌّ مــن اللهوِ فاعبثِي بألبابِنــا لا بالطيــورِ الهَوائم!(٧)

وَهَبْتُكَ إحسَاسِي فما شئتِ فاصنعِي أميـنــاً لعهدِي مُخْلِصاً غــيرَ نَادمِ

وقَاكِ الجمالُ السَّــمْحُ كلَّ مَلامَةٍ وعَتْبٍ فَلا تَخْشَــى مَقالةَ لائم(٨)

ولكنَّهــا الأطيــارُ تَلْهُــو بريئــةً فما بالهــا تُدْهَــى بِفَعْلَــةِ ظَالمِ!؟

دَعيها – فَدَتْكِ النفسُ – لا تعبثِي بها فمــا كان أَوْلاَها بِرَحْمَــةِ رَاحِمِ!

* * *

يوم خريف*

وَقفَ الكونُ شَاخِصاً في سُكونٍ وتَراءى لِخَاطِري كالحزينِ

وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ فتبدُو كبَاهتاتِ الظُّنُونْ

وكأنَّ الزّمانَ سَاوَرَه الحُزْنُ فأغْفى إغفاءةَ المُسْتَكِينِ[1]

وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السَّيرُ فناءتْ بحمْلِ عبْءِ القُرونِ

وكأنّ الأقدارَ أرْخَتْ يَدَيْها وتَراختْ عَنْ صَرْفِها للشؤون

* * *

وقفَ الكونُ سَاهماً ليس يَدْري أينَ يَمْضِي؛ وأينَ لَو شَاءَ يَمْضِي

طَالَما دَارَ بالأنامِ ودَارُوا بينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ

ثم ماذَا؟ تَساءَل الكونُ: ماذَا؟ أحياةٌ ما بينَ غَزْلٍ ونَقْضِ

أيّما غَايةٍ نَؤمُ إليها أيُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سَأقْضِ

تَعَبٌ ضَائِعٌ وجُهْدٌ غَبِينٌ ومَصيرٌ مُقَنَّعٌ ليسَ يُرْضِي

* * *

وسَرى اليأسُ والخُمولُ إليه فتَرَاخى في سَيْرِه كالبليدِ

وتَمَشى الهُمُودُ في كلِّ شيءٍ مِشيةَ الدَّاءِ بالأسى والكُنُود[2]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- ساروه: واثبه

٢- الهمود: السكون.

فـإذا الـدَّوحُ في وجُـومٍ كئيبٍ   وإذا الطـيرُ في ذُهُـولٍ شَـريد

وإذا الزَهْـرُ في الريـاضِ أسـيفٌ   كصغـارِ الأيتـامِ في يـومِ عيد

وإذا بالزمـانِ يعطُـو كَسـيحاً   كأسـيرٍ يُسـاقُ نِضْـو القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّـماءَ والأرضَ، مَرْضَى   بَرِمَـاتٌ بِثقلـةِ العُـوَّادِ![1]

وترى السُّـحب في السماءِ تغشّى   ناظرَيهـا كَصَفْحَـةٍ مِـنْ رَمَادِ

وتَرى الأرضَ كالكظيم مِنَ الحُزْنِ   ثَكُـولا تَسْـربَلَتْ بالحـدادِ

والفَنَـاءُ المريـضُ، طـافَ عليها   طائـفٌ مِنْـه في ثَنَايـا الرُّقَـادِ

كلُّ شَـيءٍ يرنُـو إلى كلِّ شـيءٍ!   كسـجينٍ يَرْنُـو إلى الجَـلاَّدِ

* * *

مَأتَـمٌ صَامـتٌ يُهـوِّمُ فيـه   شَـبَحُ اليأسِ والقُنُـوطِ العَقيمِ

ليـسَ مـوتٌ وليـسَ ثَـمَّ حَياةٌ   كُلُّ شـيءٍ في صمته كالسَّـقِيمِ

والوُجُـومُ الـذي يُغشِّـى عليها   كاسِـفَ البالِ مُمْعِنٌ في الوُجومِ!

وخُفُـوقُ الأرواح أبْطَـأ نَبْضـاً   كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّدِيمِ[2]

أسْـبَلَتْ عَينَهـا الحيـاةُ سَـآما   واسْـتَنَامتْ لليأسِ والتسـليمِ!

* * *

١- العوّاد: مفردها عائد: زائر المريض.

٢- السديم:الضباب الرقيق

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تتنزى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتنزى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَّــمَ الدَّهْــرُ قُــواه فــا نْحَطَمَ ... وتــنَزّي الــداءُ فيــه والألم

ودَوّتْ مــن فيــه تَعــوِي صَرْخَةٌ ... تَتَلَــوّي فيــه حــتى تَحْتَــدِمْ

صَرْخَــةُ الجبــارِ يَشــكُو مُرْغَماً ... ذِلَّةَ الشّــكْوَى وإهوانَ الرَّغَمْ [1]

يَشْــتكى العجــزَ ومــا يُؤلِمــهُ ... فيــه إلا كَبْــحُ نفــسٍ تَضطرم

يَشْــتكى العجــزَ الــذي أقعدَه ... عَنْ صراعــاتٍ وهــولٍ يُقْتَحَمْ

تســمعُ القــوةَ في صَرْخَتِــه ... مِــن وَراءِ العجزِ تَــدْوِي فَتُصِمْ

ويَهــمُّ البــأسُ في أشــلائِه ... ناهضــاً ؛ لكنما العجــزُ جَثَــم

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١ – الرَّغم:الإلجاء.

أَيُّ معنى تَحتوِي صَرْخَتهُ ؟ أَيُّ ماضٍ في ثَنَاياها ارْتَسَمْ

هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به في عِنَادٍ شامخٍ حتى انحطم

هو ماضٍ غَامضُ تَكْنُفُه جَلْجَلاتٌ، وهَزيمٌ؛ ورُجَمْ[1]

هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِمٌ لا يهابُ الموتَ فيما يَعْتَزِمْ

هو ماضٍ! أَيُّ ماضٍ ؟ يا لَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأَصَمْ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

ناحت الصخر
أو
«الفاعل»*

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَـاءُ صَمّاءُ تُعْوِلُ أَقَضَّ بها النُّوَامَ في الفجرِ مِعْوَلُ؟[٢]

لذلكم الصَّخَّـارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ ولمّا يَـزَلْ لليلِ في الصبُّـحِ مَدْخَلُ

أَكَبَّ علـى تحطيمِـه وانتحاتِه كَراجٍ له في ذلـك الصَّلْدِ مَأمَلُ[٣]

يُطَوِّحُ في عُـرْضِ الفَضَاءِ ذِرَاعَه ويهوِي على الصَّمَّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ

ولكنّهـا تَلْقَـاه صَمّاءَ لَـمْ تَلِنْ وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ

يـدورُ حَواليَهـا لِيُـدْرِكَ مَقْتَلاً وهَيهـاتَ في الصُّلدِ الأصمَّاءُ مَقْتَلُ

ويَغْمِزُهـا غَمْزَ الخبـيرِ ويَنْثَني يحـاولُ مَـا أعيـاه، لا يَتَحَـوَّلُ

وقد جَـاشَ في أعضائِه كلُّ نَابضٍ وسَـالَ دَمٌ في صورةِ المـاءِ يَهْطِلُ!

وحـينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعـدَ طَرْقَةٍ تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَا كانَ يَصْمَلُ[٤]

فَأرخي ذِراعَيْه، وأسْـنَدَ جِسْمه إلى مِعْـوَلٍ؛ نَضّاه للكـدحِ مِعْوَلُ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٤.

١- الفاعِل: كلمة متداولة تعني (العامل)

٢- تُعوِل: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

٣- الصّلد: اللب الأملس الشديد.

٤- يصمل: ما يكون ضخماً صُلباً.

تَســـيلُ جُهـــودٌ أو دِمَـــاءٌ نَقيةٌ   لِيُنْصَـــبَ تِمْثَـــالٌ ؛ ويُرْفَـــعَ مَنْزِلُ

وما نَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقَيِّ   وليـــسَ له في ذلك القصـــرِ مَوْئِلُ!

ولكن قُصـــارَاه شَـــرابٌ ولُقْمَةٌ   ومَأمَلُـــه في ذلك الصَّلْـــدِ مأكلُ!

قِفَارٌ كمثلِ الصَّخْرِ أســـودَ كالحٍ   وأفراخُه كُثْـــرٌ؛ وأَنْثَـــاه مُطْفِلُ[1]

فـــإن كانَ إكليـــلٌ فهـــذا جَبينُه   وَإنْ كانَ تمثـــالٌ فهـــذا المُمَثَّـــلُ

ويا رحمةَ الإنسانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي   أمامَ بني الإنســـانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أثناه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهو يَمْضِي إلى مَدَاه البَعيدْ

ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نَشيداً، فيَا لَه مِنْ نَشيدْ!

يَنْظِمُ السّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ، ويَشْدُو بكلِّ هَذَا القَصيدْ

منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَديمٍ جَديدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَا نِيلُ سَعيدٌ بِحُلمِكَ المَعْهُودْ

يَنْبُتُ الزَّهرُ في خُطَاكَ بَهِيجاً ذاك حُلْمٌ تَأويلُه في الوُرُودْ

* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٨.

وداع الشاطئ
من الفردوس إلى الجحيم*

أُحْلُ يا شَــطُّ ما تَشَــاءُ فإنّي   رَغمَ ســحرِ الجمالِ والمــوجِ رَاحلْ
رَاحِلٌ حَشْــدٌ نفْســه لفَتَاتٌ   ليــسَ عــن فتنــةِ الجمــالِ بغَافلْ
قــدْ دَعَتْــهُ إلى الرّحيــلِ دِيارٌ   في صَميــمِ الجحيمِ تُدْعي الشَّــواغلْ
هي قبرُ الآمــالِ والفنِّ والحبِّــ   ــب وقَيدٌ عن كلِّ ما شــاقَ شَاغلْ
وهي دَارى التي دَرَجْتُ عليها   وإليهــا المــآبُ مَهْمــا أُحــاوِل !

* * *

أُحْلُ يا شــطُّ بالجمــالِ طَليقاً   مــن قُيودِ الزمــانِ نَشْــوانَ واهلْ
أَسْــكَرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزجّي   دَفَعــاتِ الحيــاةِ في كلِّ نــازلْ
فــيرَى نفْسَــهُ خفيفــاً غريراً   قاهــراً قــادراً يجــوزُ الحوائــلْ
دَفَعَاتُ الحياةِ في المَوْجِ أَسْــنَى   مــن بَريقِ الآمــالِ في نفْــسِ آملْ

* * *

أُحْــلُ ياشــطُّ بالعَرائسِ حُوراً   سَــابحاتٍ والمــوجُ ظمــآنُ نَاهــلْ
كانْفتَــالِ الحيتانِ في البحرِ وَثْباً   وانثنــاءِ الغــزْلانِ والشــطُّ ذَاهلْ
فتنــةٌ تَسْــكُبُ الحيــاةُ عليها   ســحْرَها والعيــونُ حُــورٌ قَواتــلْ

* * *

واندفاعُ الأمواجِ يُوقظُ في النَّفْـــ   ـــسِ ظَمــاءً مُرَقْرقــا في الدّخائل
وانطلاقــاً من التَّزمُّــتِ والْعُر   فْ وشَــوْقاً إلى المباهــجِ واغــلْ
أُحْلُ يا شــطَّ لن نُطيــقَ انفلاَتاً   مــن رَحيــلٍ إلى جحيمِ الشَّــواغلْ

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الوادي المقدس*

على ضفاف الخلودْ وفي شعاب الزمنْ
والدهر يحبُو وليدْ قد كان هذا الوطنْ

* * *

يا فجرُ مَنْ ذا رآكْ تجولُ تلكَ السماءْ
وليسَ حَيٌّ سِواكْ تُهدى إليه الضياءْ؟

* * *

رأتْكِ تلكَ الضّفافْ رأتكَ تلك البُرورْ[1]
رأتْك قبلَ المطافْ وأنتَ طفلٌ غريرْ

* * *

وشبْتَ والدّهرُ شَابْ وحنّكتْك الحياةْ
والنيلُ بادي الشبابْ والزهر يَقْفو خُطاهْ

* * *

يَنْسَابُ مثل النَّغَمْ في عَزفِ ناي طروبْ
وكانسيابِ الحُلُمْ تُضْفِي عليه الغيوبْ

* * *

خريرةُ صلواتْ مُعَطَّراتُ النشيدْ
وموجُهُ أغنياتْ مُرتَّلاتُ القصيدْ

* * *

يا نيلُ كم من شراعْ يا نيل كم من سَفينْ
أسْلَمْتَها للوَداعْ على مَدارِ السّنينْ

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٤٤.

١- البرور: مفردها البَرّ(الشاطئ)

يا نيلُ كَمْ من جُموعْ ماجَتْ بتلك الضفافْ
يا نيل كم من زروع وذِي وذي للقطاف

* * *

وأنتَ صنوُ الخلود وفي يديْك الزّمام
وكلّ عَامِ تعودْ مُجدَّدَ الأيام

* * *

تجرى فتجرى الحياة ويُمْرِعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرَحُ القُطْعان

* * *

ويَنشطُ الزرزورْ يجمّع العيدان
لعِشّه المعْمُورْ بفرخه الوَسنان

* * *

أكادُ خلفَ القرون أُحسُّ رِكْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعينْ فيَ موكبٍ للربيع

* * *

قد شَمَّروا للحصاد وخَلّفوا إمشير
في فرحةِ الأولادِ تسابقوا للبكور

* * *

وموكبٌ للرَّواحْ في كلّ يوم يؤوب
يزفّه الفلاحْ على مَدارِ الغروب

* * *

من الحقـولِ المّريعـةِ إلى الحِمـى والدّيـار
تضـمُّ فيـهِ الطَبيعـةْ أبناءَهـا الأبـرارْ

* * *

لُحُونُـه من صيـاحْ ومـن رُغـاءِ النَّعـمْ(١)
ومـن رجيـع النُّبـاحْ ومـن ثُغـاءِ الغنـمْ

* * *

علـى مَـدارِ القـرونْ يسـيرُ فيـه الرُّعـاهْ
كأنهـم خالـدون مـا بُدّلُـوا في الحيـاةْ

* * *

أُحِـبُّ فيـك الخلـودْ يـا أيُّهـا الـوادي
أحـب فيـك الصمـودْ للقاهـرِ العَـادَي

* * *

تَصـبُّ فيـكَ الوفـودْ وأنـت يقظـانُ سـاهرْ
تصوغُهـم مـن جديـدْ كأنمـا أنـتَ سـاحرْ

* * *

يـا مَهبـطَ الأسـرارْ مـن الغيـوب العميقَـةْ
يـا موطـنَ الأسـحارْ مـن القـرونِ السـحيقةْ

* * *

يَـأوي إليـك الزمـانْ خـوف البِلَـى والفَنـاءْ
يـأوَي لحصـن الأمـانْ فيسـتمدُّ البَقـاءْ

* * *

ووجهك الفَتَّانْ بلونه الأسمرْ
يا طالما يَزْدانْ بَزرعك الأخضرْ

* * *

ترنُو له عيناي في فتنة العاشقْ
يا أرضُ يا دنياي يا آيَةَ الخالقْ

* * *

يا أرضُ كَم تَحْلُمين بالزهر أحلامَ شاعرْ
رُؤاكِ طول السنين يا أرَضُ ، تلك الأزاهرْ

* * *

وريحك المعروفْ يشمُّه أَنْفي
فيَ خاطِري مألوف مميز العَرْف

* * *

يا أرض، هذا الصعيدْ مقدسٌ في ضميري
سَرى عليه الجدودْ وأخلدوا للقبَورِ

* * *

يكادُ فَرْطُ الحنينْ إليهمُ فِي شُعوري
يردّهم شاخصين إلى خلف الدهوَرِ

* * *

يا أرضُ سرٌّ دفينْ مُغيَّبُ في ثراك
يَرُدُّنا مُوثقين إليكِ أسرَى هواكِ

* * *

هــذا الثـــرى المنثـــور في صفحـــة الــوادي
عرفتـــه في الضمـــير رفـــات أجـــدادي

* * *

يِـــا أرض. هـــذا النشـــيد مـــن وحيـــك العبقُـــريّ
فاقْضِـــي لـــه بالوجـــود بســـرّك القُدُســـيِّ

* * *

في ليلة من ليالي الربيع*

فِي الجوّ رائحةٌ تُوسْوسُ في الحَنَايا والصُّدُورْ
نَشْوانةً خدرَتْ يُعاودُها التوثُّبُ والفُتُورْ
فَتهيمُ كالشَوق المجنَّح في مَتَاهَات الضَّميرْ
وكأنّ رائحةَ الحياة تَدَبُّ في عَبَقٍ مُثيرْ

* * *

وأحسُّ بالنغمات سَاريةً تَرَقْرَقُ في الدّمَاءْ
كهُتاف مشتاق تولّه لا يكفُّ عَن الدُّعَاءْ
الأرضَ تَفْتنُه ويَرْنُو في ابتهال للسَّمَاءْ!
والصَّمتُ يَغْمُرُه وفي الأحْنَاءِ وسَوْسَةُ الغنَاءْ!

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمَأ المُغَلْغَل للحياهْ
وهَواتفُ الدُّنيا إلى القُبَل المُليحة في الشّفَاهْ
وتَرَقْرُقُ الخُرّقَات في شَغَف يَهيمُ إلى مَدَاهْ[1]
وتطلُّع الصُّوفيّ في شوقٍ إلى ذات الإلَه!

* * *

هو ذا الربيعُ وإنّه لَهوُ الهَواتف والحَنينْ
أبَداً يَهيجُ إلى عَوَالِمَ تائهات لا تَبِينْ
ويُهَدْهدُ الأحلامَ والذِّكرَاتُ شَتّى والفُنُونْ
فإذَا الحياةُ هوىً يَرِفُّ وفتنةٌ وشَجىً دفينْ

* * *

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٤٥

١- الخرقات : نوع من العصافير.

جمال حزين*

أجَلُّ من الحُزْنِ والمأتَمِ   جَمالُكِ. إنْ كُنْتِ لَمْ تَعْلَمي!

وَقدْ دار حولَ الجبينِ الخمارُ   تَشَعْشَعَ°° كالليلِ بالأنْجُمِ!

كما أَرْسَلَ الصبحُ لآلاءَهُ   بَريئاً مِن الصّبْغِ كالعَنْدمِ![1]

وفي شَفتَيْكِ الجَنَي والرَّحيقُ   ولكن طَهُرْتِ فَلَمْ تأثَمي

وكَفَّكِ في الصمتِ حُزنٌ شَفيفُ   سِوى قُبْلةٍ وصْوصَتْ في الفَمِ![2]

وفِتْنَةُ هذا الجَمالِ العَميقِ   وطُهْرٌ نَماكِ إلى مَرْيمِ

* * *

هُو الحِلْمُ بينَ ضِفافِ الجَنانِ   يَرِفُّ على ثَغرِكِ المُلْهِمِ

ويَطْرُقُ عَيْنَيكِ في سَبْحَةٍ   إلى عَالَمٍ شَاعِريٍّ ظَمِي

تَحجّبَ بينَ شِعابِ الغُيوبِ   وأومضَ في قلبِكِ المُفْعَمِ

ضَميري يُحِسُّكِ أُغْرُودةً   على شَفَتيْ خاطِرٍ مُبْهمِ

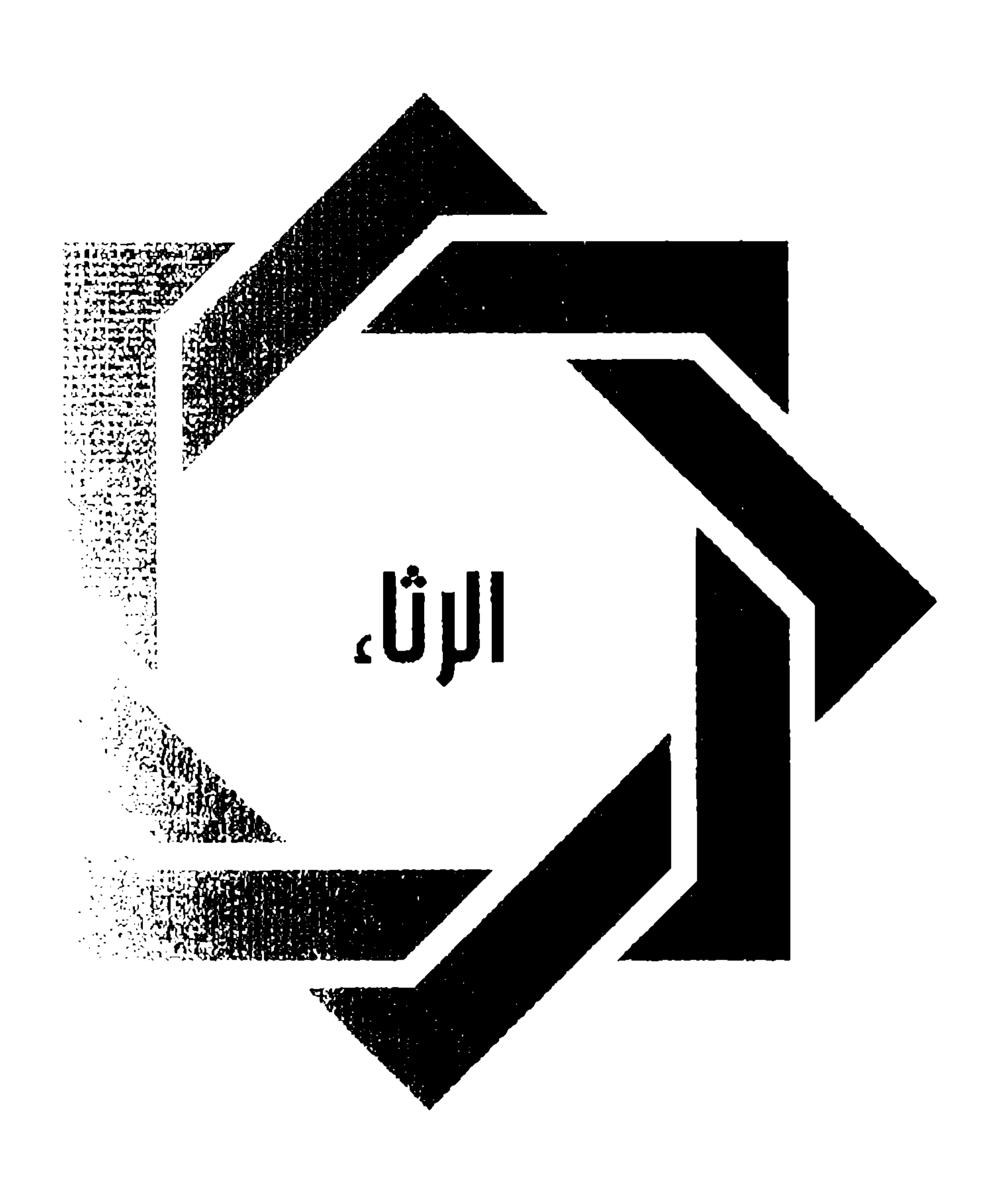
* * *

---

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٤٨.

١- العندم: صبغ تختصب به الفتيات.

٢- وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نقابها فلم يُر منه إلا عيناها ، والمراد به قبلة سريعة خفيفة.



وَدَمُ المختار ما زالَ نديّا

يستحثُّ الخانعينَ الضُّعَفاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيبونَ الدُّعاء

وحي الخلود*

الموتُ مرحلةُ الخلودِ والذِّكْرُ عُمْرٌ لا يَبيدْ
فإذا انتهى أجَلُ العظيم فَذِكْرُه أجلٌ جَديدْ
ماتَ الزعيمُ ولم تزلْ آثارُه تُحْيي الجنودْ
وَمضَى شهيداً طاهراً يا نعْمَ ذَيَّاك الشهيدْ
هو عَلَّمَ الشعب الجِها دُوأيقظَ القومَ الرُّقُودْ
هو كانَ رَوحاً بينَنا يَحيَا فيُحْيي مَنْ يُريدْ
هو كانَ كالأملِ المُضى ء وكانَ كالجدِّ السعيد
هو قد حَبَا الأشبالَ مِنْ عَزَمَاته بأسَ الأسودْ
فإذَا مَضَى الأسدُ الهصو رُ فَخَلْفَه أَسدٌ عَتيدْ
وإذا خَبَا الرأيُ الرَّشيـ ـدُ فَخَلْفَه رأيٌ رشيدْ
يا سعدُ أدْمنتَ الجُهو دُ فحسبُنا تلك الجُهودْ

* * *

نَمْ مطمئناً بعدمَا عَلَّمْتَنا معنى الوجودْ
الشعبُ بعدَك لم يَعُدْ يُثْنيه وَعدٌ أو وَعيدْ

---

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨.

الشــعبُ لا يرضَــى القُيــوَ دُ ولم تنــلْ منــه القُيــودْ

الشــعبُ نَصَّــبَ[٧٥] مصطفــا كَ وكاتمَ السِّــرِ الــودُودْ

وهــو الأمــينُ علــى العهــو دِ فمــا يخُــونَ ومــا يَحيــدْ

يــا أيُّهــا الخَلَــفُ العظيــُ ـــم ويا أخَــا الرأي الســديدْ

الشــعبُ خَلْفَــكَ كُتلــةٌ في مَوقــفِ الهــولِ الشــديدْ

أقْــدِمْ علــى الخَصْــمِ العَنيــ دِ يَحُوطُــكَ الجيــشُ العتيــدْ

مُسْــتَلْهِماً وَحْــيَ الفقيــدِ فإنــه وَحــيُ الخُلــودْ

إنَّ الحيــاة لِمــن صَحَــا ليســتْ لعُشَّــاقِ الهجُــودْ

* * *

الذكرى الخالدة لسعد العظيم*

هــي هذه الذكــرى لثالــثِ عامِ حَثَّــتْ رَكائِبَهــا يــدُ الأيــامِ؟
هي هذه ذكــرى الخُلُــودِ ورَمْزه وشــعارُه الباقي علــى الأعوامِ
ذكــرى البُطولةِ والزمــانُ يَحفُّها بجلالِــه فتجــلُّ في الأفهــامِ
جــاءتْ تُحَدِّثُ في جَــلالٍ رَوْعَةً مَحفُوفــةً بمــرارةِ الآلامِ
بَيْنَــا تُذَكِّــرُ بالحيــاة إذا بهــا تَرْنُــو مُحَدِّثــةً بِطَــرْفٍ دَامِ[1]
مَمزُوجة الألــوانِ تعَصــفِ تَارةً وتعــودُ هَامِســةً بَوحْــي سَــامِ
هي كالخلــودِ المحض غــيرَ محددٍ وهــي اليقــينُ يَبُــضُّ بالأحلامِ
وهي النفــوسُ حَيالَهــا في رَوْعةٍ أخّــاذَةٍ مَســحورةِ الإلْهــامِ
مَشْــدُوهَةً مــا إنْ تَفيــقُ وحولَها زُمَــرٌ مــن الأشــباحِ والإلهــامِ
مغمورةَ الأطرافِ شَــاعِرَةً الحَشَا في غمــزةٍ تَطْغَــى وفيــضٍ طامِ
هي هــذه الذكــرى وذاكَ جَلالُها تَحْنِــي لِرَوْعتِهــا أعــزَّ الهــامِ

* * *

أمْضَــتْ ثلاثــاً كالقــرومِ طويلةً سُــودَ المفارقِ جُلِّلَــتْ بَقَتَامِ[2]
عَصَفَــتْ بمصرَ الحادثــاتُ كأنّها كانــتْ مُهيَّــأةً علــى الأقــدامِ

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠

١- بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسى وحزن.

٢- القتام: الغبار الأسود.

ومَشَــتْ بها هُوجُ الرِّيــاحِ جرِيئةً تَجْــري لغايتهــا بغــيرِ زِمــامِ

وعَلَــتْ بؤوسٌ كــنّ أخفضَ هَامةً وأذلَّ مــن عــيرٍ بــكلِ مَقَــامِ

هم قَد دَعَا دَاعِي الغرورِ فأســرعُوا وهــم ارتضَوْا من دَهْرِهم بِحُطَامِ

ودَعَاهُم الوطنُ الكــريمُ فأعْرَضُوا وتَســلَّلوا للخَصْــمِ غــيرَ كِرَامِ

هدمُــوا من الدســتورِ ركناً قائماً وتعلّلــوا بالــزُّورِ والأوْهَــامِ

وتَصيَّــدُوا للشــعبِ كلَّ مَســبَّةٍ كيــدَ العــدوّ وطعنــةَ الأخْصَامِ

لولا جــلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثَامِهــم مُستَبْشَــعَ الآثَــامِ!

* * *

يا ســعدُ والذكرى تُثِير شــجوننَا وتَهدُّنَــا بالعــزمِ والإقْــدامِ

وتُطِــلُّ روُحُكَ في جــلالٍ صامتٍ يُــزْرِي بــكلِّ إشــارةٍ وكلامِ

يا ســعدُ تُولِيكَ القلوبُ حُشَاشَــةً منْهــا تقــومُ بواجــبِ الإكْرامِ

وتَــزُفُّ أنفــاسَ النَّســيمِ رقيقَةً تَسْــرِى مــزودةً بــكُلِّ سَــلامِ

يا سعدُ شخصُك في القلوبِ مُجَسَّمٌ في كلِّ تِمثــالٍ هنــاك مُقــامِ!

إنّ الــذي يحــيى مَشَــاعَر أُمَّــةٍ تحييــه بــالأرْواحِ لا الأجْســامِ

* * *

يــا أيُّهــا الثَــاوِي وفي تــذكارِه وَحْــي الخلــودِ وآيــةُ الإلْهامِ

اليــوم تُذْكَــرُ والجَــلالُ مُخيِّمٌ والصمتُ يبعث شَــاجِىَ الأنغامِ

وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغَيّبٌ عنا وذكرُك في المشاعرِ نَامِ

إنّا فَقَدْنَا بافتقادكِ طلعةً وبَقِيتَ ذكرى خُلِّدَتْ بِدَوامِ

في كلِّ نَفْسٍ من سَنَاكَ بَقيةٌ وبكلِّ رُوحٍ منك فيضٌ هَامِ[1]

هذا هُو الشعبُ الذي خَلّفَته وسطَ الطريق مُيمماً لأمامِ

هو لا يزالُ مُجاهداً كعهودهِ هو لا يزالُ مُؤيدَ الأعْلامِ

أمّا الألى نَكَثُوا العهودَ فما رَعَوا إلاًّ ولم يَسْتَمْسكُوا بذِمامِ

فهم البُغَاثُ جَليلُهم وحقيرهُم وهُم الذِّئابُ تَفَجُّعٌ في الإجرامِ[2]

يا سعدُ لا تقلقْ لِفَعْلَةِ خارجٍ أنتَ الخبيرُ بهذه الأقْزَامِ!

حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفى يقفُو خُطاكَ فكانَ أخْلصَ حَامِ

قد يَذْهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما تبقى الليوثُ عن العرينِ تُحامِي

* * *

١- هام: غزير.

٢- البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسَام دون أن يثير انتباها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنَكبةَ العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجريء الذي ألّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جُرْأة عجيبة؛ ورجولة كَاملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهق شديد، ولا ًبتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقَيد وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشّعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثةٌ من شاب يقضى بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله؛ فإذا كان بالشبانَ الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلاّ فحسبي هذه النفثةُ الحرَّى.

---

* نشرت عام ١٩٣١.

سَجِّلي يا أرضُ وارْعَيْ يا سماءْ مَصْرَعَ الجبارِ بينَ العُظَماءْ

مَصْرَعُ الجَشَّامِ ما إن يَنْثَني أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوى السماءْ[1]

يقفُ الهولُ لديه خَاشعاً وهو يَلْقَى الهولَ بَسَّام الرِّضَاءْ

* * *

نالَ منه الموتُ ما لَمْ يستطعْ نَيْلَه الغُصَّابُ في سَبْعٍ وِلاءْ

عَذّبُوه ونَفَوه ومَضَوا في فنونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَاءْ!

أرسلُوه حيثُ وادي الموتِ إذْ لا يَرى الأحياءُ أطيافَ الرَّجَاءْ

في مَباءاتٍ تُدوِّى بَيْنَها جَلْجَلاتُ الموتِ في هَولْ الوبَاءْ[2]

تَصْفُرُ الرِّيحُ بها مُعْوِلةً تنذرُ الأحياءَ فيها بالفناءْ

وأرادُوا والمَنَايا حَوْلَه أن يُذِلُّوا فيه تلك الكِبْريَاءْ

فمضى يَأْنَفُ في سُخْريةٍ عيشَ ذُلٍّ هُو والموتُ سَواءْ

لم يقلْها: لَفْظَةٌ، لو قالَها لَقِيَ النَّعْماءَ منهم والوَلاءْ

* * *

ليتَ أهلَ الأرضِ يدرونَ بما صنعَ الغُصَّابُ بالنفسِ البَراءْ

أَتُرى أنْعَتُها وَحْشيةً في ظلامِ الكهفِ لَمْ تدرِ الضيَّاءْ؟

أظْلِمُ الوحشَ إذا شَبَّهتُه بوحوشِ الغَربِ تمتصُّ الدِّمَاءْ!

١-الجشّام: المتقحّم.

٢- مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِـكُ الوحـشُ لِيحيَـا بينما يَفْتِـكُ الغـربيُّ حُبًّـا في الثَّـرَاءْ!

يا شـبابَ الشـرِقِ هذا موقفٌ تَقْشَـعِرُّ الأرضُ منـه والسـماءْ

ودمُ المختـارِ مـا زالَ نـديًّا يسـتحثُّ الخَانعـينَ الضُّعفاءْ[1]

وضَحاياالأمسِ والأمسُ نذيرُ اليـ ـومِ يدعُو مَـنْ يجيبـونَ الدُّعَاءْ

* * *

يا شبابَ الشـرقِ والشرقُ إذا لم تكونُـوا جُنْـدَه ضَـاعَ هَبَـاءْ

لا يـردُّ الحـقَّ قـولٌ فَـارِغٌ تَذْهَـبُ الرِّيـحُ به عَصْـفَ الهواءْ

إنْمـا يُجْـدِي جِهَـادٌ عَـارِمٌ وخِصَـامٌ ونضَـالٌ وعَنَـاءْ

إنمـا يُجْـدِي إِذا نَبْعَثُهـا كهـزيمِ[95] الرعدِ تَـدوِي في الفَضَاءْ

إنمـا يُجْـدِي إذا مـا أيْقَنُـوا أننـا كالغَـربِ قـومٌ أقْويـاءْ

* * *

يا شـبابَ النيلِ ماذَا؟ وَيْحَكُم! أفأنتـم حيـثُ يُحييكُـم دُعَـاءْ؟

يـا شـباباً نَاعمـاً مُسْـتَأنِثاً كَذواتِ الخِـدرِ في ظِـلِ الخِبَاءْ![2]

يـا شـباباً تافهـاً مُحْتَقَـراً تأنـفُ الأجيـالُ منـه في ازدرَاءْ

يـا شـباباً هَمُّـه لَذّاتُـه فهـو يَحيـا بـينَ كأسٍ وخَنَـاءْ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.

٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبكار .

يـــا شـــباباً قَصُـــرَتْ آمالْـــه كَخَشَـــاشِ الأرضِ مَرمَـــاه الغِـــذَاءْ

يـــا شـــباباً نُكِـــبَ النيـــلُ بِه في الأَمانِـــي والتَّعـــلَّاتِ الوِضَـــاءْ

يا شـــبابَ النيلِ هَـــلْ أبْصَرْتُمو في فَتى الســـودانِ كيفَ الشُّـــهداءْ؟

عُمْـــرُ الإِيمـــانِ بالحـــقِ لـــه مهجةٌ حَـــرّى فجـــادتْ بالفِـــدَاءْ

يـــا شـــبابَ النيـــلِ هـــذَا مَثَلٌ لجـــلالِ المـــوتِ في ظِـــلِّ الإِبَـــاءْ

مـــا يقولُ الشِّـــعْر في هـــذَا ومَا حِيلـــةُ الشِّـــعرِ؟ وما طَـــوْقُ الرثاءْ؟

موقفٌ جَـــلَّ عن الشـــعرِ فَهَلْ يُكْمِـــلُ التاريخُ بَـــدْءَ الشُّـــعَراءْ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْسٌ مَضَينَ تَجُنُّكَ الأستارُ فيها. وقبرُك كعبةٌ ومَنارُ
في كلِّ مطّلعٍ وكلِّ ثنيةٍ ذكرى تَزاحَمُ حولَها الأفْكارُ
باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها مجدٌ تَقاصَرَ دونَه الأنظارُ
تتصرَّمُ[٦٠] الأيامُ وهو مُوطَّدٌ يعنُوالخصومُ لديه والأنصارُ
وكأنّه عَلَم يُنيفَ على الورَى ترنُو إليه وتَخْشَعُ الأقدارُ
وتَضاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى في ظلِّه الأقزامُ والجبارُ!

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَاه من سعدٍ؟ وكلُّ عظيمةٍ تَذْكَارُ؟
هل كانَ إلاّ في العظائِم مَوْئلاً في يوم تَشْخَصُ عندَه الأبصَارُ
تَدْوِي حَواليه الخطوبُ وتَنْثَني كأشمَّ يَعْصِفُ حَوْلَه الإعْصَارُ
فإذَا مَضَى الهولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ غمراتُه وتَراخَتْ الأخْطَارُ
أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ راضٍ أشَمَّ كأنّه المِقْدَارُ
رُوحٌ تَجِلُّ عن الحياةِ وأهلِها وصروفِها، وتَحُفُّها الأسرارُ
رُوح البطولةِ والبُطولةُ طَلْسَمٌ كالسحرِ تَدْهَشُ عِنْدَه وتَحارُ
أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْدَها لما دَعَا سعدُ الجموعَ فَثاروُا

---

*نشرت عام ١٩٣٢

مــاذا أبــركانٌ تَفَجَّــرَ أم تُرى مــوجٌ أشــمُّ أحــمُّ؟ أمْ تَيــارُ

سِــحر البطولةِ أو شُــواظُ لَهيبها يُذْكِــي النفُــوسَ فكلُّهــا مِغْوارُ

ذكرى تُقدِّسُــها البــلادُ كريمةً وتصــوُن رَوْعــةَ مَجْدهــا وتَغَارُ

هي بعضُ تاريــخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ تاريــخَ فــردٍ يَنْطِــوي ويُثَــارُ!

ذكرى يَحُفُّ بِها الجَلالُ وتَنْزَوِى بإزائهــا الأحقــادُ والأوزَارُ

ذكــرى تُطِــلُّ كأنَهــا قُدْسِــيّةٌ فالــكلُّ تَحــتَ ظلالِهــا أبَــرارُ

فلتَعْــن للذكرى الجبــاهُ وتَنْحَنِ الهامــاتُ ولتتخَشَّــعُ الأبصــارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَـــجِّلي يا أرضُ وارعَيْ يا سماءْ مَصرعَ النَّسْرينِ في جوفِ الفَضاءْ[1]

سَـــجِّليه بمِـــدادِ الفخـــرِ لا بلْ بفيـــضٍ مِـــن دِمَاءِ الشُّـــهداءْ

مَصْـــرعُ الآســـادِ في آجَامِهـــا لا كمـــا تَلْقَـــى مَنَايَاهـــا الظِّبَاءْ!

سَـــجِّليها رَوعـــةً قـــد مُزِجَتْ من أسَـــى الحزنِ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ

وضَحَايـــا المجـــدِ في مَذْبَحِـــه يلتقـــي اليـــأسُ عليهـــا والرَّجاءْ!

وهـــي القُرْبـــانُ يَفْـــدِى أُمـــةً إيـــه مـــا أكرَمـــه هـــذَا الفِـــدَاءْ

* * *

دَوْمـــاً والريـــحُ في مُعْتَـــرَكٍ صَاخِـــبِ الأنواءِ، مِشـــؤوم العُواءْ

وظَـــلامٌ في ظَـــلامٍ مُبْهَـــمٍ يَخْشَـــعُ الهـــولُ لديـــه والفَنَـــاءْ

طَامِـــسُ الآثـــارِ مجهـــولُ الخُطَا لا دليـــلَ، لا شُـــعَاعَ؛ لا ضيـــاءْ

وهمـــا في جَوْفِـــه تَحْدُوهُمـــا هِمَّـــةٌ قَعْسَـــاءُ تَأبَـــى الانْـــزِوَاءْ

يَلْطُمـــانِ الريـــحَ إمّـــا لَطَمَتْ ويَروغـــانِ كأطيـــافِ الهَـــواءْ

أُشْـــرِبَتْ نَفْسَـــاهُما حُبُّ العلاُ وأرَادَهـــا حيـــاةً في الســـماءْ

قـــد أرادَا، وأرادَ الله مـــا كانَ؛ سُـــبحانَك تُمْضِي ما تَشَـــاءْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١ - هذا البيت لمؤلف في قصيدة سابقة، والنسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إيـهِ يـا مِصْـرُ عـزاءً إنّمـا أنـتِ أولَـى بالتحيـاتِ الوِضَاءْ

قـد بذلـتِ اليـومَ مـا تَبْذُلُه أمـةٌ شَـاءتْ حيـاةَ النُّبَـلاءْ

أمـةٌ قَـدْ أعلنـتْ قِسـمتَها من صميمِ المجـدِ بينَ القُسَـمَاءْ!

ودمٌ يُهـراقُ في تَضحيـةٍ سـوفَ يَسْـرِي نخوةً بـينَ الدِّمَاءْ

* * *

موت سوسو*

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يدية، وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد هَمَدَتْ في الضُّلوعِ الحياةُ فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غابَ لألاؤهَا في العيونِ فما تَرْمُقُ الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأمَةٌ في حَشَاه فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ
فَيا قُرْبَها لَحْظةٌ في الزَّمانِ ويا بُعدَ آثارِها تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عالمٍ صاخبٍ إلى عالمٍ صمتُه مُطْبِقُ

* * *

تُقيمِ الحياةَ هُنا مأتماً وما إنْ تَني جَزَعاً تَفْرَقُ[1]
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ بأبنائِها الكلِّ لا تَفْرُقُ
فجيعتُها في صِغارِ الفراشِ كموتِ الفَتى حَادِثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ في كُنْهِه واحدٌ ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قَد انْدَحَرَتْ في صِراعِ الرَّدَى فحقَّ لَها كلُّ ما تَحْنَقُ!

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر)١٩٣٨.

١ - تني: تضعف.

وتَرْجُـفُ في كلِّ حَـيٍّ إذَا أصَـابَ سِـواه الـرَّدَى المُزْهِـقُ
أشِـعَّتُها في جميـعِ النفـوسِ يُرقْرِقُهـا مَصْـدرٌ يَألَـقُ
فـإن مَسَّـه مـا يَغُـضُّ الضياءَ تَذَبْـذَبَ لألاؤُهـا المُشْـرِقُ[1]
فيـا دَمْعَـةً رَقْرَقَـتْ في العيون لأنـتِ الحيـاةُ هَمَـتْ تَدْفُـقُ
يَعِـزُّ على النفـسِ فَقْـدُ الحياةِ فَتَجْـزَعُ للمـوتِ إذْ يَطْـرُقُ

* * *

١- الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأخير*

زَوِّدِيني مِنَ الرَّجاءِ الأصيلِ مُشْرِقاً فيكِ في المُحَيَّا الجميلِ
أَنْتِ كَنْزٌ من الطَّلاقَةِ والبِشْرِ ودُنْيا من السَّنا المَعْسُولِ
خِفَّةُ الطَّيْرِ وانطلاقُ الأماني بعضُ مَا فيكِ وانطلاقُ السُّيولِ
وَهَجٌ يُبْهِرُ النُفُوسَ ويُزْكِي خَفَقَاتِ القُلوبِ عِندَ المُثُولِ
ذَخَرَتْكِ الحياةُ كَنْزَ حَيَاةٍ ورَصيداً لِمَالِها المَبْذُولِ!

* * *

زَوِّديني لَكَادَ يَنْفَدُ زَادي في صِرَاعٍ مِنَ الحياةِ طَويلِ
كادَ يَخْبُو المِصْبَاحُ إلاّ بَصيصاً فاسْكُبِي الزيتَ في بَقَايا الفَتيلِ
كُنْتُ كالجَذْوَةِ المُشِعَّةِ نُوراً وهي اليومَ في طَريقِ الأفُولِ
فيكِ زَادٌ يَقُوتُنَا ويَقِينَا عَثَرَاتِ الطريقِ بينَ التُّلُولِ
أنْتِ لا غيرُكِ القَديرةُ أنْ تُزْكي حَيَاةً بِخَاطِري ومُيولي

* * *

حينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْرُ نَفْسِي بِرَجَاءٍ مُشَعْشَعٍ مَوْصُولِ
وأَرَى عِبْئِي الثقيلَ خَفيفاً وأرى نَاهِضاً بِعِبْئِي الثَّقيلِ
وكَأنّي استَشْعَرْتُ رُوحَ شَبابِي وَرَجَّعْتُ الزَّمَانَ صَعْبَ القُفُولِ
فَأعيدي إلىَّ مَاضِيَ عُمْري واغْمُريهِ بالبِشْرِ والتَأميلِ
واطْلُعِي في قِفَارِ نَفْسِي حياةً وإِذَا مَا دَجَى عَالَمي أوَ مِضي لي

* * *

---

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١.

نوسة
أو
شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الودّ والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أَغْمِضِي عينيك قد آنَ الأوانُ ودَعِيني نُهبةً للشجَنِ

وَأَمْنِي دُنياك في آتِي الزمانِ ودَعِيني لُعْبَةً للزَّمَنِ!

* * *

هذه كَفِّي وقد مرَّتْ عليكِ في حَنَانٍ وارتياعٍ وولُوعِ

لم تُحِسِّيها ولم يَنْبِضْ لديكِ قلبيَ النابِضُ من بينِ الضُلوعِ

* * *

هذه الكفُّ التي كَمْ دَلَّلَتْكِ وسَّدَتْكِ اليومَ أطباقَ الثَّرى[1]

أيُّ حالَيْها تُرى أحنَى عليكِ؟ ليتني أدْري. ومن فينا دَرَى؟

* * *

ذلك الصَّوتُ الذي تَرْتَقِبينَ قَدْ دَعَاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجَابْ

قد دعاكِ. إنّما لا تَسْمَعِينَ أُسْدِلَ السِّتْرُ وقد عَيَّ الجوابْ

* * *

نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٤٢.

١- وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أنَا يا «نُوســـةُ» والعهــدُ قريبٌ   مُوحِـــشُ النفسِ شَـــجِيٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ   قــد خَلا في ذلكَ القلـــبِ الغريبِ

* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الذي قد عِشْتِ فيه   مـــن حَياتـــي مَوْضِعــاً للحَدَبِ
مَا مَضَى مـــن دونِـــه أو مَا يَليه   غربـــةٌ تَقْسُـــو علـــى مُغْتَـــرِبِ

* * *

إنـــي أبْكيكِ يـــا ظلَّ الشـــبابِ   إنـــي أبكيـــكِ يـــا طيـــفَ البنينْ
رُفْقَةٌ طالـــتْ على خيرِ اصطحابِ   لَـــكِ عَطْفِـــي ولَي الـــودُّ المكينْ

* * *

لم يكـــن ودٌّ بُطُـــونٍ وطعـــامٍ   إنمـــا وُدٌّ اصطحـــابٍ ووَفـــاءِ
طَالَمَا آثَـــرْتِ إنْ غِبْـــتُ الصيامَ   أو تَلُوذِيـــنَ بِصَمْـــتٍ وانْـــزِوَاءِ

* * *

فـــإذَا عُـــدتُ فَوَثـــبٌ ومُـــواءٌ   نَاطِـــقٌ بالشـــوقِ أو بالفـــرحِ
وألاَعِيـــبٌ وخَمْـــشٌ والْتِـــوَاءٌ   وتَثَـــنٍ   نَاطِـــقٌ   بالمَـــرَحِ

* * *

طَالَمـــا نَادَيْتِنـــي عَـــذْبَ النِّداءِ   في وَدَاعِ حـــينَ أمْضِـــي أو لِقَـــاءْ
في صبـــاحٍ حينَ أصْحو أو مَسَـــاءٍ   بِوثُـــوقٍ   واعتـــدادٍ   وذَكَاءْ!

* * *

طَالَما أحْسَسْـــتُ أنّي لكِ وَحْدَكِ   لا تطيقــينَ شَــريكاً أو شَــبيهاً

طالما وَطَّــأتِ في حِجْــرِي مَهْدَكِ   فَعْلَــةُ الطفلــةِ في حُضْـــنِ أبِيَها

* * *

كنــتِ لي كلّكِ في هــذي الحياةِ   أيــنَ مَنْ ألقَــاه فيها لَــي كُلُّهُ؟

كُلُّ مَــنْ ألْقَــى لــه فيها هَــوَاهُ   ولــه آمَالــهُ فيهــا وشُــغْلُهُ!

* * *

قــد خَلا حُضْنِي وكَفِّــى وذِرَاعِي   قــد خَلا قَلْبِــي مِنْ هَــذا المَتَاعِ

مُنْــذُ دَعا المــوتُ فأصْغَيْتِ لداعٍ   مَــنْ دعَــاه لم يُعقّــبْ لِــوَدَاعِ

* * *

أنَــا يا «نُوســةُ» أمْضِــي والليالي   وخَــواءُ المــوتِ يَغْشَــى عَالَمِي

رَسْمُكِ الشَّــاخِصُ يبدُو كالخيالِ   أو كَحُلْــمٍ في ضمــيرِ الحَــالِمِ

* * *

وخَيالاتُــك في كلِّ مَــكانٍ   شَــاخِصَاتٍ تَتَــراءى للعَيــانْ

تَصْحَبُ العُمْرَ علــى خَطْوِ الزمانِ   هَاهُنا كنــتِ وقَــدْ كَانَ وكانْ

* * *

هــذه أنْــتِ إلى حُضْنِــي أوِيْتِ   هــذه أنــتِ أمامي قَــد رَبَضْتِ

هــذه أنتِ علــى صَــدْرِي وَثبْتِ   لهفَ نفســي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟

* * *

ها هُــو الصبــحُ فأيــنَ الوَثَبَاتُ هــذه كَفِّي فأيــنَ اللّمسَــاتْ؟
ها هــو الأكلُ فأيــنَ الهَمْهمَاتُ؟ أينَ أينَ؟ كلُّ ما قَــد كَانَ فَاتْ!

* * *

أيــنَ قِطّاتُــكِ في الحِــرْزِ الأمينِ مَــنْ دَنَــا منهــا عليــه تَثِبــيْنْ
غــير أنِّــي لِــيَ وَحْــدِي تأمنينَ وإِذَا مُسّــتْ فَبِي تَســتَنْجدين؟

* * *

سَــكَتَ الصوتُ وقــد كَان غِنَاءً! سَــكَتَ الوَثْبُ وقَــدْ كَانَ مَضَاءْ
وامتــلاءُ البيتِ قد أمْسَــى خَواءَ كلُّ مَــنْ فيه قــد اسْــتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هــا هُنا كنتِ؟ أمَــا هذا ضَلالٌ؟ وتهاويــلُ خَمَّــارٍ أو خَبَــالْ؟
لم يكــنْ شَــيءٌ ولم يَطْــرَأَ زوالٌ كلُّ مَــا كَانَ خيــالٌ في خيــالْ!

* * *

ضَلَّــةٌ للنــاسِ في آمالِهــا والمَنَايــا رَابِضَــاتٌ بالوَصِيــد
زُمَــر تَمضِــي إلى أَجَالِهــا والذي يَحيــا يُرَجَّــى في الخلودِ!

* * *

صدى الفاجعة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويحَ لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووارِ حمتاه لهم كيف يعيشون...؟

جَـفّ الرِّثاءُ بخاطـري المَفْجُوعِ وصَمَـتُّ لا أفضي بغـيرِ دُمُوعي

إني ذُهلـتُ عَنِ المُصـابِ بوقعه حيناً، ذُهُـولَ الوَاهِـمِ المَخْدُوعِ

فَظَللتُ أنْصِتُ للرجـاء، وأتّقي صوتَ اليقـينِ الفَاجعِ المَسْـمُوعِ

أيَمُـوتُ؟ كَلاَّ! لا يمـوتُ وهذه مصْـرُ تُرجّـى نَجْمَه لِسـطُوعِ

أيموتُ والأحـداث تَهْتفُ باسمه أتكـونُ تلـكَ هُتَافَـةَ التوديعِ؟

قُلْ أيُّها النّاعي سِـواه؟ فما أرى أنّي -- وإنْ جاهَدْتَني -- بِسـميعِ!

* * *

واويلتَـاه! أإنّهـا الحقيقـةُ جلّتْ عن الإيجـافِ والترويعِ؟[1]

صمَتَ الذي قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجَّةً وتَحدَّثَـتْ طعناتُـه بنَجيـعِ[2]

مُتَفجّـراتٍ بالدِّمـاءِ كأنّهـا كلماتُـه في قـوةٍ ونُصـوعِ

كلماتُـه اللائـي نَبضْـنَ بِقَلْبِه ودِمَـاؤه مـن ذلـكَ اليَنْبُـوعِ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس) ١٩٤٥.

١ - الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه، ووجف القلب: خفق، قال تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢ - النجيع: دم الجوف

يا واهبَ الوادي مَريعَ حَياته   ما بالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَريعِ؟

يا مانِعَ الوادي العزيزِ بِنَفْسه   ما بالُ عُمْرِكَ لم يكن بِمَنيعِ؟

خَطَفَتْكَ عاديةُ المَنونِ وخَلَّفَتْ   وَطَناً يُعالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوعِ

لَهْفاً مَكانُكَ ليس يَمْلأُ رَحْبَه   إلا الأسى وتفجُّعُ المَفْجُوعِ

لهفاً مَكانُكَ والبلادُ تَهيَّأتْ   تَخْطُو إلى أُفْقٍ رَسَمْتَ وَسيعِ

وتَلَفَّتَتْ تُصْغي لِصَوْتِكَ هادياً   في المُدْلَهِمِّ ورأيكَ المَسْمُوعِ

فَصَمَتَّ - يا للهولِ - صَمْتَةَ واجِمٍ   ماضٍ لغيرِ تأوُّبٍ ورُجُوعِ

وَاهاً لِمَصْرَ ويا فَجيعةَ أهْلِها   في الرائدِ المتفرِّدِ المَتْبُوعِ!

* * *



تبغُونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طريقُهُ

ولقد أخَذْتُم بالطريقِ فيمِّمُوا

وهو الجهادُ حَمِيّةٌ جَشّامَةٌ

ما إنْ تخافُ منَ الرَّدَى أو تَحْجُمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهـدٌ علـى الأيـام ألا تُهْزَمُوا فالنصرُ يَنْبُتُ حيـثُ يُهراقُ الدَّمُ

في حيـثُ تعتبطُ الدِّمَـاء فأيقنُوا أن سوف تَحيَوْا بالدِّماءِ وتَعْظُمُوا[1]

تبغُونَ الاسـتقلالَ؟ تلك طريقُهُ! ولقـد أخَذْتُـم بالطريـق فيمّمُوا

وهـو الجهـادُ حَميَّةٌ جشّـامة ما إن تخافُ مـن الرَّدى أو تُحْجِمُ

إن الخلـودَ لمـن يَطيقُ مُيَسَّـرٌ فليمضِ طلابُ الخلـود ويُقْدِمُوا

وطـنٌ يُقَسَّـمُ للدخيـلِ هديةً فعـلامَ يَحْجُمُ بعد هـذَا مُحْجِمُ؟

الشـرقُ يا لَلشِّـرقِ تلك دمَاؤُه والغربُ يا لَلغـرب يُضْرِيه الدَّمُ[2]

الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا حرماته الكُبْرى وكيـفَ تهجّمُوا

غرتُهمُو سِـنَةُ الكَـرى فتوهَّمُوا يـا للذكاءِ! فكيفَ قـد غَرَّتْهُمُو؟

سِـنَةٌ ومـرت والنيـامُ تيقظُوا فليعلمُوا مَنْ نَحـنُ أو لا يَعْلَمُوا!

اليـومَ فَلْيَلغُوا الدّمـاءَ وفي غد فَلينْدَمُـوا عَنهـا ولاتَ المَنْدَمُ[3]

* * *

أبطـالَ الاسـتقلالِ تلـك تحيةٌ مِنْ مصـرَ يبعثُهـا فـؤادٌ مُفْعَمُ

إخوانُنـا في الحـالِ والعُقْبى معاً إخوانُنـا فيمـا يَلَـذُّ ويُؤْلِـمُ

مِصْـر الفتاة ومـا تَـزالُ فَتيةً تَهفُـو إليكُـم بالقلـوبِ وتَعْظُمُ

في كلِّ مُطّلـعٍ وكُلِّ ثَنيّـة نارٌ من الشـرقِ الفتيِّ سَـتَضْرَمُ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣١بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١- تعتبط: من عبطه الموت أي مات شاباً صحيحاً.

٢- يضريه: يجعله من الضواري .

٣- فليلغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البداري*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ؟ وَيَسِيلُ مِنْ حَنَقٍ حَوالَيه الدَّمُ؟
ومن الذي سَامَ النفوسَ مَهانةً يَأبَى ويأنَفُها الذلولُ الأعْجَمُ؟[1]
من كلِّ ما عَوْرَاءَ تُكْشَفُ جَهْرَةً ويُهانُ منها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وكرامَةٌ يَشْتَطُّ في تحقيرها نَذْلٌ حَقِيرُ القلبِ لا يتأثَّمُ
في أيِّما بلدٍ نعيشُ؟ وأيِّما عهدٍ يمرُّ على الكنانةِ مُظْلِمُ؟[2]
عهدٌ نُسامُ الخَسْفَ فيه ونُبْتَلى نِقَماً إذا قُمْنا نَضِجُّ ونَنْقِمُ
وَحْشيَّةٌ كَشَفَ الزَّمانُ حجابَها لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلَمُ
الوحشُ يَضِلُّ جائعاً ويَعِفُّ عن فتكاتِهِ إذ ما يَعِبُّ ويَطْعَمُ

* * *

يا أيُّها الرُّفَقَاءُ بالحيوانِ لا تَنْسَوْا أناسِيًّا تَئِنُّ وتَألَمُ
في مصرَ قد تَلْقَى الكلابُ رِعايةً بينَا يُحَقَّرُ شَعْبُها ويُحَطَّمُ!
في مِصرَ لا يَلْقَى المسيءُ جَزَاءَه لا بَلْ يُكافَأُ دونَه ويُكَرَّمُ
في مِصرَ ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من فُحْشٍ يَعِجُّ بها وفُحْشٍ يُكْتَمُ
في مِصرَ! لو في مِصْرَ بعضُ كرامةٍ غَضِبَتْ وفارَ على جوانبِها الدَّمُ!

* * *

ماذَا يَعِزُّ على الهوانِ نَصونُه؟ لم يبقَ من حُرماتنا ما نُكْرِمُ!
الموتُ! يا للموتِ! أشرفُ شِرْعةٍ مِمّا نُسامُ به ومِمّا نُوسَمُ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- الذلول الأعجم: الحيوان.
٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الذم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجَّتْ الدُّنيا فماذا تَرْتَقِبْ مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ؟
ضجَّتْ الدنيا من الهولِ الذي تركَ الدنيا جميعاً تضطربْ
فَارَ ماءُ النيلِ أو صَارَ إلى حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ منْه تُصَبْ
وأرى مِصرَ تُعاني سَكْرةً وإذا تصحُو تولتْ تَنْتَحِبْ؟
مِصر. يا مصرُ. وما يُجْدي البُكا غضبةٌ يا مصرُ كالليثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصرُ. أو. لا. فادْرُجي في قيودِ الذلِّ وارضَيْ بالحَرَبْ

* * *

أفهذي مِصرُ أم ماذا أرى؟ أمةٌ أُخرى وشعبٌ مُنْقلبْ
أم تُرى الأيامُ دارتْ دورةً فإذا الأسْدُ شِياهٌ تُحْتَلَبْ؟
ما عَهِدْنا مِصرَ تُمطي ظَهْرها كَذلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاء رَكِبْ!
المَطَايا حينَ تَخْشَى حَتْفَهَا تُعطبُ السَّائقَ من دونِ العَطَبْ!

* * *

مِصْرُ لَمّا غَضِبَتْ غَضْبَتَها لَمْ يَرُعْها الغربُ لما أنْ غَضِبَ
أرسلَتْها صَيحةً داويةً كهزيمِ الرعدِ جَيَّاشَ اللَّجُبْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أنصتَ الغربُ لها واستمعتْ أُذُنُ العَالمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ

وأحسَّ الظُّلْمُ منْها رِعْدَةً تتمشى فِيه كالرُّعْبِ يَدُبْ

لم ترُعْنا هَجْمَةً مِنْه على رُسُلِ الحقِ غَشُوماً يَحْتَطِبْ

سالتْ الأنفسُ فيها فارتوتْ تربةُ المجدِ بها بعدَ الجَدَبْ

وَوَعاها الدهرُ في آثارِه جَذْوةً حمراءَ في رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مصرُ ذِكْرى فاذكُرِي ما تولّى واذْأبي خيرَ الدَّأبْ

أرجِعي الكَرَّةَ لا هَيَّابَةً واغلبي بالعزمِ أشتاتَ النُّوَبْ

* * *

المهرجان*

مَـا هُتـافٌ ثَـمَّ في كلِّ مـكانْ ... ما دُعـاءٌ ثَـمَّ في كلِّ لسـانْ؟
مـا نَشـيدٌ تسْـكُبُ الدنيـا به ... أعذبَ الألحانِ في سَـمْعِ الزمانْ؟
ما شـعورٌ فَـاضَ كالوحْـيَ هَفَا ... فهفَا الشـعرُ علـى كلِّ جنانْ؟
مـا ابتهـاجٌ وسُـرورٌ ورِضَـا ... وانطـلاقٌ في التمنِّـي والأمانْ؟
مِهْرَجـانُ العـرشِ والشـعبِ مَعاً ... عـاشَ فـاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَـال لي الدهـرُ – وقَـدْ راودتُه ... عَـن خَفَايـاهُ فأفْشَـى وأبانْ:
ليـس كاليـومِ جَمـالاً وسَـنَىً ... منـذُ مـا كان زمـانٌ ومـكانْ
ليـس كاليـومِ ابتهاجـاً ومُـنى ... منـذُ مـا كانَ ابتـداعٌ وافتنانْ
غـيرُ يومـين وإنّـي حَافِـظٌ ... في سِـجلّي كلَّ مـا كان وبـانْ
يـومُ ميـلادٍ وفي يـوم ارتقـي ... عرشَـه السّـامي فأعـلاه وزَانْ
ثم هـذا اليـومُ يـومُ المِهْرَجـان ... عـاشَ فـاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ!
أنـتَ يـا فـاروقُ خـيرٌ خَالصٌ ... بيتما الخـيرُ مشـوُبٌ في الزمانْ
مـن ضميرِ الشـعبِ مِـنْ يقظته ... منْ منـاهُ مـنْ أغانيه الحِسَـانْ
صاغـكَ اللهُ سـناءً وسـنَى ... صَانَـك اللهُ وأعطـاكَ الأمانْ!!
صَانَـكَ اللهُ. فَإنّـا أُمَّـةٌ ... تَقْـدرُ المُحْسـنَ في غـير امتنانْ
كلّ يـوم أنـت فيـه مِهرجـان ... عاش فـاروقٌ، ودام المهرجانْ!!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٨م

أنــت في مِصــر قُــوىً كامنــةٌ   منذ كانت مصرُ شــعباً ذا كيانْ
يُســلِمُ الجيــلُ إلى تَابعــهِ   هــذه القــوةَ تَذْكُــو وتُصــانْ
والليــالي مُرهِصَــاتٌ والدُّنــا   تَرْقُــبُ الميــلادَ آنا بعــدَ آنْ[1]
ثمُ شَــبَّ الشَّــعْبُ في نهضتــه   ناضــجَ الفِكْرَةِ مشــبوبَ الجَنَانْ
فــإذا فــاروقُ في طَلْعَتِــه   تهتفُ البشــرى على كلِّ لِســانْ
ثم كان اليــومُ يــومَ المِهرجــان   عــاش فــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ!

* * *

أنــت صِنْــوُ الشــعبِ في تاريخه   كنــتَ منه في الأمانِــي يومَ كانْ
قــد تَوَافَى مَولِدُ النهضــةِ والمَولدُ   الضَّاحِــى، فوافت بُشْــرَيانْ[2]
حِكْمــةٌ هَــذا التَّوافِــي عَجَــبٌ   شَــاءها الله فجــاءتْ في الأوانْ
ثم وَافي اليــومُ، يــومُ المهرجــان   عــاشَ فــاروقٌ، ودام المهرجانْ

* * *

يــا صديقَ الشــعْب قُــدْ نهْضتَه   في ســباقِ الكونِ يَظْفَــرْ بالرهانْ
ولــه مِنــك شــبابٌ طَامِــحٌ   يبعــثُ الجَــرأةَ في قَلــبِ الجَبانْ
كلُّ قلــبٍ حــينَ تدعُــو هاتفٌ:   إيــه لبيــكَ، إلى شَــطِّ الأمــانْ
إيــه لبيــكَ، وفيــه نَشْــوةٌ   وله مِنْ وَجْهِكَ السَّــمْحِ ضَمانْ

١- مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسه.
٢- توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إيـــه لبيـــكَ، وقـــد طَهّـــره حُبُّـــك السَّـــامِي وروّاه الحَنَـــانْ

كلُّ قلـــبٍ خافـــقٌ بِالمهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَـــعْ النَّغْمـــة في قِيثَارتِـــي وحيُـــك العَذْبُ فجـــوَّدتُ البيانْ

وجَـــرى الشِّـــعْر وفي نَكْهَتِـــهِ من معانيك شـــذَى عَرْفَ الجِنَانْ

فأنـــا الشَّـــادِي وفي رُوحي هوىً عَبْقَـــرِيٌّ الوَحِي ذَاكِـــي الافتنانْ

وأنـــا الشـــاعرُ آفاقِـــي سَـــمَتْ فَسَـــمَا مِنِّـــى بيـــانٌ ومَعَـــانْ

وأنـــا الغريـــدُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهْرَجَانْ

* * *



أخي إنْ نُمتْ نَلْقَ أحْبَابنَا

فروْضاتُ ربي أُعدّتْ لَنَا

وأطيارُها رفرفتْ حوْلَنا فطوبى

لنا في ديار الخُلودِ

سيد قطب

هبل.. هبل*

هُبَلٌ... هُبَلْ رَمْزُ السَّخافَةِ والدَّجَل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرَتْ على أيدي الأباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تتنشّق البحور تحرقُهُ أساطير النّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأسْرِ في قَيْدِ الخَنا والارْتِزاق[1]
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ... يا لَلْخَجَل
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ السَّخَافَةِ والجَهالةِ والدَّجَل
لا تَسْألَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ والخُضوع(٣)
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفانٍ... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غبَاوَةً... يا لَلْبَطَل
* * *

---

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)٤/٤١ هُبَلٌ: صنم كان بالكعبة ، وهو رمز لكل طاغية.

١- الخنا: الفحش في الكلام.

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والجهالَة والسَّخافَة والدَّجَل
هُتَّافَةُ التَّهريج ما ملُّوا الثَّناء
زعموا لَهُ ما ليس... عنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضيِّاء وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتحٌ... هُوَ عَبْقَوْيٌ مُلْهَمُ
هو مُرْسَلٌ... هو عالِمٌ ومَعُلِّمُ
ومن الجهالَة ما قَتَلْ

* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والعَمالَة والدَّجَل
صيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدّقَها الغبي
واسْتَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي
لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمانِ هُمُ القليل
فليَدْخُلوا السّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى روايَةْ... فَلكُلِّ طاغية نهايَةْ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ... هُبْلٌ... هُبَلْ هُبَلٌ... هُبَلْ

* * *

أخي*

أخي أنـــتَ حُرٌ وراء السُّـــدود   أخي أنـــتَ حُـــرٌّ بتلـــكَ القُيودْ
إذا كُنْـــتَ بـــالله مُســـتعصِماً   فمـــاذا يَضـــيرُكَ كيـــدُ العبيـــد

* * *

أخـــي سَـــتبيدُ[٢٦] جُيـــوشُ الظّلام   وَيُشـــرِقُ في الكَـــوْنِ فجرٌ جديد
فَأطِلـــقْ لِرُوحِـــكَ إشـــراقَهَا   تَـــرى الفَجْـــرَ يرمُقُنا مـــن بعيد

* * *

أخي قـــد أصابَـــكَ ســـهمٌ ذليل   وغَـــدْراً رَمـــاك ذِراعُ كَلِيـــل
سَـــتُبْتَرُ يَوْمـــاً فَصَبْـــرٌ جميـــل   ولم يَـــدْمَ بعـــدُ عريـــنُ الأســـود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء   أَبَـــتْ أن تُشَـــلَّ بِقَيْـــدِ الإمـــاء
سَـــتَرْفَعُ قُرباهـــا... للسَّـــماء   مُخَضَّبـــة بوســـامِ الخُلـــود

* * *

أخي هل تُـــراكَ سَـــئِمْتَ الكِفاحِ   وألْقَيْـــتَ عن كاهِلَيْكَ السَـــلاح
فَمَنْ للضّحايا يواســـي... الجِراح   ويرفـــعُ رايتهـــا مِـــن جديـــد

* * *

---

* الكفاح الإسلامي الأردني-العدد ٢٩- الصادر في ٢٨/١٢/١٣٧٦هـ الموافق ٢٦/٧/١٩٥٧

أخـــي هل سمعـــتَ أنـــينَ التُّراب   تَـــدُكُّ حَصـــاهُ جيـــوشُ الخَراب
تُمَـــزِّقُ   أحشـــاءه   بالحِـــرابِ   وتَصْفَعُـــهُ وهـــوَ صلـــبٌ عنيد

* * *

أخـــي إنني اليـــومَ صَلـــبُ المِراس   أدُكُّ صُخـــورَ الجبـــال الـــرَوّاس
غَـــداً سأشـــيخُ بفـــأس الخَلاصِ   رؤوس الأفاعـــي إلى أنْ تبيـــد

* * *

أخـــي إنْ ذَرَفْـــتَ علـــيَّ الدُّموع   وَبَلَّلْـــتَ قَبري بها في خُشـــوع
فَأوْقِـــدْ لَهُمْ من رُفاتي الشُّـــموع   وســـيروا بها نحـــو مَجْـــدٍ تليد

* * *

أخـــي إن نَمُـــتْ نَلْـــقَ أحبابَنـــا   فَرَوْضـــاتُ ربيّ أُعِـــدَّت لَنـــا
وأطْيارُهـــا   رَفَرَفَـــتْ   حَوْلَنـــا   فَطـــوبى لنـــا في ديـــارِ الخُلـــود

* * *

أخـــي إنّني مـــا سَـــئِمْتُ الكِفاح   ولا أنـــا ألقَيْـــتُ عني السِّـــلاح
وإن طَوَّقَتْـــني جُيـــوشُ الظَّـــلام   فَإنِّـــى علـــى ثِقَـــةٍ... بالصبّاح

* * *

وإنَـــي علـــى ثِقَـــةٍ مِـــنْ طريقي   إلى الله رَبِّ السَّـــنا والشـــروق
فـــإنْ عافَـــني السَّـــوْقُ أوْ عَقَّـــني   فـــإني أمـــينٌ لعهـــدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَـــذُوكَ علـــى إثْرِنـــا وَفَـــوْجٌ علـــى إثْرِ فـــوجٍ جَديد
فـــإنْ أنـــا مُـــتُّ فإنّـــي شـــهيد وأنَتْ سَـــتَمْضِي بنصـــرٍ جديد

* * *

قَـــدِ اختارَنـــا اللهُ في دعوتِـــه وإنّـــا ســـنمضِي علـــى سُـــنَّتِه
فَمِنَّـــا الذيـــن قَضَـــوْا نَحْبَهُـــم ومنّـــا الحفيـــظُ علـــى ذِمَّتِـــه

* * *

أخـــي فَامْـــضِ لا تَلْتَفِـــتْ للوراء طريقُـــكَ قـــد خَضبَّتْـــهُ الدِّماء
ولا تَلْتَفِـــتْ هَهنـــا أو هُنـــاك ولا تَتَطَلَّـــعْ لغـــيرِ السَّـــماء

* * *

فلســـنا بطـــيرٍ مَهيـــض الجَنَـــاح ولـــن نُسْـــتَذَكَّ ولن نُسْـــتَباح
وإنّـــي لأسْـــمَعُ صـــوتَ الدِّماء قَوِيًّـــا يُنـــادي الكِفَـــاحَ الكِفَاح

* * *

سَـــأثْأرُ لكـــنْ لِـــرَبٍّ وديـــن وأمْضـــي علـــى سُـــنَّتي في يَقين
فإمّـــا إلى النَّصـــرِ فَـــوْقَ الأنَـــام وإمَـــا إلى اللهِ في الخالِديـــنْ

* * *

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ٩/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله

كما كان أبوه راشدًا عاقلاً وعضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعتَ فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدها حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه —فيما بعد– من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية —مدرسة عبد العزيز– ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرسًا ابتدائيًا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سببًا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه :«مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيمانًا مطلقًا». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركًا فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا –كما أمل وأملت أمه معه– غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمته من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء —كما يصفهم- كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ.» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة —وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسمًا في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشًا بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي — أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكًا آخر بعيدًا: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و»النماذج الإنسانية في القرآن»، و»المنطق الوجداني في القرآن»، و»أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم – في رأيه – ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ٣/١١/١٩٤٨ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب – في قوة التعبير

وحيويته – ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسئولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، و لم تفتنه الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحته فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).

الفهرس

الدراية لا الرواية 2008



إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد 1954 ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب برىء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى 1954 وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل).

ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى- الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر.

د. حسن حنفي

